المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد الخامس
محرم ١٤٣٣هـ

https://dawa.center

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

مجلة
الدراسات الدعوية

مجلة علمية محكمة

العدد الخامس

محرم ١٤٣٣هـ

المشـرف العـام
أ. د خالد بن عبد الرحمن القريشي
رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير
أ. د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. حمـد بـن ناصـر العمـار
أ.د. صـالح بـن عبـدالله الفـريح

أ.د. سـليمان بـن قاسـم العيـد
د. إبراهيـم بـن صـالح الحميـدان

أمـين المجلـة
د/شبيب بن حسن العقباني

المستودع الرقمي للعلوم والدراسات
Osoul Center For Studies

ردمك: ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨ إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

البحث رقم (١)

السمات الفكرية والتكوين المعرفي لدعاة الباطل المعاصرين

إعداد

د.محمد بن خالد البداح

ملخص البحث:

سعت العديد من الدراسات لبيان ما ينبغي أن يتصف به الدعاة إلى الله تعالى، إلا أن أياً من تلك الدراسات لم تتطرق للحديث عن دعـــوات الباطل والضلال وسمات من يدعون لها، فأتت هذه الدراسة التي تعد من بحوث الأضداد كما قال الشاعر العربي المتنبي:

وَنَذيمُهُمْ وبِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وبِضِدّها تَتَبَيّنُ الأشْياءُ

وهدفت هذه الدراسة لبيان مفهوم دعاة الباطل وسماتهم، وقـــد تم التطرق لجملة من السمات الفكرية والمعرفية التي يتســـمون بهـــا، مـــع الاستدلال على ذلك بما ورد في الكتاب والسنة مما يبين فساد منـــهجهم وضلالهم وبعدهم عن منهج الحق، مع محاولة التعرف على أبرز سبلهم في الدعوة لمنهجهم الباطل ليحذرها أهل الإيمان ويجتنبوها.

التمهيد:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

يعد موضوع البحث في سمات دعاة الباطل وما اتصفوا به من الصفات أحد الموضوعات التي تحتاج لتوضيح وبيان وخصوصاً في عصرنا الحاضر الذي كثر فيه التباس الحق بالباطل، وكثر أدعياء الدعوة ومنتحلوها، ويأتي هذا البحث لبيان بعضاً من تلك السمات والصفات التي يعرف بها دعاة الباطل ويتصفون.

ودعاة الباطل يمتدون على امتداد الزمن قديماً منذ الخليقة الأولى، فهم يزينون الباطل للناس ويحثونهم عليه، ويقودهم في ذلك إمامهم وزعيمهم الذي أقسم بعزة الله على أنه سيتولى إغواء الناس، وتزيين الباطل والفساد لهم: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[1].

ولازال إبليس - عليه من الله ما يستحق- يتولى هذه المهمة، وهو يُنيب عنه بعض شياطين الأنس أحياناً ليقوموا بجزء من مهمته بالإغواء والإضلال.

(١) سورة ص، الآيتان: ٨٢-٨٣.

فدعاة الشر من البشر لهم امتدادهم من أول الخليقة إلى وقتنا الحاضر ولا يكاد يخلو منهم عصر إلا وفيه قائم بهذا العمل، كما أن من دعاة الباطل في المستقبل المسيح الدجال.

وهذا البحث يُعنى بالدرجة الأولى بالتعرف على دعاة الباطل وسماتهم بعد ظهور رسالة الإسلام الخاتمة، وتحديداً في زمننا المعاصر رغبة في معرفتهم وتجليتهم حذراً منهم، حيث تكاثرت البحوث والدراسات في بيان صفات وسمات دعاة الحق ولكن لم يتطرق بحث – فيما أعلم- للعناية ببيان حال دعاة الباطل ليحذرهم الناس،ولكي يستبينوا سبيلهم، وحتى لا يقع الناس في حبائلهم وخداعهم.

كل هذا دفعني للكتابة عن هذا الموضوع، وقد واجهت صعوبة في العثور على أيّ دراسة أو بحث سابق تحدث عن دعاة الباطل تحديداً فتعذر ذلك، وهذا يدل على جدة الموضوع ومناسبته للبحث.

فعزمت على إفراد هذا الموضوع بالبحث والدراسة؛ رغبة في تجلية هذا الأمر، ومعرفة ما يتصف به هؤلاء القوم وسماتهم وفق ما نصت عليه الأدلة الشرعية الصحيحة واستنباطات أهل العلم المعتبرين من هذه النصوص، تحذيراً من حالهم وصفاتهم.

والتحذير من أهل الأهواء والزيغ مما يحتاج له وخصوصاً في زمننا هذا الذي كثر فيه تزيين الباطل والدعوة إليه.

أهداف الدراسة:

- بيان المقصود بدعاة الباطل.
- توضيح أبرز السمات الفكرية والمعرفية لدعاة الباطل.
- التعرف على وجوه مخالفة دعاة الباطل لمنهج الحق.
- بيان السبل المساعدة في التحذير من دعاة الباطل المعاصرين ومسالكهم.

تقسيمات الدراسة:

وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث على النحو التالي:

الأول: مفهوم دعاة الباطل والمقصود بهم.

الثاني: سمات دعاة الباطل الفكرية والتكوين المعرفي لهم وأبرز وجوه مخالفتهم لمنهج الحق.

الثالث: السبل المعينة في الحذر من دعاة الباطل المعاصرين.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

مفهوم سمات دعاة الباطل والمقصود بهم

مفهوم السمات:

لغة: مفردها سمة من(مصدر وَسَمَ). والوسم أثر الكي، والسمة ما وسم به الحيوان من ضروب الصور[1]. وفلان موسوم بالخير وقد توسمت فيه الخير أي تفرست، واتسم الرجل جعل لنفسه سمة يعرف بها[2] والسمة هي: الصفة أو العلامة.

السمات في الاصطلاح: من المدلول اللغوي للسمة يتضح المقصود الاصطلاحي لها بأنه: كل ما يتصف به المرء أو فعله من محمود الصفات أو مذمومها.

مفهوم الدعاة:

الداعية في اللغة: اسم فاعل على وزن فعلة،يقال:دعا، يدعو فهو داع له، والجمع دعاة كقضاة وقاضون[3].

وإطلاق الدعاة يشمل دعاة الحق، ودعاة الباطل.

---

(١) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مادة (و سم)، ص ١٥٠٦ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).

(٢) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مادة (و س م)،ص ٦٤٠(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مرجع سابق، مادة(د ع ي)، ص ١٦٥٥، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، ١٢٧/١٠(الكويت" المجلس الوطني للثقافة والفنون، ٢٠٠٤م).

كما قال الله عز وجل على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[1].

فالدعوة إذا أطلقت شملت الدعوة للحق وكذا للباطل ما لم تُقيد بدعوة الحق أو دعوة الباطل.

ومنه حديث النبي عليه الصلاة والسلام عندما قال لعمار بن ياسر رضي الله عنه: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية؛ عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار)[2].

الداعية في الاصطلاح:

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (الدعاة جمع داع كقاض وقضاة ورام ورماة وإضافتهم إلى الله للاختصاص أي الدعاة المخصوصون به الذين يدعون إلى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته) [3].

ودعاة الحق هم الدعاة إلى الله: وهم سفراء الأمة المؤمنة إلى الناس، يحملون أمانتها، ويبلغون رسالتها، والناس لهم فيها تبع [4].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجهاد، باب: مسح الغبار عن الرأس في سبيل الله، رقم الحديث(٢٨١٢)، انظر: صحيح البخاري، الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ص ٤٣٣(الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ).

(٣) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ١/١٥٣، ط١(الرياض: دار زمزم، ١٤١٤هـ).

(٤) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، ص٧١(القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية)، وانظر: الدعوة الإسلامية -أصولها ووسائلها-، أحمد غلوش، ص٤٣٢(بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٧م).

والدعوة إلى الله تعالى وحده هي دعوة الحق، يقول الله تعالى: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾[1]، أي الدعوة الحق لله وحده وما دون ذلك دعوة للباطل والداعي لها داعٍ للباطل.

وقد بيّن سبحانه أن دعوة الحق طريق الاستقامة قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] فما دونها هو لا شك دعوة لغير صراط الله المستقيم ، وهي دعوة إلى الانحراف والضلال المبين نسأل الله السلامة.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[3]، فكل من دعا إلى غير الله وإلى توحيده ودعا إلى الشرك فهو داعية ضلال وإضلال.

ودعا الله تعالى المؤمنين ليكونوا دعاة إلى الله تعالى وحده،وأن تقوم أمة منهم على أمور الدعوة إليه سبحانه فقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٤.

(٢) سورة المؤمنون ، الآية: ٧٣.

(٣) سورة القصص، الآيتان: ٨٧،٨٨.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

فوصف الله هذه الدعوة بدعوة الخير وقيدها بها، وقد عرّفهم المنهج الحق في الدعوة إلى الله تعالى وحده فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾[1]. ثم بيّن سبحانه منزلة الدعوة إلى تعالى وأنها بمكان سام لا يدانيها فيه مكان فقال جل شأنه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

مفهوم دعاة الباطل :

المقصود بدعاة الباطل في هذا البحث: هم من يدعون إلى مخالفة منهج الله سبحانه وتعالى، وهم الذين تتفرق بهم السبل والأهواء، ويدعون الناس إلى كل شر مبتدعين منهجاً غريباً وطريقاً محدثاً بعيداً عن منهج الله السليم الذي فيه الفلاح والصلاح، متلمسين في ذلك كل طريق لبث الفتن بين المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم ويضلوهم لأغراض متباينة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4]، فسمى تعدد السبل الموصل للتفرق بطريق الباطل، وأفرد سبيل الحق حيث هو سبيل الرشاد والهداية.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٩٤.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

والنصوص في هذا الشأن كثيرة ففيها دلالة على تفرد سبيل الحق وتعدد سبل الغواية والضلال.

يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[1].فهنا فرق واضح بين دعوات الباطل ودعوة الحق.

والدعوات إلى غير الله تعالى ومنهجه الحق هي دعوات الباطل وهي الضلال المحض، وقد نهى الله تعالى عنها وحذر منها فقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

وبيَّن سبحانه أن الدعوات إلى غير سبيله موصلة إلى الخسار والبوار، قال تعالى: ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾[3]. وقد وصفهم الله بوصف تطمئن له الأفئدة؛ وتسكن معه القلوب، حيث أبان سبحانه أن دعوتهم في سفال وأن سعيهم في وبال،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢١.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠٦.

(٣) سورة غافر، الآيتان: ٤٢،٤٣.

فقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [1].

مفهوم دعاة الباطل المعاصرين:

المعاصر لغة: من الفعل الثلاثي (ع ص ر)، ويشير إلى الدهر والحين [2]، والعصر بمعنى الوقت، إطلاق العصر وإرادة أهل الزمان[3].

المعاصر اصطلاحاً: يشير المصطلح إلى الآني والمتحول، ويقال عاصرت الرجل أي: كنت أنا وإياه في عصر واحد، أو أدركت عصره[4]، أي كل ما ساير العصر في تطوراته ومفاهيمه[5].

ويرى الباحث أن الدعاة المعاصرين هم: الدعاة الذين أدرك بعضهم بعضاً، وإن لم يلتقوا، واطلعوا على أحوال هذه المدة الزمنية وحوادثها، وعاشوا فيها مؤثرين فيها أو متأثرين بها.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،٤/٣٤٠-٣٤٤، ط٢(بيروت: دار الجيل، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن هلال العسكري،١/٢٧٢.(دار الكتب العلمية،٢٠٠٨م).

(٤) الفروق اللغوية، العسكري،١/٢٧٢،المرجع السابق. وانظر: تاج العروس، الزبيدي، ١٣/٧٣، مرجع سابق.

(٥) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، سعيد علوش، ص ١٥٠، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م).

دعاة الباطل في الكتاب والسنة:

ورد وصف دعاة الباطل في الكتاب والسنة في عدد من النصوص، وسيتم استعراض بعض النصوص التي لها دلالة على ذلك في التالي:

أولاً: القرآن الكريم:

دعاة الباطل ورد ذكرهم بالنص على قيامهم بالدعوة ومباشرتهم لها، أو بالإشارة إلى فعلهم في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[1]، وغيرها من النصوص.[2]

ثانياً: السنة النبوية:

وهؤلاء قد وصفهم النبي ﷺ بقوله أنهم: (دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها)[3].

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤١.

(٢) قال تعالى: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ (الشورى، الآية: ٢٤)، قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: (ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته أي بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ تفسير الزمخشري، ٤: ٢٢٢.وجاء في تفسير الرازي بشأن قوله تعالى: ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ﴾ أي: ومن عادة الله إبطال الباطل وتقرير الحق، تفسير الرازي، ٢٧: ١٦٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، رقم الحديث(٧٠٨٤)، ص ١٢٢١، وكتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام رقم الحديث(٣٦٠٦)، ص ٦٠٥، مرجع سابق. وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن رقم الحديث(١٨٤٧)، ص ٨٢٩،صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط١(الرياض: دار السلام،١٤١٩هـ-١٩٩٨م). ونص الحديث أن حذيفة بن اليمان يقول: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم. وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا فقال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت فما تأمرني إن أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك".

قال القسطلاني-رحمه الله- : (دعاة أي جماعة يدعون الناس إلى الضلالة ويصدونهم عن الهدي بأنواع من التلبيس، وأطلق عليهم ذلك باعتبار مايؤول إليه حالهم كما يقال لمن أمر بفعل محرم وقف على شفير جهنم) [1]، وهذا بالتأكيد سبب يحول بين المدعوين وبين قبولهم لدعوة الحق، فقد تعددت ديانات العرب حين جاء الإسلام، وقد كان لهذا الأمر أثر على بعض المدعوين[2].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله عز وجل لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكنه يقبض العلماء بعلمهم فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[3].

وهذا الحديث فيه دلالة على وصف أئمة الضلال ودعاة الجهالة الذين يفتون بغير علم فيضلوا ويُضلوا.

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، الإمام أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، ١٠/١٨٣، ط٧(مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ)

(٢) الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ص ٤٦-٤٧، ط١٧(المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، برقم(١٠٠)، ص (١/٣١) مرجع سابق، ومسلم في كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل، برقم(٢٦٧٣)، ص (٤/٢٠٥٨)، مرجع سابق.

المبحث الثاني

سمات دعاة الباطل الفكرية والتكوين المعرفي لهم وأبرز وجوه مخالفتهم لمنهج الحق

توطئة:

في محاولة منهجية علمية للتفريق بين السمات الفكرية والمعرفية تبين أن بينها تداخلاً كبيراً، فقد يقود الفكر إلى سلوك، وقد يتحول السلوك إلى تكوين معرفي قائم بذاته يصعب معه انفكاكه عن أصل كونه سلوكاً جبلياً فطرياً.

وكما أن الفكر ينبعث عن السلوك، فإن السلوك ينبني على الفكر الجبلي الأصلي، فالسمة الفكرية تنبعث من أصل سلوكي راسخ في نفس المتصف بها، كما أن التكوين المعرفي هو حصيلة اتجاه فكري.

وبناء على ما سبق سعى الباحث لذكر السمات الفكرية التي اتصف بها دعاة الباطل، ثم أعقبها بذكر التكوين المعرفي لهم في التالي:

أولاً: السمات الفكرية لدعاة الباطل:

يمكن النظر إلى السمات والصفات على أنها إما أن تكون صفات ذات أو صفات اكتساب.فالسمات الفكرية ذاتية، والتكوين المعرفي مكتسب.

وتلك السمات لا تكاد تخرج عن كونها فكرية تؤدي إلى جملة من الصفات المعرفية العقلية، ثم صفات سلوكية عملية تطبيقية.

والسمات الفكرية تُعد إحدى أهم بواعث الانحراف لدى دعاة الباطل، فهم ينطلقون من كون الانحراف لديهم نشأ بادئ الأمر بسبب خلل في الفهم والتصور، ثم تطور إلى الاعتقاد وأتبعوه بالعمل والسلوك الدعوي المتمثل بإغواء الناس وتزيين الباطل لهم من حيث زعموا إرادة الخير لهم، لأنهم ضلوا الطريق.

فكل من دعا إلى خلاف منهج رسول الله ﷺ وخلاف هديه فهو من دعاة الباطل الذين حذر منهم النبي ﷺ.

إن من أبرز سماتهم الواردة في حديث[1] حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنهم من جلدتنا وأنهم يتكلمون بألسنتنا، فالصفة الأولى أنهم من أبناء جلدتنا أي من مجتمعاتنا، والصفة الثانية أنهم يتكلمون بألسنتنا أي يتكلمون بالعربية، وهذا يزيد التأكيد على أن خطرهم أكبر وأشد، ولهذا جرت الفتنة قديماً وحديثاً، وهم قوم يهدون بغير هدي النبي الخاتم ﷺ؛ لأنهم تنكبوا سبيل الرشد، ولما قال: صفهم لنا؟ كان خشية أن يدركهم فأراد رضي الله عنه معرفتهم حتى يحذر سبيلهم.

من أبرز سمات دعاة الباطل الفكرية ما يلي:

اتباع الهوى:

و(الهوى ميل النفس وانحرافها نحو المذموم شرعاً)[2]، واتباع الهوى لا يأتي بخير؛ لأنه يصد عن الحق، والذي يسترسل في تحقيق مراد هواه لا

(١) انظر: نص الحديث الوارد في هامش رقم ٣ ، من ص ١١ من هذا البحث.

(٢) فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، ٢٢٢/١، ط٢(بيروت: دار الفكر، ١٣٩١م).

يبصر قبح فعله، ولا يسمع نهي من نصحه، وإنما يقع ذلك لمن يفرط في حب نفسه، لا يتفقد عليها[1]، وقد ذم الله الهوى في جملة من النصوص منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[2] وذم الله تعالى اتباع الهوى بقوله سبحانه: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3].

ويقول الحق سبحانه في التحذير من متابعة هوى النفس: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[4]، إذ فيه تحكيم لهوى النفس على ما جاء به الله ورسوله.

وقد ذم رسول الله ﷺ اتباع الهوى في قوله: (ثلاث مهلكات) وذكر منها: (وهوًى متبعٌ)[5]. واتباع الهوى أساس كل بلية (وبه يفسد

(١) انظر: عون المعبود، أبو الطيب عبد العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ١٣/٣٨، ط ٣ (بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٨٧.

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٥) رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما، برقم: ٥٧٥٤، ص ٦/٤٧، انظر: المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢(الموصل: مكتبة الزهراء، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم ١٨٠٢،ص ٤/١٢، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، بدون رقم الطبعة (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).

الدين، لأن فساده يقع بالاعتقاد بالباطل، أو العمل بخلاف الحق، فالأول البدع، والثاني اتباع الهوى، وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء، وبهما كذبت الرسل، وعصي الرب، ووجبت النار، وحلت العقوبات)[1].

واتباع الهوى كما أنه أحد أسباب وقوع دعاة الباطل في طريق الضلالة فهو صفة فكرية غالبة لهم، فتجدهم يغلبون الهوى على الهدى والضلالة على الرشد في شأنهم كله، وما ذاك إلا لفساد ما هم عليه.

الصدّ عن الحق:

وهو من أبرز سماتهم الفكرية؛ وهي إحدى نواتج سعيهم بالباطل فهم يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، وذلك بمعاداة دعاة الحق وصد الناس عن دعوتهم، ولهم في ذلك سلف كموقف مشركي قريش من دعوة النبي ﷺ.

والصد عن الحق هو النتيجة التي يرغب دعاة الباطل الوصول إليها، وما ذاك إلا لجهلهم وسوء طويتهم، ويأخذ ذلك عدة صور كالإضلال بالتلبيس على الناس دينهم بالدعوة للبدع، أو صد الناس عن سبيل الحق بإثارة الفتن، أو كتم العلم والبيان.

ومن صور الصد عن الحق؛ إظهار عيوب ومثالب ولاة الأمر والتشهير بهم على المنابر وفي كل الوسائل، ولأجل هذا بين النبي ﷺ لحذيفة رضي الله عنه لما سأله: ما المخرج؟ قال: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

---

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ٧٧٢/٤، ط١(مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ).

الغلو والجفاء والبعد عن التوسط:

الغلو ومجانبة الطريق الصحيح هو إحدى السمات الفكرية لـــدعاة الباطل، فهم لا يقرّ لهم قرار ولا يطمئنون إلا في أجواء الغلو والتطرف.

كما أن البعد عن التوسط إحدى سمات دعاة الباطل قديماً وحديثاً، فهم إما جانح نحو الغلو ومجاوزة الحد ؛ أو جنوحهم نحو الطرف المغاير في الجفاء وتمييع الدين والانسلاخ منه.بحجج عدة، ليس أقلـــها الوقـــوع في الإرجاء ، وتهوين المعاصي والذنوب في قلوب الناس.

فهم لا يحبون الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة فقال عز من قائل سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

ولهم شبه بمن سبقهم، كغلو اليهود الذين غلوا في دينهم فحرمـــوا على أنفسهم الذبائح كلها، ونهيهم عـــن أكـــل كـــل ذي روح علـــى الإطلاق[2]. كما أن لهم شبه بغلو النصارى الذين جانبوا الحق، قال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) انظر: الملل والنحل، محمد الشهرستاني، تحقيق: محمد الفاضلي، ص١٨٢، ط٥(بيروت: المكتبة العصـــرية، ١٤٢٩هـــ).

(٣)سورة الحديد، الآية: ٢٧.

ومن صور الغلو: الغلو في التكفير، وهو إحدى صور فعل دعاة الباطل المعاصرين فهم يستبيحون دماء المسلمين ويكفرونهم ويدعون لذلك بوضوح وعدم مواربة.

ميلهم للافتراق والاختلاف وسعيهم له:

إن من صور سمات دعاة الباطل المعاصرين جنوحهم نحو الافتراق وعدم الائتلاف ورغبتهم في الاختلاف وسعيهم له بكل الأحوال، فمرة تحت الرغبة في النصح، أو التوضيح والنصيحة، أو بتمجيد ذواتهم والدعوة لها.

ومن صور سعيهم في الافتراق: وقوعهم في مفارقة جماعة المسلمين، وهذه نتيجة طبيعية لمن يحكم هواه.ويرى أنه هو الحل، ويغيب عنهم بجهلهم وعدم فقههم، أن هذا رأس كل شر.

والحديث عن لزوم جماعة المسلمين في حديث حذيفة الشهير عن دعاة الباطل دليل على أن أغلب غي هؤلاء الدعاة وإضلالهم إنما هو في باب الإمامة ودعوتهم إلى الفرقة والافتراق.

فكانت الوصية النبوية بعدها: أن إذا أدركت ذلك فالتزم جماعة المسلمين وإمامهم، وحتى في انعدام وجود جماعة أو إمام عليك اعتزال تلك الفرق وإن كنت وحيداً والنهي عن إثارة الفتنة وتقحمها والبعد عنها ففيها الضلال والإضلال، وهو من الوصية الدائمة المستمرة أزمنة الفتن، فيجب الحذر من هؤلاء الدعاة والتحذير منهم.

السفه والاستعجال في الآراء بلا روية أو علم:

فدعاة الباطل قد بنوا تصورهم الفكري والمعرفي على السفه في الرأي، وعدم الصدور عن الحق، بل رائدهم في ذلك هو الهوى بلا دليل أو برهان. كما أنهم يتصفون بالاستعجال وهذا يأخذ عدة صور منها الاستعجال في بناء التصور والفهم الخاطئ، ثم الاستعجال في الأحكام، والاستعجال في العمل، والاستعجال في تحصيلا لثمرة، واستعجالا لمآلات.

وكل هذا ينافي مقاصد الشرع المطهر.

ومن صور السفه والاستعجال وفساد الرأي وضعف العقول ما فعله الخوارج بخروجهم على علي ﷺ دون تثبت ولا تفقه[1].

التنطع:

ومن صور التنطع لدى دعاة الباطل حرصهم على التزين بالدين على غير هدى، ومحاولتهم مخادعة المؤمنين بهذا السلوك، ومنهم من وصفه النبي ﷺ بقوله: (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم) و(يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية)[2].

---

(١) انظر: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية، غالب عواجي، ص ١٢٥-١٦٠، ط٣(دمنهور: مكتبة السنة، ١٤١١هـ).

(٢) صحيح الإمام البخاري ، باب: علامات النبوة في الإسلام،رقم الحديث (٣٦١٠) ،ص(٤/ ٢٠٠)، ونص الحديث: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو -

والتنطع في الدين له عدة هيئات، وقد حذر النبي ﷺ من مسلك التنطع وأهله فقال ﷺ: (هلك المتنطعون)[1].

الغرور:

الغرور في اللغة: الغفلة عن العاقبة.

اصطلاحاً: الخداع،وذكروا بأنه الشيطان، فالغرور: كل ما يغر الإنسان، وإنما أفرد بالشيطان لأنه أس ذلك[2].

وأعلى وأعظم الغرور الذي يدفع هؤلاء إلى إنكار الحق وتكذيب دعاته، كذلك الاستبداد برأيهم والاغترار به، ولعل هذا من أكبر مزالق دعاة الباطل بسبب اغترارهم بكثرة الأتباع والانصياع لرغائبهم.

الخداع:

من سمات دعاة الباطل خداعهم لأتباعهم والتلبيس عليهم، ويغيب عنهم أن أعظم الخداع في ذلك هو خداعهم لأنفسهم قبل أتباعهم بحيدهم عن طريق الحق.

- الخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: «وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ، قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ؟ فَقَالَ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ، - وَهُوَ قِدْحُهُ -، فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ».

(١) صحيح الإمام مسلم ،باب : هلك المتنطعون ،رقم الحديث (٢٦٧٠)،ص(٤/٢٠٥٥)، مرجع سابق.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، ١/٥٣٣(بيروت: دار إحياء التراث العربي).

الكبر:

الكبر: من كُبر، كصغر: عظم وجسم. والكبر، معظم الشيء، والشرف، ويضم فيهما، والإثم الكبير، والرفعة في الشرف، والعظمة والتجبر[1]. وهو: نقيض الصغر.

الكبر في الاصطلاح: عرف الرسول ﷺ الكبر فقال: (بطر الحق وغمط الناس)[2]، ووصفه القرطبي بقوله هو "الاستعظام"[3].والمقصود بالكبر هنا التكبر عن قبول الحق، وهو إحدى سمات دعاة الباطل، مما يجعلهم يتعصبون لمعتقداتهم الباطلة وانحرافاتهم المضلة، وهذا لا يحيلها إلى أن تكون حقاً.

سوء الظن:

وهو صفة ملازمة لهم، فلا يحملون الناس على أفضل المحامل، بل تجدهم يتبعون العثرات بلا طائل إلا رغبة في زيادة الأتباع وتبجيلاً لذواتهم.

وقد نهى الشرع المطهر عن الظن السيئ فقال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[4]، ومن ذلك سوء ظنهم بعباد الله المؤمنين، وحمل أقوالهم وأفعالهم على أسوأ محمل، دون التماس العذر لهم فيما يطاله العذر.

---

(١) القاموس المحيط، مادة (ك ب ر)، ص ٦٠٢، مرجع سابق.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه، رقم الحديث(٢٦٥)، ص ٥٤،مرجع سابق.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،٢٩٦/١ (بيروت: دار الكتاب العربي).

(٤) سورة الحجرات، الآية:١٢.

كثرة الخصومات وحب الجدال والمراء:

وهذه إحدى السمات الفكرية البارزة لدعاة الباطل، فهم يبحثون عن الخصومات واللجاج بغير حجة.

وهم معروفون بكثرة لجاجهم وجنوحهم نحو الخصومات والجدل، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾[1]، ويمكن معرفتهم (تعرف منهم وتنكر) فليس كل ما يدعون له هو باطل محض بل أغلبه مخلوط بين الحق القليل والباطل الكثير.

والمراء من سمات أهل البدع، وهذا مصداق قول النبي ﷺ:(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)[2]. والمراء في الحق والباطل وفي كل أمر هو سمة بارزة لدعاة الضلالة ودعاة جهنم، فقد تجد بعضهم أُوتي من ذلاقة اللسان والجدال بالباطل والتلبيس على العامة الشيء الكثير.

الإعجاب بالنفس:

وقد عد النبي ﷺ الإعجاب بالنفس من المهلكات فقال:(ثلاث مهلكات وثلاث منجيات، فإما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه...الحديث)[3].

---

(١) سورة محمد، الآية: ٣٠.

(٢) رواه الترمذي في كتاب التفسير، سورة الزخرف،٥/٥٥-٥٦، انظر: سنن الترمذي، عيسى بن محمد بن عيسى السلمي الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط٢(الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ). وقال: حسن صحيح، وابن ماجة في مقدمة سننه باب اجتناب البدع والجدل، برقم٤٨، انظر: سنن ابن ماجه، ط٢(الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ). وأحمد في مسنده، ٥/٢٥٢، انظر: المسند، أحمد ابن حنبل، ط١ (بيروت: دار الرسالة، ١٤٢٠هـ)، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/ ٩٨٤، مرجع سابق.

(٣) انظر: البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله،برقم:٦٤٩١،ص(١١٤/١٣)، ط١(المدينة المنورة: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٩هـ)، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٠٨، وقال: "رواه البزار واللفظ له والبيهقي وغيرهما، وهو مروي عن جماعة الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعهما حسن إن شاء الله تعالى".

إن العجب والغرور يدبان في بعض الناس، فيبلغان فيهم مبلغاً لا يتصور، فينشأ عنهما وقوع صاحبهما في الانحراف والابتداع في الدين، وتنكب الصراط المستقيم؛ إلى درجة المكابرة والإصرار على ما هم عليه من تناقض وانحراف[1].

والإعجاب بالنفس هو في الأغلب نابع من حب الذات والاستعلاء على الآخرين، وإضفاء كمالات على النفس ؛إما مبالغ بها أو لا أصل لها بالكلية[2].

ومنها الإعجاب بالرأي: وذلك بإيهام الأتباع بأنهم على حق، وأنهم على منهج صحيح.

والإعجاب بالنفس إحدى سمات دعاة الباطل وهي إحدى الصفات الفكرية التي يربون أنفسهم عليها من الاستعلاء على الآخرين وانتقاصهم وتسفيه آراء الخصوم والمخالفين، مع الإعجاب بآرائهم وتقديسها كما حذر النبي ﷺ من الإعجاب بالرأي (وإعجاب كل ذي رأي برأيه)[3].

---

(١) انظر: بداية الانحراف ونهايته، أبو النصر محمد بن عبد الله الإمام، ص ١٤٢-١٤٣، ط١(صنعاء: دار الآثار، ١٤٢٨هـ).

(٢) انظر:فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، ٣٠٧/٣، ط٢(بيروت: دار الفكر، ١٣٩١م).

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ومن سورة المائدة،٢٥٧/٥، مرجع سابق، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غريب»، من حديث أبا ثعلبة الخشني، ونص الحديث: (عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ، فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الآيَةِ؟ قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾[المائدة: ١٠٥] قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ).

وهو ما دفع الخوارج بتقتيل عباد الله المؤمنين الذين لا يوافقونهم على بدعتهم ورأيهم.

حب الظهور والرئاسة والجاه:

يقول ابن القيم رحمه الله- :(للرياسة سكرة كسكرة الخمر أو أشد، ولو لم يكن للرياسة سكرة، لما اختارها صاحبها على الآخرة الدائمة الباقية، فسكرتها فوق سكرة الخمر بكثير، ومحال أن يرى من السكران أخلاق الصاحي وطبعه) [1].

والأصل في التحذير من طلب الرياسة والشرف قوله ﷺ: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)[2]. وعلى الرغم من تحذير النبي ﷺ من هذا المسلك ونتائجه إلا أن أغلب دعاة الباطل المعاصرين يتهوكون في هذا المهوى الزلق دون وعي منهم، فيدفعهم هذا إلى جملة من السمات التي سبق الحديث عن بعضها كالكبر والحسد ومتابعة الأسلاف وطرائقهم واتباع الهوى وغيرها.

ومن نواتج حب الرياسة والتصدر أنه يكون سبباً في ارتكاب المحرمات من الحسد، والظلم، والبغي، والعدوان ونحوه، مما يوقع فيه هذا الحرص، ويستلزمه أحياناً. قال الفضيل بن عياض -رحمه الله-:(ما من

---

(١) بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم، ٣/ ١٠٦١، ط١(مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ).

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند، برقم:١٥٨٢٢، ٣/٤٥٦، مرجع سابق، والترمذي في سننه، برقم: ٢٣٧٦، ٤/٥٨٨، مرجع سابق، وابن حبان في صحيحه، برقم: ٣٢٢٨، ٨/٢٤، انظر: صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، كلهم عن كعب بن مالك، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

أحد أحب الرئاسة إلا حَسَدَ، وبَغَى، وتتبع عيوبَ الناسِ، وكرهَ أن يذكرَ أحدٌ بخيرٍ) [1].

السخرية والاستهزاء:

وهي سمة بارزة لدعاة الباطل، فحينما أعيتهم الحجج والبراهين وأدلة الحق عمدوا لركوب موجة السخرية من خصومهم والاستهزاء بهم شأنهم في ذلك شأن أئمة الضلال دوماً. قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [2] وقال سبحانه: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [3].

الحسد:

الحسد في اللغة: حسد يحسد ويحسده حسداً، وحسده: إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبهما [4].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد البر أبو الأشبال الزهري، ١/ ١٤٣ (بيروت: دار الكتب العلمية).

(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥-٦٦.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٤) انظر: القاموس المحيط، مادة: حسد، ص ٣٥٣، مرجع سابق.

وفي الاصطلاح: يعرفه القرطبي: -رحمه الله-بقوله:(أن تتمنى زوال نعمة الله عن أخيك المسلم)[1].

ومن أكبر الشواهد على ذلك حسد اليهود للعرب بإنكارهم دعوة المصطفى عليه الصلاة السلام لأنه من العرب وليس منهم فكفروا به حسداً.ويجنح الحسد بصاحبه لاستعظام الذات واحتقار الآخرين وخصوصاً الأقران.

كما أن الحسد يدفع بصاحبه لإنكار دعوة الخير، وما تحمله من الحق المبين.

ودعاة الباطل داخلون في هذا الخضم ويدعون له رغبة في إضلال الناس عن الحق القويم.

ومن سمات دعاة الباطل الفكرية ما يلي:

- قلة الإيمان وضعف الصلة بالله.
- ابتغاؤهم بعلمهم الدنيا، كما ورد في الحديث:(يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل)[2].
- تهييج العامة وإيغار صدورهم ضد مجتمعاتهم وولاة أمورهم رغبة في إحداث الفوضى.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،١/٧١، مرجع سابق.

(٢) جزء من حديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» صحيح الإمام مسلم، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ، رقم الحديث (١١٨)، ص(١/ ١١٠)مرجع سابق،.

- لي أعناق النصوص وتأويل فهمها فهم يعتقدون ابتداءً ثم يستدلون على هذا الاعتقاد في كثير من الأحيان بالباطل.
- تقحمهم الفتن والولوغ فيها.
- زيغهم عن الحق وطريق الهدى.
- إظهار الشفقة والألم على مآسي المسلمين واستعطاف العامة والتأثير فيهم بها.
- إحداث الفجوة بين العلماء والعامة.
- روح الانهزامية لديهم.
- الطيش والشطط.
- الغلظة والجفاء.
- الخداع والمراوغة.
- شق عصا الطاعة ومفارقة الجماعة.

ثانياً: التكوين المعرفي لدعاة الباطل:

مرّ معنا سابقاً بيان الصلة بين السمات الفكرية والسمات المعرفية لدعاة الباطل وكيف أن بينها ارتباطاً، فكل سمة من تلك السمات لها ما يعضدها من السمات الأخرى، وهكذا فإن التكوين المعرفي ناتج من نواتج الخلل الفكري ومحصلة له.

والحديث عن التكوين المعرفي لدعاة الباطل مما يحتاج له في توضيح أسباب ما عليه القوم من الضلال والانحراف، ومحاولة إيجاد أفضل السبل في التعامل مع واقعهم والتحذير منهم.

فإذا عرفت أبرز سمات التكوين المعرفي لدعاة الباطل كان الفهم لحالهم أيسر وكلما خفي معرفة منطلقاتهم الفكرية وتكوينهم المعرفي قل جانب القدرة على التعامل معهم والتحذير من عملهم.

ومن أبرز تلك المكونات المعرفية لدعاة الباطل التالي:

١- قلة الفقه في الدين:

إن من أولى صور الخلل في التكوين المعرفي لدعاة الباطل ضعف البناء العلمي والمعرفي لهم ومن هنا جاء لديهم الخلط في الأحكام والتصورات.

من صور غيّ دعاة الباطل قلة فقهم في الدين، وهو المقتل الذي وقعوا فيه؛ فهم تصدروا للدعوة والوعظ وغاب عنهم : (تفقهوا قبل أن تسودوا)[1].

فلوا أنهم تعلموا وتفقهوا لما ساقهم ذلك إلى طريق الغواية والإغواء ولعلموا علماً يقينياً أنهم يهدون بغير هدي النبي ﷺ ويستنون بغير سنته.

٢- الجهل:

والجهل هو(اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه)[1]، ومهما كان نوع الجهل، فهو شر، لأنه يحول بين المرء وبين الاستسلام لله والانقياد له

---

(١) من حديث عُمَرُ بن الخطاب ﷺ: «تَفَقَّهُو اقَبْلَ أَنْ تُسَوَّدُوا» قَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ: «وَبَعْدَ أَنْ تُسَوَّدُوا وَقَدْ تَعَلَّمَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِي كِبَرِ سِنِّهِمْ» انظر: صحيح الإمام البخاري، بَابُ الِاغْتِبَاطِ فِي العِلْمِ وَالحِكْمَةِ، (١/ ٢٥) مرجع سابق.

سبحانه بالإذعان والطاعة، ويقطعه عن إقامة دينه على الوجه الذي شرعه الله تعالى؛ ولذلك كان الجهل أصل الشر كله.قال شيخ الإسلام ابن تيمية:(والجهل والظلم هما أصل كل شر)[٢]، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[٣]، ونتيجة لجهل دعاة الباطل بما أمرهم الله به فقد اتبعوا المتشابه من نصوص الكتاب والسنة، وتركوا المحكم منها، كذلك أخذوا ببعض الأدلة والنصوص وتركوا البعض، و لم ينظروا في عواقب أفعالهم، فأصبحوا دعاة لطوائف وجماعات وأحزاب، يقولون بغير علم، فضلوا في أنفسهم، وأضلوا غيرهم، كما قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً، ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤوساً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا، وأضلوا)[٤] فضعف العلم والجهل هو سبب الضلال المبين، فبيئات الجهل هي البيئات التي ينشط فيها دعاة الضلالة والإضلال، وبيئات العلم والعلماء فيها يضعفون ويتلاشون، فلا إمكانية لبث جهلهم وضلالهم فيها.

---

(١)التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري،١٠٨/١، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي،٣٧/١، ط٢(القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩هـ).

(٣)سورة الأحزاب، الآية:٧٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، رقم الحديث(١٠٠)، ص ٢٣، مرجع سابق.

هذا وقد (تسلَّط بعضُ دعاةِ الباطل وأئمةِ الضلال فزيَّنوا للناس دعاءَ الأحجار والتعلُّقَ بالقبور، والتقدُّمَ إليها بأنواع القرابين والنذور)[1].

وأخطر ما على الأمة الدعاة الجهال الذين لا يعرفون العلم ويدعون الناس بجهل وضلال، أو الدعاة المغرضون الذين يعرفون الحق لكنهم مغرضون يريدون صرف الأمة عن جادة الصواب.

ومدار هذا الجهل هو مباشرة الدعوة والتصدر لها بلا علم أو فقه.

((دُعَاة على أبواب جهنَّم))، وهذا يُنبِّه إلى خطورة الدعوة، وأثرها ودورها؛ في صلاح المجتمعات وخيريتها، أو هدمها وإفسادها، ومنها الجهل بالكتاب والسنة، وسوء الفهم لمعانيهما؛ كما قال ﷺ: (يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم)[2].

٣- الخلل في منهج الاستدلال:

إن الخلل في الاستدلال ينتج عنه تضييع للعلم والدين معاً، ودعاة الباطل لديهم هذا التكوين المعرفي الخاطئ في منهج الاستدلال.

وله عدة صور، أهمها:

١- الاعتداد بالرأي في مقابل إقصاء النص، أو تقديم الرأي على النص الصريح.

---

(١) فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ٢/ ١٢٠، ط٢(الكويت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

(٢) جزء من حديث عند الإمام مسلم ، ونص الحديث: (قَالَ عَلِيٌّ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، صحيح الإمام مسلم، باب التحريض على قتل الخوارج، رقم الحديث (١٠٦٦)، (٢/ ٧٤٨) مرجع سابق.

٢- التأويل المذموم لنصوص الكتاب والسنة بدافع الهوى ولي أعناق النصوص كي تتوافق وتوجههم الفاسد.

٣- الجرأة على تحريف النصوص بما يخدم منهجهم وجهلهم.

٤- التقليد والتعصب:

التقليد هو :(قبول الحق من غير دليل)[١]، أما التعصب فهو: (تقديم القول المختار على غيره من الأقوال، واتخاذه حجة ملزمة للآخرين لا يجوز مخالفته)[٢]، وهذا جائز في حق العامي (الذي لا يعرف طرق الأحكام الشرعية فيما لا يعلم إلا بالنظر والاستدلال من الأحكام)[٣].

والتقليد المحرم على ثلاثة أوجه[٤]:

١- الإعراض عما أنزل الله، وعدم الالتفات إليه اكتفاء بتقليد الآباء.

٢- تقليد من لا يعلم المقلد أنه أهل لأن يؤخذ بقوله.

٣- التقليد بعد قيام الحجة، وظهور الدليل على خلاف قول المقلد.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٦٩/٦(بيروت: دار الآفاق الجديدة).

(٢) أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، ص٢٦، ط١(القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ)

(٣) الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل يوسف العزازي، ١٢٨/٢-١٣٢، ط١(الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٥هـ).

(٤) إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تعليق: طه عبد الرؤوف سعد، ١٨٢/٢(مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٠هـ).

ودعاة الباطل هم دعاة الإضلال إذ يتخذون من قسر أتباعهم لتقليدهم باباً مشرعاً للتلبيس عليهم ودعوتهم للبدع والضلالات.

والتعصب للرأي هي صفة غالبة لدى دعاة الباطل فهم لا يتراجعون عن شيء قالوا به أو رأي صدر عنهم، بل نجد أحدهم ينافح عما يقول إلى آخر مدى. ويندر أن يتراجع منهم أحد إلا من حق عليه الهدى بعد الضلال.

ومن منهج الإسلام معرفة الحق بدليله لا تقليد الغير بلا دليل، ومما يتصف به دعاة الباطل بكافة صوره وقوعهم في التقليد الأعمى والتعصب للأشياخ؛ ثم إلزام أتباعهم بما هم عليه من الباطل والضلال، ثم التعنيف على من أراد البحث عن الحق بدليله والتضييق عليه، ونعته بأبشع الأوصاف والنعوت.

٥- التشبث بما كان عليه الآباء والأجداد من المعتقدات الباطلة.

ولعل هذا الأمر هو أحد الدوافع التي تدفع دعاة الباطل لأن يوغلوا في باطلهم، وعدم تركهم لما كان عليه أسلافهم من الضلالة فيكبر في نفوسهم تركه مع استبانة سبيله لهم.وهذا من الضلال المبين الذي حذر منه الشرع المطهر أيما تحذير، ففيه الخسران المبين قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [1].

(١) سورة الزخرف، الآية:٢٣.

٦- تقحمهم الفتن والولوغ فيها.

إن لدعاة الباطل جرأة في السعاية في تقحم الفتن بكافة صورها وهيئاتها، فهم لا يتورعون عن إثارة الفتن وإشعال نارها ثم دخولهم فيها كمنظرين لها ومحامين عنها. وهذا يدل على فساد مسلكهم وبطلانه.

وقد دلت النصوص الكثيرة على التحذير عن مواطن الفتن حتى يسلم للمرء دينه ودنياه، وأن لا يكون حطباً لتلك الفتنة، وقد ذكر النبي ﷺ أن في آخر الزمان تكون فتن جسام وملاحم ،وفصل الخيرية للناس فيها بين ساعٍ فيها ومتوقف ومعتزل وفار بدينه.

٧- الاعتداد بالباطل وتعظيمه:

من أنواع الخلل في التكوين المعرفي لدعاة الباطل والذي استحال لسلوك لا ينفك عنه اعتدادهم بالباطل وتعظيمه في نفوسهم ونفوس أتباعهم، وهذا من أعظم الضلال أن يرى المرء أنه على غير هدى ثم يعتز به وينافح عنه خشية الناس أو رغبة في الدنيا وحظوظها.

٨- التعالم:

إن التعالم من الأدواء التي يسعى الشيطان لبثها في نفوس دعاة الباطل، لأنه يفضي بصاحبه إلى الضلالة والانحراف، وأصحابه يلبسون لباس الدين، ويضربون الدين بالدين، وهم من الذين ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[1]، وهذه الآيات عامة في كل من عبدالله على غير هدي صحيح يحسب أنه مصيب فيه، وأن عمله مقبول وهو مخطئ[2].

أبرز وجوه مخالفة دعاة الباطل لمنهج الحق:

إن لمخالفة منهج الحق لدى دعاة الباطل عدة وجوه يعرفون بها ويتميزون ومن خلال هذا المحور سيتم تسليط الضوء على أبرز تلك الوجوه التي يندرج تحتها ما دونها من وجوه عدة.

- مباينتهم المنهج الصحيح في الدعوة إلى الله واتخاذهم منهجاً مبتدعاً وطريقة ضالة لا يسندها دليل صحيح.
- انحرافهم في قواعد الاستدلال والنظر.

وبيّن سبحانه أن جماع صفات دعاة الباطل أنه الكفر، ومآل دعواهم هو الضلال والبوار، فقال تعالى: ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣-١٠٤.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١١/١٤٤، مرجع سابق.

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٤.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٥.

المبحث الثالث

السبل المعينة في التحذير من دعاة الباطل المعاصرين

بعد الاستعانة بالله تعالى فإن هناك سبلا كفيلة في التحذير من دعاة الباطل المعاصرين، وفي هذا المبحث سيتم الحديث عن أهمها.

فقد اعتنى السلف الصالح - رحمهم الله - بتبيين سبيل المجرمين، والتحذير من مناهج المبتدعين، وأصناف الزائغين، وقد قاموا بذلك نصرة لدين الله، وأداء لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذباً عن حياض الدين ألا يدخل فيه ما ليس منه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:(ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل للإمام أحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف، أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه منهاجه وشرعته، ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن

هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء) [1].

ودعاة الباطل يزينون باطلهم بعدة طرق وسبلهم في ذلك كثيرة، إلا أن أخطرها قاطبة ما تلبس بلبوس النصح والديانة، حيث يقومون بإضلال الناس باسم الدين، زيغاً منهم، ومن صور ذلك تهييج الفتن في المجتمعات الآمنة.

ويمثلهم في العصور الأولى إلى وقتنا المعاصر دعاة الخوارج، فهم دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها.

فهم لم يقتصروا على الباطل في ذوات أنفسهم بل يدعون إلى النار قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾[2]. من هنا وجب التحذير منهم.

إن كل من دعا إلى ضلالة أو بدعة أو فتنة أو شر فهو مقتف أثر دعاة الباطل، فبدعة الخروج على الأئمة أعظم ما أضّر بالأمة الإسلامية على مر العصور وتعاقبها، ومن أصناف دعاة الباطل من يدعو إلى ضلالة وبدعة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة مصداقاً لقول النبي ﷺ في الحديث عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ يَتَّبِعُهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم،٢٨/٢٣١-٢٣٢، ط١(الرياض: ١٣٨١هـ).

(٢) سورة القصص، الآية: ٤١.

وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ يَتَّبِعُهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)[1] ويدخل فيه كل داعية إلى بدعة مضللة أو فتنة مزيفة أو فهم معوج.

ومن السبل المعينة في التحذير من دعاة الباطل المعاصرين النهي عن مجاراتهم في دعوتهم، أو الاستماع لهم، أو تبني ما يدعون له، بل أمر الله سبحانه بالاستسلام له تعالى وحده فهو رب العالمين ورب الإنس والجن أجمعين، فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

وبيّن حقيقة ما يدعون إليه إذ به الضرر المحض والخسارة البينة، ولا نفع فيه، قال تعالى: ﴿ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾[3]، وهذا يدعونا إلى التحذير من غشيان مجالسهم، أو الاستماع لهم.

يقول ابن بطة -رحمه الله- في شأن أهل البدع:(ولا تشاور أحداً من أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك، وإن أمكنك أن لا تقربه في جوارك. ومن السنة مجانبة كل من اعتقد شيئاً مما ذكرناه -أيمن البدع- وهجرانه والمقت له، وهجران مَنْ والاه ونصره وذبَّ عنه وصاحبه وإنْ

(١) أخرجه الترمذي في سننه، وقال «هَذَا حَدِيثٌ حسَنٌ صَحِيحٌ»، باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة، رقم الحديث (٢٦٧٤)٥/ ٤٣، مرجع سابق.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ١٣.

كان الفاعل لذلك يظهر السنة).[1] فهم لم يقتصروا على الشر على أنفسهم بل يدعون الناس إليه فاستحقوا وصف: "أئمة يدعون إلى النار" .

ودعاة الباطل يحرضون الناس على:

- الخروج على الولاة.
- شقّ عصا الطاعة.
- مفارقة الجماعة.
- نزع البيعة من أعناقهم.

(فهناك دعاة التبديع والتكفير والتفسيق العام والخاص، والذين ارتحلوا منهج الغلو والإفراط، وراحوا يحكمون على الناس وفق ذلك وبطريقة أبعد ما تكون عن منهج الله وعن مبادئ الإسلام وسننه، ونتيجة لذلك صار بعضهم ضحية لهؤلاء الدعاة الواقفين على أبواب جهنم، وحطباً يوقدون بها نارهم ويشعلون بها فتيلهم)[2].

وكان عبد الله بن سبأ رأس الفتنة يقول لأتباعه: انهضوا في هذا الأمر بالطعن في أمرائكم.

---

(١) الإبانة الكبرى، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ) ص٢٦٢، حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل الطبعة: الأولى (الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع،١٤١٥ هـ)

(٢) وقفات مع حديث حذيفة بن اليمان ﷺ في الفتن وسبل النجاة منها، سليمان بن عبد الله أبا الخيل، ص ٢٥(الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

إن دعاة السوء والضلال يقودون الناس إلى مهاوي الردى والعجز والجهالة، فهم لما كانوا جهلاء في ذوات أنفسهم دعوا الناس للجهل والغي والضلالة، فدعاة الباطل لا يقتصرون على الشر في ذوات أنفسهم بل يدعون الناس إلى هذا الشر خداعاً وإضلالاً.

ومن دعاة السوء دعاة الانحراف الفكري وتعمد الإضلال عن قصد، هدفهم في هذا إفساد المجتمع وإضلاله بدعواتهم المريضة المنحرفة.

وكل من دعا إلى ضلالة أو بدعة وكل من دعا إلى فتنة فهو داخل دخولاً أصلياً في دعاة الباطل.

وحيث إن أعظم الفتن فتنتان: فتن الشبهات، وفتن الشهوات، فأما الأولى فعلاجها العلم وأما الثانية فعلاجها الإيمان والتقوى.

ودعاة الباطل هذا ميدانهم في الدعوة لهاتين الفتنتين؛ بالتلبيس على الناس دينهم وإضلالهم، أو دعوتهم إلى شهوات الدنيا وزخرفها.

ولما كان من منهجهم تأجيج العواطف وشحن النفوس عبر أساليب ملتوية من تزيين القول وتزييف الحقائق. كان من الضروري التأكيد على ترسيخ مبادئ الجماعة في الأنفس والمجتمعات. إن تحقيق الاعتصام من غائلة دعاة الباطل هو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية:١٠٣.

- وتجميل المعاصي وتبديل أسمائها من صور سعاية دعـــاة الباطـــل المعاصرين.

وقد قسَّم الإمام ابن القيم الناس في معرفة الحق وأهله والباطل وأهله إلى أربعة أقسام فقال -رحمه الله-: (والناس في هذا الموضع أربع فـــرق: الفرقة الأولى: من استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصـــيل علماً وعملاً،وهؤلاء أعلم الخلق. الفرقة الثانية: من عميت عنه السبيلان من أشباه الأنعام، وهؤلاء بسبيل المجرمين أحضر ولها أسلك. الفرقة الثالثة: من صرف عنايته إلى معرفة سبيلالمؤمنين دون معرفة ضدها، فهو يعـــرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة، وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل، وإن لم يتصوره على التفصيل، بل إذا سمع شيئاً مما خالف ســـبيل المؤمنين صرف سمعه عنه، و لم يشغل نفسه بفهمه ومعرفة وجه بطلانه)[1]

فطلب حذيفة ﷺ معرفة أوصاف دعاة الفتنة ليحذرهم.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله -:(لا شك أن الواجـــب هو منع دعاة الباطل، وهم الذين يضايقون أهل العلم والخير، وربما جـــرَّ ذلك إلى منعهم من المساجد بأسباب دعاة الباطل فيُمنع غيرهم بأسبابهم، فإذا مُنع أهل الباطل؛ استقام الطريق، واتسع المجال لدعاة الحق)[2].

(١) الفوائد لابن قيم الجوزيه، ص: ١١١، الطبعة الثانية (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣ هـــ -١٩٧٣ م)

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز، ٥/ ٢٥٢ ، الطبعة الثانية (الريـــاض: رئاســـة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٣ هـــ).

قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾[1].

وفيه بيان وصف دعاة الباطل وقرنائهم، ودعاة الحق وأوليائهم، بما يوضح سماتهم للناس جميعا في جميع العصور:

(أما دعاة الباطل فمن شأنهم إغواء الخلق، وإغراؤهم على مقاومة الحق، وهم مع تزون بالباطل الذي هم عليه، مصرون على التمسك به، لايحاولون أن يعيدوا فيه النظر، ولا أن يستبدلوا به غيره أبداً، وبحكم الغواية التي اختاروا طريقها لايجدون لهم أي أنس أومتعة في الحياة، إلا في معاشرة قرناء السوء ومتابعتهم، والثقة بوساوسهم في جميع الشؤون)[2].

ويدخل في وعد الشيطان وأمانيهم أي كون من أوليائه من الإنس، وهم قرناء السوء الذين يزينون للناس الضلال والمعاصي، ويمدونهم في الطغيان وينشرون مذاهبهم الفاسدة وآراءهم الضالة التي يبتغون بها الرفعة والجاه والدنيا والمال، وهؤلاء يوجدون في كل زمان ومكان.

(وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُوراً) أي: (وما يعدهم الشيطان إلا باطلا يغترون به ولا يملكون منه مايحبون، فيزين لهم النفع في بعض الأشياء وهي مشتملة على كثير من الآلام والمضارّ فالزاني أوالمقامر

(١) سورة فصلت، الآية: ٢٥.

(٢) تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ٥/ ١٦٢، ط١(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥ هـ -١٩٤٦ م).

أوشارب الخمر يخيل إليه أنه يتمتع باللذات بينما هو في الحقيقة يتمتع بلذائذ وقتية تعقبها آلام دنيوية طويلة المدى، وخيمة العواقب، إلى عذاب أخروى لاي علم كنهه إلا من أحاط بكل شيء علماً. وبعد أن بين حال أولياء الشيطان وما يعدهم به الشيطان-ذكر عاقبتهم فقال: (أُولَئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَلا يَجِدُونَ عَنْها مَحِيصاً) أي أولئك الذين يعبث بهم الشيطان بوسوسته، أو بإغواء دعاة الباطل من أوليائه، مأواهم جهنم لا يجدون عنها مهربا يفرّون إليه، إذ هم بطبيعتهم ينجذبون إليه اويتهافتون عليها تهافت الفراش على النار، فتصلى وجوههم وجنوبهم وظهورهم).[1]

ورغم وضوحِ هذا الأمرِ وكثرةِ الشواهد عليه، وظهور دلالتها على ذلك إلاَّ أنَّ مِن الناس مَن لا يزال يفتُ في عضدهم دعاةُ الضلال وأئمةُ الباطل، فيُ شبِّه ونعليهم الأمورَ، ويلْبسون عليهم الحقائق، ويزيِّنون لهم الباطل، وقد خاف النبي ﷺ على أمَّته من الأئمَّة المضلِّين، وهذا الذي خافه النبي ﷺ على أمته قد وقع في بعض فترات التاريخ، حيث تسلَّط بعضُد عاةِ الباطل وأئمةِ الضلال فزيَّنوا الباطل للناس[2]

وإنما الغرض التنبيه على أن دعاة الباطل المخالفين لما جاءت به الرسل يتدرجون من الأسهل والأقرب إلى موافقة الناس إلى أن ينتهوا إلى هدم الدين بالكلية والقضاء عليه.

---

(١) انظر: تفسير المراغي، مرجع سابق ،٥/١٦٢.

(٢) انظر: فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ٢/ ١٢٠، ط٢(الكويت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).

ومن السبل المعينة على تجنب الوقوع في حبائل دعاة الباطل:

- الفقه في الدين.
- الصدور عن رأي العلماء الراسخين والالتفاف حولهم؛ فهم ينظرون إلى الأمور من منظار الشرع المطهر لا الهوى والعواطف.
- اعتزال مواطن الريب والفتن.إذ أن الدفع أولى من الرفع كما قيل.

ويمكن تلخيص السبل في التالي:

- البعد عن مجالسة دعاة الباطل والاستماع لهم. ففي قوله ﷺ في حديث حذيفة الشهير: (على أبواب جهنم)، تحذير عظيم من مغبة الإنصات والاستماع لهؤلاء الدعاة، فإن مصيره سيكون عذاب الله وسخطه يقول الشيخ ابن باز – رحمه الله –: (الواجب الحذر، فدعاة الباطل كثيرون، والمشيعون للباطل كثيرون، فالواجب التثبت وعدم الإصغاء إلى أهل الباطل والإشاعات الباطلة)[1].
- بيان عوار منهجهم وأنه مخالف لمنهج النبي ﷺ والسلف الصالح.
- الرد على شبههم وتفنيدها بالدليل والبرهان والحجة.
- لزوم جماعة المسلمين والتحذير من مفارقة الجماعة، إذ إنها سبب كل شر.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز، ٩/ ١٠٦، مرجع سابق.

- قيام من ولاه الله أمر المسلمين بالأخذ على أيدي دعاة الباطل ومنعهم من إضلال الناس والاحتساب عليهم لاقترافهم هذا المنكر الشنيع. يقول الشيخ ابن باز – رحمه الله –: (لأن الناس في أشد الحاجة إلى قمع المبطل ونصر الحق، ونصر المظلوم والقضاء على الظالم ولاسيما في هذا العصر، الذي اشتدت فيه غربة الإسلام وكثر فيه دعاة الباطل، وانتشرت فيه أنواع الإفساد في غالب المعمورة، واختلط الحابل بالنابل والظالم بالمظلوم، والمفسد بالمصلح والجاهل بالعالم)[1].

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز،٢٣/ ٤٣١، المرجع السابق.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته سبحانه تتم النعم، حيث اكتمل هذا البحث الذي عُني ببيان بعض من سمات دعاة الباطل المعاصرين ،حيث تبين من خلال محاور البحث جملة من سمات دعاة الباطل التي تميزهم عن غيرهم من الدعاة، وقد أظهرت فساد ما هم عليه وزيغ منهجهم، وقد حاول البحث بيان بعضاً من أسباب انحرافهم عن المحجة البيضاء ومفارقتهم لمنهج السنة والجماعة وأئمة الهدى في باب القيام بواجب الدعوة وانحرافهم عنه، وكيف أنهم خالفوا هذا المنهج واتصفوا بجملة صفات وسمات أبعدتهم عن منهج الحق، وقربتهم لمنهج الباطل، وكان نتيجة ذلك ضلالهم وإضلالهم لغيرهم، وأن كانوا سبباً في تفرق أمة الإسلام وإضلال بعضها، حيث استحقوا بكل جدارة وصفهم بدعاة جهنم.

النتائج:

- أن سبب كل ضلال هو الجهل، ومن ذلك جهل دعاة الباطل فكانوا سبباً في إضلال الناس ودعوتهم لجهنم.
- أهمية الفقه في الدين وأنه هو السبب الرئيس في نجاة المرء في شأنه كله.
- أن في اتباع الهوى زيغاً عن الهدى وتنكباً عن الصراط المستقيم، إذ أن الهوى يقود دعاة الباطل في كل زمان ومكان.
- أن خير الهدى هدي محمد ﷺ الذي وصى بالجماعة وحذر من الافتراق.

- الحذر من الفرقة واتقاء الفتنة ودعاة الضلال دعاة النار.
- التأكيد على أن المخرج من الفتن في الاعتصام بأوامر الله والحفاظ على الجماعة.
- أن كل من دعا إلى ضلالة فهو داخل ضمناً في زمرة دعاة الباطل.
- أن حب الرئاسة والتصدر أحد دوافع دعاة الباطل المعاصرين، وهو سمة بارزة من سماتهم لا يكادون يتخلصون منها.
- أن التعصب للرأي والغرور وتسفيه الآخرين صفة لدعاة الباطل، كونهم يرون أنهم على الحق المبين الذي لا يماريهم فيه إلا جاهل سفيه.
- محاولة إبعاد الناس وتحذيرهم من دعاة الضلالة وخصوصاً تحذير النشء منهم ومسالكهم.
- لا يتم التحذير من أهل الأهواء إلا بذكر سماتهم ومخالفتهم لمنهج الحق.

التوصيات:

- أهمية اتجاه بعض الدراسات والأبحاث العلمية لتقصي الأسباب النفسية والاجتماعية التي تدفع دعاة الباطل لسلوك هذا المسلك، وكيف يتم التعرف على أفضل السبل لمعالجة انحرافهم.
- الحاجة لتوجيه بعض الدراسات الدعوية لبيان الظروف التاريخية التي دفعت لنشوء دعاة الباطل في بعض العصور وتكاثرهم في عصور أخرى.

هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- الإبانة الكبرى لابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ) حققه: د. يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل الطبعة الأولى(الرياض: دار الراية للنشر والتوزيع،١٤١٥هـ)
- الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن حزم، تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت: دار الآفاق الجديدة).
- أدب الطلب ومنتهى الأرب، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، ط١(القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥هـ)
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، ط٧(مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ)
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم، تعليق: طه عبد الرؤوف سعد، (مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٤٠٠هـ).
- أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل (القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية).
- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، ط١(مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ).

- اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني ابن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، ط٢(القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩هـ).
- البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ط١(المدينة المنورة: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٩هـ).
- بدائع الفوائد، شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم، ط١(مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ).
- بداية الانحراف ونهايته، أبو النصر محمد بن عبد الله الإمام، ط١(صنعاء: دار الآثار، ١٤٢٨هـ).
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (الكويت" المجلس الوطني للثقافة والفنون، ٢٠٠٤م).
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ).
- تفسير القرآن العظيم، للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي(بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، ٥/ ١٦٢، ط١(مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥ هـ -١٩٤٦ م).

- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبدالبر أبو الأشبال الزهري، (بيروت: دار الكتب العلمية).
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، (بيروت: دار الكتاب العربي).
- الجامع الصحيح للإمام البخاري،ط٢(الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ).
- الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية، غالب عواجي، ط٣(دمنهور: مكتبة السنة، ١٤١١هـ).
- الدعوة الإسلامية -أصولها ووسائلها-، أحمد غلوش (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٧م).
- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، ط١٧(المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، بدون طبعة (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ).
- سنن الترمذي، عيسى بن محمد بن عيسى السلمي الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرينط٢(الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ).
- سنن ابن ماجه، ط٢(الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ).
- صحيح البخاري، الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (الرياض: دار السلام، ١٤٢١ه).

- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢(بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م).
- صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط١(الرياض: دار السلام،١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
- عون المعبود، أبو الطيب عبد العظيم آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٣(بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ).
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن هلال عسكري، (دار الكتب العلمية،٢٠٠٨م).
- فقه الأدعية والأذكار، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط٢(الكويت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل يوسف العزازي، ط١(الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٥هـ).
- الفوائد لابن القيم الجوزيه، الطبعة الثانية(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣ هـ -١٩٧٣ م)
- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، ط٢(بيروت: دار الفكر، ١٣٩١م).
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ).
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم، ط١(الرياض: ١٣٨١هـ).

- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبد العزيز بن باز، الطبعة الثانية (الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٣ هـ)
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ).
- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ط١(الرياض: دار زمزم، ١٤١٤هـ).
- المسند، أحمد بن حنبل، ط١(بيروت: دار الرسالة، ١٤٢٠هـ).
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، سعيد علوش، ط١(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م).
- المعجم الكبير،أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢(الموصل: مكتبة الزهراء، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م).
- معجم مقاييس اللغة،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢(بيروت: دار الجيل، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
- الملل والنحل، محمد الشهرستاني، تحقيق: محمد الفاضلي، ط٥(بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٩هـ).
- وقفات مع حديث حذيفة بن اليمان ﷺ في الفتن وسبل النجاة منها، سليمان بن عبد الله أبا الخيل(الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م).

البحث رقم (٢)

مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي

(دراسة ميدانية تحليلية على عيّنة من مكاتب دعوة الجاليات في مدينة الرياض)

إعداد

د. لولوة بنت سليمان الغنام

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الجودة تعد مصطلحاً جديداً في وقتنا الحاضر كعلم قائم وفق معايير ونظم دقيقة، تهدف إلى رفع مستويات الأداء في أي مؤسسة ؛ سواء أكانت رسمية أم تطوعية، وقد ارتبط هذا المصطلح بعلماء معاصرين أسهموا بإبراز هذا المفهوم، وتطبيقه في واقع العمل مما أحدث نقلة كبيرة في مستوى الخدمة والإنتاج للمؤسسات التي التزمت بها، إلا أن الدين الإسلامي سبق مفكري وعلماء هذا العصر في وضع لبنات الجودة، والتأكيد على الالتزام بها بدءاً من إجادة العبادات التي هي بين العبد وربه، وانتهاء بالأعمال اليومية التي يقوم بها الفرد.

ولأن العمل الدعوي في أصله عبادة من أجل العبادات والطاعات بسمو هدفها؛ بدعوة الناس لعبادة الله رب العالمين؛ فإن تطبيق الجودة في مراحلها من الأهمية بمكان؛ سيما إذا كان العمل مؤسسياً يقوم على التنظيم والتخطيط لتحقيق هذا الهدف، وذلك بنشر مفهوم الجودة بين العاملين بها، والسعي إلى تطبيق مبادئها ومعاييرها التي تؤدي إلى التطوير والتحسين المستمر للعمل، ومع ما سبق من أهمية الموضوع؛ فإن من أسباب اختياره:

- ضرورة إبراز مبادئ إدارة الجودة الشاملة وفق أسس هذا العلم الحديث، مع ربطه بالعمل الدعوي الذي يقوم على أسس شرعية ثابتة.
- الحاجة لمعرفة واقع مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي، مع إلقاء الضوء على ما يعيق تطبيقها بهدف تلافيها من قبل العاملين في المؤسسات الدعوية.
- الحاجة لتحديد مواطن التفعيل والإعاقة لمبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي.

أهداف الدراسة:

- بيان مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي.
- التعرف على واقع مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي.
- إبراز معوقات تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي.

الدراسات السابقة:

من خلال البحث في قواعد المعلومات تبين للباحثة: أن موضوع مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي لم يطرح سابقاً؛ فغالب الدراسات تحدثت عن الجودة ومبادئها ومعاييرها، أو العمل المؤسسي بشكل عام، إلا أن أهمها فيما وقفت عليه في هذا الموضوع:

بحث: تطبيقات الجودة في الجمعيات الخيرية/ إعداد: د.عبد الله الخراشي [1].

والبحث في (٢٥) صفحة؛ وجاء لمعالجة موضوع تطبيق الجودة في الجمعيات الخيرية من خلال دراسة ميدانية شملت عشرين جمعية خيرية بمختلف مناطق المملكة، وقد ذكر الباحث بأن طبيعة البحث لا تحتمل التفصيل في وضع معايير تفصيلية قابلة للقياس لكل العناصر، بقدر ما هي إثارة للموضوع يرجى أن تتبعها خطوات عملية من المهتمين والمتخصصين، وقد تناول في بحثه: مفهوم الجودة، وأهدافها، ومتطلبات تطبيق الجودة؛ مثل: زرع الفكرة في ثقافة المؤسسة، والتعليم والتدريب، والاستعانة بالاستشاريين، والتشجيع والحفز، والإشراف والمتابعة. ثم تحدث عن خصائص الجودة ذات الصلة بالخدمات، ومجالات تطبيق الجودة في الجمعيات الخيرية؛ موضحاً أنه لا يمكن تقييد الجمعيات الخيرية بتطبيق الجودة بشكل شامل في جميع المجالات لأن عملها خيري، واقترح بعض المجالات التي يرى الباحث أهميتها مثل: مجال البرامج، ومجال القوى العاملة، ومجال الموارد المالية، ومجال محور التنظيم الإداري.

وفي المقابل فإن هذا الدراسة تتحدث عن مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي، وتسعى للتعرف على واقع تطبيقها، ومعوقات التطبيق من خلال دراسة ميدانية على عينة من مكاتب دعوة الجاليات في مدينة الرياض.

---

(١) البحث منشور في موقع المفكر الدعوية / www.dawahmemo.com.

التعريف الإجرائي لعنوان الدراسة:

القواعد الأساسية التي يرتكز عليها العمل الدعوي المؤسسي؛وفق مبادئ إدارة الجودة الشاملة العالمية[(١)] ؛ بهدف رفع مستوى إتقان العمل.

مناهج الدراسة وأداتها:

هذه الدراسة من الدراسات الوصفية القائمة على ثلاثة مناهج من مناهج البحث العلمي؛ وذلك لقيامها على جانبين: الجانب النظري، وفيه يتبع المنهج الاستقرائي؛ وهو:

« الحكم على الكلي بما يوجد في جزيئاته جميعاً... فالاستقراء يدرس بعض الجزئيات والظواهر بغية الكشف عن العلل و العلاقات التي تجمع بينها لنصل بهذا إلى معرفة القوانين العامة أو القضايا الكلية »[(٢)] .

أما الجانب الثاني فهو الجانب الميداني والذي يقوم على المنهج المسحي الذي يهدف إلى: وصف الظاهرة المدروسة من حيث طبيعتها ودرجة جودتها، والذي يمكن تطبيقه على مجموعة واحدة أو مجموعتين[(٣)] .

والمنهج التحليلي: « وهو المنهج الذي يعتمد على جمع المعلومات التي تتعلق بأي نشاط كان، ثم تحليل تلك المعلومات المجموعة لاستخلاص ما يمكن استخلاصه منها»[(٤)] .

---

(١) انظر التعريف بإدارة الجودة الشاملة ومبادئها في ص٦ من هذا البحث..

(٢) مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة / د. فرج الله عبد الباري، ص٤٦، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م..

(٣) انظر: المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية/ د. صالح بن حمد العساف، ص١٩١، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ..

(٤) مناهج البحث وكتابتها/ يوسف بن مصطفى القاضي، ص٨٩، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٤هـ..

ويتم جمع معلومات الدراسة من خلال أداة البحث: الاستبيان ؛ لجمع بيانات كمية وكيفية للإجابة على تساؤلات البحث.

مجتمع الدراسة وعينتها:

مجتمع الدراسة سيكون -بمشيئة الله- كما يلي:

مكاتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في مدينة الرياض، وتهدف هذه الدراسة إلى تعميم نتائجها على مكاتب الدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في المملكة العربية السعودية بشكل عام.

أما عيّنة الدراسة:

فهي تشمل مكاتب دعوة الجاليات في مدينة الرياض، بواقع (٥٦) عيّنة عشوائية من الأعضاء العاملين في أربعة مكاتب تمثل التوزيع المناطقي لمدينة الرياض وذلك كما يلي:

- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بشمال الرياض.
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالروضة.
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالشفاء.
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالبديعة.

تساؤلات الدراسة:

ستجيب هذه الدراسة -بمشيئة الله- عن التساؤلات التالية:

أ) التساؤلات المتعلقة بالجانب النظري:

- ما تعريف إدارة الجودة الشاملة، وما أبرز مبادئها؟

- ما المقصود بالعمل الدعوي المؤسسي، وما أبرز خصائصه؟
- ما مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي؟

ب) التساؤلات المتعلقة بالجانب الميداني:

- ما مدى الاهتمام بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي؟
- ما واقع مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي؟
- ما معوقات تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي؟

خطة الدراسة:

جاء هذا البحث في تمهيد ومبحثين كما يلي:

المبحث التمهيدي:

المطلب الأول: إدارة الجودة الشاملة، تعريفها، ومبادئها.

المطلب الثاني: العمل الدعوي المؤسسي، تعريفه، وخصائصه.

المبحث الأول: مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي:

المطلب الأول: وضوح الهدف من العمل الدعوي.

المطلب الثاني: الالتزام بالعلم والتعلم.

المطلب الثالث: إدارة فعالة للعمل الدعوي.

المطلب الرابع: كفاءة الداعي إلى الله.

المطلب الخامس: التركيز على المستفيد من الدعوة.

المطلب السادس: تحقيق الرقابة الوقائية في العمل الدعوي.

المطلب السابع: التحسين المستمر للعمل الدعوي.

المبحث الثاني:الدراسة الميدانية:

المطلب الأول: إجراءات الدراسة الميدانية.

المطلب الثاني: نتائج الدراسة الميدانية.

المطلب الثالث: تقويم الدراسة الميدانية.

الخاتمة: وتحوي خلاصة البحث، وأهم توصياته.

أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث التمهيدي

المطلب الأول: إدارة الجودة الشاملة، تعريفها، ومبادئها

يُعد مفهوم إدارة الجودة الشاملة من المفاهيم الإدارية الحديثة، الذي يختلف الباحثون في تحديده؛ تبعاً للسياق الذي يرد فيه باختلاف الجهات والمؤسسات التي تطبقه سواءً في الصناعة أم التجارة أم التعليم، وبالرغم من اختلاف الباحثين في تعريفه إلا أنهم يتفقون في أن الجودة تهتم بتحسين الخدمات بشكل مستمر؛ تبعاً لمتطلبات المستفيد وسعياً لتحقيق رضاه[(١)].

ومن التعريفات لإدارة الجودة الشاملة:

- عرف معهد المقاييس البريطاني British Standards Institute إدارة الجودة الشاملة بأنها: «فلسفة إدارية تشمل كافة نشاطات المنظمة التي من خلالها يتم تحقيق احتياجات وتوقعات العميل والمجتمع، وتحقيق أهداف المنظمة كذلك بأكفأ الطرق وأقلها تكلفة عن طريق الاستخدام الأمثل لطاقات جميع العاملين بدافع مستمر للتطوير»[(٢)].

- كما عُرفت بأنها: « منهج ومظهر من مظاهر العمل الإداري التعاوني الجماعي أساسه الرغبة والإصرار والسلوك الحميد القائم على

---

(١) انظر: الجودة تعريفات وتطبيقات / للأستاذ: عبدالعزيز عبدالله محمد المسعد، ص٨٠، (دون دار النشر)، ط٢، ١٤٣٣هـ، ومبادئ الجودة الشاملة في الإسلام وبعض تطبيقاتها في التعليم الإسلامي/ د. جمال محمد الهنيدي، ص١٥، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٢٩هـ.

(٢) إدارة الجودة الشاملة، مفاهيم وتطبيقات/ د. محفوظ أحمد جودة، ص٢٢، دار وائل للنشر، الأردن، عمان، ط٦، ٢٠١٢م.

المعرفة والخبرة، والمهارة المطلوبة والعمل بروح الفريق الواحد، من أجل التحسين المستمر لبيئة العمل، والتوظيف الأمثل للموارد المتاحة لرفع مستوى الأداء، وزيادة الإنتاجية وجودة الخدمات بشكل صحيح وبأقل التكاليف لتحقيق رضا المستفيد»[(١)].

إن إدارة الجودة الشاملة بمثابة التزام من المؤسسة بتقديم خدمات على مستوى عال من الجودة، مع الالتزام بالتحسين والتطوير حرصاً على رضا المستفيد، وهذه الفلسفة الإدارية جديرة بالعناية في العمل الدعوي المؤسسي على اختلاف اتجاهاته؛ لأنها تقوم على المنهج الإسلامي بشكل عام والذي يدعو إلى تجويد العمل وإتقانه.

ولأجل تحقيق الجودة الشاملة كسلوك في المؤسسات التي تقدم خدمات للآخرين يجب تطبيق مبادئها التي تقوم عليها، وعلى الرغم من أن تحديد مبادئ إدارة الجودة الشاملة جاء مختلفاً ومتنوعاً عند الباحثين، إلا أنه لا يكاد يخرج عن تصنيف إدوارد ديمنج[(٢)] لمبادئه الأربعة عشر المشهورة[(٣)]، وذلك كما يلي:

---

(١) إدارة الجودة الشاملة/ د. حامد بن مالح الشمري، ص٣٣ (د: دار النشر)، ط٢، ١٣٢٨هـ.

(٢) ويليام إدواردز ديمنغ (١٩٠٠-١٩٩٣) هو مهندس تصنيع أمريكي، حصل على الدكتوراه في الرياضيات والفيزياء، وقد عُرف بلقب "أبو الجودة" وذلك لما ساهم به في عالم الجودة والإدارة. سافر إلى اليابان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث وضع كل خبراته وطاقاته لإعمار اليابان، مقدما الاستشارات لتطوير الرقابة على الإنتاج والإعمار.. ونتيجة لكل ما بذله من جهود في خدمه البشرية في المجالات الإدارية فهناك العديد من الجوائز العالمية التي تأخذ باسمه في عالم الجودة الشاملة. انظر: موسوعة ويكيبيديا / http://ar.wikipedia.org/wiki.

(٣) هناك من جعل المبادئ ستة أو أربعة أو ثمانية على اختلاف بين الباحثين في علم الجودة كجوزيف جوردان، وفيلب كروسبي، وكاورو اويشيكاو، إلا أنهم يجمعون على تحديد المبادئ الأساسية التي جاءت ضمن مبادئ ديمنج. انظر: إدارة الجودة الشاملة/للأستاذ الدكتور: خالد بن سعد بن عبدالعزيز بن سعيد، ص٩٠، =

١- تحديد ونشر أهداف المنظمة.

٢- تبني الفلسفة الجديدة من خلال فهم الجودة والتحسين المستمر.

٣- عدم الاعتماد على الفحص الكلي(التفتيش عن الأخطاء)، والاستعاضة عنه بالرقابة الوقائية.

٤- الاعتماد على جودة المواد المشتراة، وليس على الأقل سعراً.

٥- تحسين نظام الإنتاج والخدمة باستمرار.

٦- الاهتمام بالتدريب.

٧- إيجاد القيادة الفعالة.

٨- إزالة الخوف من العاملين، وجعل أنشطتهم تتجه دوماً نحو معرفة المشكلات في الأداء، واعتبارها فرصة للتطوير والتحسين.

٩- تفعيل فرق العمل.

١٠- تجنب النصائح والشعارات الجوفاء.

١١- تجنب تحديد أهداف رقمية للعاملين؛ لأن ذلك يؤدي إلى تركيز العامل على الكم وليس الجودة.

١٢- دعم اعتزاز العاملين بعملهم .

١٣- تشجيع التعلم والتطوير الذاتي.

١٤- إحداث التغيير الملائم لدفع عملية التحويل، وذلك بإجراء التغييرات المناسبة في الهياكل التنظيمية؛ لأجل تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة[1].

= (دون دار نشر) ط٢، ١٤٣٣هـ وإدارة الجودة الشاملة، مفاهيم وتطبيقات / د. محفوظ أحمد جودة، ص٢٧، وإدارة الجودة الشاملة/ للدكتور: عبدالرحمن توفيق، ص٤٣، مركز الخبرات المهنية للإدارة، بميك، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٨م، وإدارة الجودة الشاملة / د. حامد بن مالح الشمري، ص٦١.

(١) انظر: إدارة الجودة الشاملة، مفاهيم وتطبيقات /.د. محفوظ أحمد جودة، ص٢٨، وللاستزادة حول مبادئ الجودة الشاملة: إدارة الجودة الشاملة/ للأستاذ الدكتور/ خالد بن سعد بن عبدالعزيز بن سعيد، ص٩٠، وإدارة الجودة الشاملة/ للدكتور: عبدالرحمن توفيق، ص٤٣.

إن إدارة الجودة الشاملة بمبادئها ترتكز على التكامل والتعاون مابين الإدارات والعاملين فيها بما يحقق توقعات المستفيد من الخدمة مع الالتزام بالتحسين الدائم، وهذا ما تتفق عليه مبادئ إدارة الجودة الشاملة على اختلاف تفصيلاتها .

المطلب الثاني: العمل الدعوي المؤسسي، تعريفه، وخصائصه:

إن العمل الدعوي المؤسسي ينقل الجهد الدعوي من الفردية إلى الجماعية، ومن الفوضوية للتنظيم ؛ وفق أسس وقواعد منهجية ثابتة لا ترتبط بالأشخاص، وإنما بالمنهج الإسلامي المتكامل الذي يقوم على الكتاب والسنة.

فهو: «كل تجمع منظم يهدف إلى تحسين الأداء وفعالية العمل لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل على لجان كبرى، وفرق عمل، وإدارات متخصصة؛ علمية ودعوية واجتماعية، بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرار، في دائرة اختصاصها»[1] .

كما أنه شكل من أشكال التعبير عن التعاون بين الناس، أو ما يطلق عليه العمل التعاوني، والميل لقبول العمل الجماعي وممارسته شكلاً ومضموناً، نصاً وروحاً، وأداء العمل بشكل منسق، قائم على أسس ومبادئ وأركان، وقيم تنظيمية محددة[2] .

---

(١) العمل المؤسسي معناه ومقومات نجاحه/ عبد الحكيم بن محمد بلال، مجلة البيان: العدد (١٤٣)، رجب (١٤٢٠هـ)، نوفمبر (١٩٩٩م)، المقال منشور في موقع جامعة أم القرى في الشبكة الإلكترونية/ http://uqu.edu.sa/page/ar/146404.

(٢) العمل المؤسسي/ د.محمد أكرم العدلوني، ص٢٠، قرطبة للإنتاج الفني، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.

فثقافة أعمال الخير تتهمش وتضمر لدى كثير من الناس، ما لم توجد النظم والقوانين التي تدعمها وتجسدها وتحميها من سلطة المادة التي تبتلع اليوم كل شيء، والعمل المؤسسي جدير بأن ينظم العمل وفق خطط وآلية تنفيذ دقيقة[(١)].

إلا أن مجرد التجمع على العمل وممارسته من خلال مجلس إدارة، أو من خلال جمعية أو مؤسسة خيرية، لا ينقل العمل من الفردية إلى عمل مؤسسي، فكثير من المنظمات والجمعيات الخيرية التي لها لوائح وأنظمة، ومجالس إدارات وجمعيات عمومية، إنما تمارس العمل الفردي، إذ إن المنظمة أو الجمعية لا تعني إلا شخصاً بعينه؛ فهو صاحب القرار، والذي يملك زمام الأمور، وهذا ينقض مبدأ الشورى والمشاركة الذي هو أهم مبدأ في العمل المؤسسي[(٢)].

إن أهمية العمل الدعوي المؤسسي تكمن في مجموعة من السمات والخصائص، التي تجعله مميزاً، منها ما يلي[(٣)]:

---

(١) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي/ أ.د.عبدالكريم بكار، ص٢٧٤، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (د:تاريخ النشر).

(٢) انظر: العمل المؤسسي، معناه ومقومات نجاحه /عبد الحكيم بن محمد بلال.مقال منشور في موقع جامعة أم القرى في الشبكة الإلكترونية/http://uqu.edu.sa/page/ar/146404.

(٣) انظر: العمل المؤسسي/د.محمد أكرم العدلوني، ص٢٢، ومقال: حتى تخرج دعوتك من نطاق الفردية/ د.أسماء الرويشد، المقال منشور في موقع لها أون لاين /http://www.lahaonline.com، وورقة العمل: العمل المؤسسي في المؤسسات والجمعيات الخيرية الواقع والإصلاح المنشود./ فاطمة العديساني،منشورة في موقع الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام - إنسان- http://www.ensan.org.sa/vb/showthread.php?t-8571/البناء المؤسسي في المنظمات الخيرية الواقع وآفاق التطوير/ محمد ناجي بن عطية- دراسة ميدانية قام بها الباحث على المنظمات الخيرية في أمانة العاصمة صنعاء – الجمهورية اليمنية-البحث منشور في موقع المفكرة الدعوية/ http://www.dawahmemo.com/show_d.php?id-1683.

- تحقيق مبدأ التعاون والجماعية، الذي هو من أسمى مقاصد الشريعة الإسلامية.
- تحقيق التكامل في العمل.
- دفع العمل نحو الوسطية والتوازن، فلا إفراط ولا تفريط وبعيداً عن الغلو والتمييع.
- ضمان استمرارية العمل، فلا يقف عند غياب الأشخاص.
- عموم نفعه لأفراد المجتمع؛ لارتباطه بالمؤسسات التي تكسب صفة الشرعية للمشاريع، والبرامج التابعة للمؤسسة، مما يفتح أمامها كثيراً من الميادين، ويسهل سياسة الانتشار.
- العمل المؤسسي بشكل عام يوضح الأهداف، وينظم العمل؛ لأنه يجبر على إيجاد التخصصات، وبالتالي يجبر العاملين على الوضوح وتحمل المسؤولية.
- يضمن العمل الدعوي المؤسسي اجتهاد الإدارة في اختيار أفضل الأساليب النظرية والإدارية، لتحقيق أو تقديم أفضل مستويات للخدمة، بالاستفادة من الجهود السابقة، والخبرات المتراكمة بعد دراستها وتقويمها.
- يضمن العمل الدعوي المؤسسي عدم تفرد القائد أو القيادة في القرارات المصيرية المتعلقة بالمؤسسة؛ وذلك بالقرب من الموضوعية أكثر من الذاتية بوضع معايير محددة وموضوعية للقرارات، مما يجنب العمل الدعوي المشاكل الناتجة عن القرارات الارتجالية.

- يؤكد العمل الدعوي المؤسسي جاهزية المؤسسة في تقديم القيادات البديلة في وقت الضرورة والطوارئ، حينما تدخل المؤسسة في أزمة تستدعي التغيير والتبديل.
- يضمن العمل الدعوي المؤسسي دعم المؤسسة بأفضل الموارد البشرية؛من خلال اتباع سياسة منظورة في الاختيار والتوظيف والتدريب والتأهيل، تحقيقاً للتنمية المهنية المستمرة. كما يضمن بأن جميع العاملين ملتزمون بمنظومة من القيم والمبادئ، يتمحور حولها أداؤهم وسلوكهم وعلاقاتهم الوظيفية والإنسانية بما يحقق أهداف الدعوة.
- يحافظ العمل الدعوي المؤسسي على الاستقرار النسبي المالي والإداري، من خلال اتباع مجموعة من نظم العمل(سياسات وقواعد وإجراءات) تعمل على تحقيق الأهداف بما يتفق مع رؤية المؤسسة، مقابل أن العمل الفردي يخضع للتغيير كثيراً، قوة وضعفاً، أو مضموناً واتجاهاً، بتغيير الأفراد واختلاف قناعاتهم، وقد يصل إلى وقف العمل الدعوي.
- ينقل العمل المؤسسي الدعوي المؤسسة من محدودية الموارد المالية إلى تنوعها واتساعها، فتتعدد قنوات الإيرادات، ويعرف الناس طريقهم إلى دعم المؤسسة عن طريق رسميتها ومشروعيتها.
- مواجهة تحديات الواقع بما يناسبها، وكيفية الاستفادة من منجزات العصر، دون التنازل عن المبادئ، وهذا الغرض لا يقوم به مجرد أفراد لا ينظمهم عمل مؤسسي.

- التجارب الكثيرة تؤكد أن العمل الذي يبنى بناءً مؤسسياً، ينتج أضعاف العمل الذي يبنى بناءً فردياً.

هذه الخصائص وغيرها تبين أهمية تنظيم العمل الدعوي وفق إدارة مؤسسية فعالة.

المبحث الأول

مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي

إن مبادئ إدارة الجودة الشاملة الأربعة عشر التي وضعها ديمنج كانت بمثابة انطلاقة للباحثين لتصور المبادئ التي يجب أن تقوم عليها الجودة في أي تنظيم إداري أو مؤسسي يهدف إلى تطبيق الجودة، وإلى تطوير هذه الثقافة التنظيمية، وفي العمل الدعوي المؤسسي يأتي هذا وفق رؤية شرعية توجب على العاملين الالتزام بها، وتحفزهم على تطويرها، والحد من المشكلات التي قد تعيق العمل الدعوي عن تحقيق أهدافه؛ وذلك بتطبيق المبادئ التالية:

المطلب الأول: وضوح الهدف من العمل الدعوي:

وهو ما يعبر عنه برسالة المؤسسة ؛ وتتكون صياغة الرسالة من ثلاثة عناصر هي: الرؤية، والرسالة، والقيم والمبادئ، وهذه المبادئ الثلاثة يمكن أن يصاغ كلٌ منها بشكل منفصل، أو تصاغ معاً في شكل متكامل.

فالرؤية بمثابة الغاية التي ترغب المؤسسة في تحقيقها، وتمثل الرسالة الطريق إلى تحقيق هذه الغاية، أما القيم والمبادئ فهي أساس أي عمل تقوم به المؤسسة، ولا يمكن التخلي عن القيم والمبادئ في سبيل تحقيق رؤية ورسالة المؤسسة[1].

(١) انظر: إدارة الجودة الشاملة / للدكتور : عبدالرحمن توفيق، ص٣٣٢.

وبشكل عام هناك نوعان من أهداف الجودة في العمل:

- أهداف تخدم ضبط الجودة: وهي التي تتعلق بالمعايير التي ترغب المؤسسة في المحافظة عليها على مستوى المؤسسة ككل.
- أهداف تحسين الجودة: وغالباً تنحصر في الحد من الأخطاء، وتطوير المنتج أو الخدمة.

ويمكن تصنيف الأهداف بنوعيها إلى خمس فئات:

أ - أهداف الأداء الخارجي للمؤسسة، وتتناول البيئة والمجتمع.

ب - أهداف الأداء للمنتج أو الخدمة، وتتناول حاجات الزبائن والمنافسة.

ت- أهداف الأداء للعمليات، وتتناول مقدرة العمليات، ومردودها، وفاعليتها .

ث- أهداف الأداء الداخلي للمؤسسة، وتتناول مقدرة المؤسسة، وفاعليتها، ومدى استجابتها للتغييرات ومحيط العمل.

ج- أهداف الأداء للعاملين، وتتناول المهارات، والمعارف، والمقدرات، والتحفيز، وتطوير العاملين[1] .

وجميع هذه الأهداف يجب مراعاتها في منظومة العمل الدعوي؛ وخاصة عند وضع خطط واستراتيجيات المؤسسة التي ستنتهجها لتقديم خدماتها للمجتمع، فمن المهم أن تكون رسالة المؤسسة واضحة ومهمة

---

(١) انظر: دليل عملي لتطبيق أنظمة إدارة الجودة الآيزو ٩٠٠٠ / للدكتور المهندس مأمون السلطي، ص١٢٦، والمهندسة سهيلا إلياس، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٩.

ويحتاج لها عدد كبير من الناس؛ كي لا يضيع الجهد الدعوي فيما لا فائدة منه، كما يجب تجنب وضع أهداف قد تعجز المؤسسة عن تحقيقها.

فالمؤسسة التي تعنى بدعوة الجاليات تختلف عن المؤسسة التي تهتم بالبحوث الدعوية، أو المؤسسة التي تسعى لتأهيل الدعاة، أو تهتم بالدعوة الإلكترونية وغير ذلك؛ فلكل مؤسسة هدفها التي تسعى لتحقيقه، وعدم تحديده أو غموضه يؤثر بشكل كبير على بقية المبادئ، ويوقع المؤسسة الدعوية في عدد كبير من المشكلات، ومن ذلك:

- عدم وجود مبرر لقيام المؤسسة واستمرارها بدون هدف واضح تسعى تحقيقه.
- ضعف التخطيط على مستوى البرامج، والدراسات، والعاملين، والخدمات، والتغذية الراجعة، وغير ذلك.
- التخبط والعشوائية في اختيار الاستراتيجيات المناسبة لتقديم الخدمات.
- عدم تحديد الفئة المستهدفة للخدمة، ويتبعها عدم القدرة على تحديد احتياجاتهم من أجل تقديم الخدمة الجيدة لهم.
- تأثر عملية التقويم وتحليل النتائج مما يعيق عملية التحسين.
- عدم القدرة على وضع خطط بديلة، أو تجاوز العقبات عند غياب الهدف.

- تعرض المؤسسة للتشكيك في أهدافها ومصالحها عند عدم وضوح الأهداف، مما يؤدي إلى عزوف العملاء عن الاستفادة من خدماتها، أو يعرضها للإيقاف؛ حفظاً للمجتمع من تجاوزاتها.

ولذا نلحظ أن الله جل شأنه يوضح الهدف من إرسال الأنبياء في أكثر من موضع في كتابه الكريم؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

فالهدف الأساس من العمل الدعوي: هداية الناس لعبادة الله وحده لا شريك له، وتأتي المؤسسات الدعوية مختلفة التوجهات والتخصصات لتحقيق هذا الهدف وفق رؤيتها ورسالتها الخاصة وفق قيم الإسلام ومبادئه، بما يحقق أهدافاً تفصيلية لا غنى للمسلمين عنها تحت إدارة تتسم بالوضوح والتخطيط للعمل المنهجي الدقيق، اعتباراً بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2].

المطلب الثاني: الالتزام بالعلم والتعلم:

وهو ما يعبر عنه بتبني المؤسسة والعاملين فيها للفلسفة الجديدة المتعلقة بالالتزام بالجودة، وتشجيع العلم والتعلم الذاتي للرفع من مستوى العمل، وكذلك التدريب المستمر، وهذه القاعدة أصل في الشريعة الإسلامية؛ لأن طلب العلم فريضة على كل مسلم، كما ورد في الحديث

(١) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٢) سورة الملك: ٢٢.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ...)[1].

وهو ما أكدت عليه الآيات في أكثر من موضع ؛ قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[3].

وهذا الأصل في الدعوة إلى العلم والتعلم يقودنا إلى مفهوم أصيل في ديننا الإسلامي الحنيف، والذي ينطلق من منظومة القيم الإسلامية الرصينة في الحرص على الدقة والإتقان في العمل، ويظهر ذلك في عديد من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة التي تدعو إلى الإحسان؛ كقوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[5].

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ح(٢٢٤)، وقال الإمام المحدث محمد بن ناصر الألباني(صحيح). انظر: سنن ابن ماجه/لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه العلاّمة المحدّث: محمد بن ناصر الدين الألباني، اعتنى بـه: أبو عبيدة مشهور ابن حسن آل سلمان، ص٥٦، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، (د: ت)..

(٢) سورة طه: ١١٤.

(٣) سورة المجادلة: ١١.

(٤) سورة البقرة: ١٩٥

(٥) سورة المائدة: ٩٣.

كما ورد في الحديث الشريف عن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: (إن الله كتب الإحسان على كل شيء...)[1].

إن الالتزام بهذا المبدأ في العمل الدعوي يحتم على المؤسسة أن تكون خططها واستراتيجياتها مبنية على علم ثابت ومتجدد؛ وفق أصول الشريعة، مع الحرص على نشر ثقافة الجودة عند العاملين فيها، وهذا يستلزم المجاهدة والصبر لتحقيق ذلك، وقد ذكر الإمام ابن قيّم الجوزية رحمه الله في درجات الصبر: «الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواماً، وبرعايتها إخلاصاً، وبتحسينها علماً»[2].

ومن أبرز جوانب هذا المبدأ:

- العلم بقواعد الشريعة وأصولها وفق رؤية تأصيلية من الكتاب والسنة، وخاصة فيما يتعلق بنشاط المؤسسة الدعوية التي ينتمي إليها الفرد.
- العلم بمبادئ الجودة ومعاييرها وأسسها وأهدافها بشكل عام، وربط ذلك بأهداف المؤسسة التي يعمل الفرد معها ورؤيتها، ورسالتها.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، ح(١٩٥٥)، انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/إشراف فضيلة الشيخ: صالح آل الشيخ، ص١٠٢٧، دار السلام، الرياض، ط٣، ١٤٢١ هـ..

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ج٢/١٦٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ.

- العلم بالاستراتيجيات المناسبة لتحقيق أهداف المؤسسة، ومدى مناسبتها للفئة المستهدفة من العمل الدعوي.
- الحرص على التعلم الذاتي والتطوير والتحسين في جميع عمليات العمل الدعوي في المؤسسة.
- الاهتمام بالتغذية الراجعة، والإفادة منها فيما يتعلق بتطوير جانب العلم والتعليم الدعوي؛ سواء أكان في جانب الإدارة أم الدعاة العاملين فيها.

المطلب الثالث: إدارة فعالة للعمل الدعوي.

إن التزام المرؤوسين بتخصيص الوقت الكافي لتطبيق الجودة، وتخصيص المؤسسة للموارد اللازمة لهذه المبادرة لا يعد كافياً للنجاح، فالفرد في الإدارة العليا يجب أن يكون متحمساً ومؤيداً لإدارة الجودة الشاملة، كما أنه يؤدي دوراً حاسماً في تنظيم الأعمال في عملية التطبيق، والمشاركة في التدريب، وإعطاء صورة ذهنية إيجابية لإدارة الجودة الشاملة في أذهان جميع العاملين في المؤسسة[1].

ومما يحقق مبدأ الإدارة الفعالة في العمل الدعوي، ما يلي:

أ- وجود القيادة الفعالة:

هناك مهارات أساسية يجب أن تتدرب عليها القيادة كي تكون فاعلة ومنتجة وذات أثر على مرؤوسيها ومن ذلك: التشخيص الفعال

(١) انظر: إدارة الجودة الشاملة / جوزيف جابلونسكي، تعريب: عبدالفتاح السيد النعماني، ص٧٣، مركز الخبرات المهنية للإدارة(بميك)، القاهرة، ١٩٩٦م. (د: رقم الطبعة).

للحاجات والمشكلات والمعوقات، مع القدرة على حلها واتخاذ القرارات، وكذلك مساعدة الأفراد على التطور والانسجام مع غيرهم، وإبداء الاهتمام بالعمل، وفهم حاجاتهم، كما يجب أن تكون القيادة قادرة على البقاء في عالم الإدارة، وأن يكون الهدف هو التكامل مع الإدارات الأخرى، وليس التنافس[1].

إن قادة العمل الإداري الدعوي يجب أن يكون لديهم تصور دقيق لأهداف المؤسسة ورسالتها، مع القدرة على الانسجام في منظومة العمل في جميع المراحل؛ كالتخطيط، واتخاذ القرارات، والتطبيق، والمشاركة في عملية التحسين، والقيادة الفعالة ليست بمعزل عن واقع العمل ومشكلاته والعقبات التي تعترضه، بل هي دائماً قريبة ولديها الحل المناسب والتصرف الجيد في كل موقف يعترض العمل الدعوي.

إن فاعلية القيادة لا تقتصر على اتخاذ القرارات كما هو شائع، وإنما يجب على القادة المشاركة مع الأفراد العاملين في كل خطوة تحقق مبادئ الجودة التي التزمت المؤسسة بتطبيقها، وفي المقابل ضعف القادة علمياً وإدارياً يؤثر سلباً وبشكل مباشر على المرؤوسين الذين ينتظرون تخطيطاً دقيقاً، ومتابعة منهجية للعمل تمكنهم من تطبيق الجودة بشكل صحيح.

---

(١) انظر: الجودة الشاملة في العمل الإسلامي/ م.بدوي محمود الشيخ، ص١٣٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.

ب- القضاء على الخوف:

من مهام الإدارة الفعالة في العمل الدعوي القضاء على معوقات التطور والتقدم ومن أهمها: الخوف من الفشل أو الخطأ أو التغيير؛ فعندما يخاف الفرد أن يخطئ لن يقوم بأي محاولة للتجديد، وهو مما يعيق عملية التحسين[1].

يجب على الإدارة أن تهيئ للعاملين معها مناخاً مناسباً للعمل بدون خوف من التبعات المتسلطة، ويمكن تحقيق ذلك باتباع منهجية واضحة تشجع على المبادرة والتجديد وتطرح حلولاً متنوعة للمشكلات المتوقعة، مع الحرص على إشاعة الود وتحقيق الألفة الأخوية بين القادة والمسؤولين - خاصة في عمل دعوي يهدف في المقام الأول لتحقيق رضا الله سبحانه، ولنا قدوة حسنة في نبينا محمد ﷺ الذي وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2].

ج- تفعيل فرق العمل وحل الصراعات بينها:

إن من واجبات الإدارة الفعالة بناء فرق عمل نشطة ومتعاونة لتحقيق هدف معين، والمقصود بالفريق: (مجموعة من الأفراد يشتركون في

---

(١) انظر: إدارة الجودة الشاملة، مفاهيم وتطبيقات/ د.محفوظ أحمد جودة، ص٣٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

أداء عمل موحد، ويتحمل كل فرد منهم مسئوليات ومهام جزئية معينة في هذا العمل، ولدى كل أفراد الفريق التعاطف والانتماء الذي يساعدهم على سهولة الأداء والرضا عن هذا العمل)[1].

ولا شك أنه لكي تعمل إدارة الجودة الشاملة بطريقة صحيحة وتحقق الأهداف المعقودة عليها فإنه يجب أن يتم تمكين العاملين وتفويض السلطة لهم بشكل يمكنهم من المشاركة الحقيقة في الارتقاء بالجودة والإنتاجية، وأفضل فرق العمل هي ما تكون ذاتية الإدارة؛ والذي يأخذ فيه فريق العمل على عاتقه معظم مسئوليات المدير، فهو يخطط وينفذ ويطور ويقوّم أعماله، الأمر الذي يكسب العمل مرونة وفعالية تؤثر جوهرياً في جودة الأداء[2].

د- تجنب النصائح والشعارات الجوفاء:

يأتي العلم دائماً مقترناً بالعمل في الشريعة الإسلامية، فإن القصد هو إعمار النفس والأرض بما يحييها في الدنيا والآخرة، وفي العمل الإداري الدعوي يجب أن تكون نصائح وشعارات المؤسسة الدعوية قيد التنفيذ وفق أدوات وخطط تساعد على تحقيق أهدافها.

---

(١) الجودة الشاملة في العمل الإسلامي/م.بدوي محمود الشيخ، ص١١٩.

(٢) انظر:تطبيق إدارة الجودة الشاملة بين فرص النجاح ومخاطر الفشل/د. فريد زين الدين، ص٢٧٩، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢، (د: دار نشر).

فالله -جل شأنه- ذم من خالف قوله فعله؛ فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾[1].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ، على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله. أما في الماضي فيكون كذبا، وأما في المستقبل فيكون خلفا، وكلاهما مذموم»[2].

هـ- المشاركة وتفويض الصلاحية:

ومما يحقق الإدارة الفعالة في العمل الدعوي المشاركة وتفويض الصلاحية للعاملين؛وذلك

بتفعيل دورهم بطريقة تشعرهم بالأهمية، وتحقق الاستفادة الفعلية من إمكاناتهم، والمشاركة المقصودة هنا هي المشاركة الجوهرية وليست الشكلية، إذ يفترض أن تحقق المشاركة أمرين:

الأول: تزيد من إمكانية تصميم خطة أفضل، والثاني: تحسين من كفاءة صنع القرارات من خلال مشاركة العقول المفكرة والقريبة من مشكلات العمل والتي تحمل الهم الدعوي .

---

(١) سورة الصف: ٢-٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي/لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ١٨/٨٠، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

إن نجاح الجودة الشاملة يعتمد على مشاركة العاملين في المؤسسة الدعوية مع الإدارة العليا في اتخاذ القرارات، وذلك من منطلق قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [1]. وتنفيذ الأعمال مما يجعل الأفراد وتنفيذ الأعمال مما يجعل الأفراد يحسون بأهميتهم وإسهامهم في تنفيذ الأعمال وإنجاحها؛لأنهم سيعتبرون هذا النجاح نجاحاً لهم أيضاً، أما تفويض الصلاحية، فهي لا تعني فقط المشاركة، بل يجب أن تكون مشاركة الأفراد بطريقة تمنحهم صوتاً حقيقياً عن طريق هياكل العمل، والسماح للعاملين بصنع القرارات التي تهتم بتحسين العمل داخل أقسامهم الخاصة، فبدون المشاركة وتمكين العاملين وتوزيع الصلاحيات والمهام، وإعطاء الفرص لرفع معنويات فريق العمل، والإخلاص الثابت والملموس من الجميع لجعل مبادئ الجودة الشاملة وممارساتها جزءاً لا ينفصم من ثقافة المؤسسة؛ فإن كافة الجهود المبذولة محكوم عليها بالفشل [2].

كما أن العمل الدعوي قائم على المشاركة بين الجميع فيما يحقق الأهداف؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [3].

---

(١) سورة الشورى: ٣٨.

(٢) الجودة الشاملة في التعليم العام: المفهوم والمبادئ والمتطلبات (قراءة إسلامية) بحث مقدم للقاء الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن) المقام في فرع الجمعية في القصيم يومي الثلاثاء والأربعاء ٢٨-٢٩ ربيع الآخر الموافق ١٥-١٦مايو ٢٠٠٧م بعنوان "الجودة في التعليم العام" إعداد : بدرية بنت صالح الميمان . البحث منشور في الشبكة الإلكترونية:
http://kenanaonline.com/users/drkhaledomran/posts/438092

(٣) سورة المائدة: ٢.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1].

وقد حث رسولنا الكريم ﷺ على التعاون والعمل الجماعي، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)ثم شبك بين أصابعه.[2]

وهذا مما يحقق التكامل الداخلي والخارجي بين كافة أقسام المؤسسة الدعوية ذاتها، أو بينها وبين المؤسسات الدعوية الأخرى؛ لأن العمل الدعوي منظومة متكاملة لا يمكن أن تنفصل وتستقل بجزئية من جزئياتها دون التعاون مع المؤسسات الأخرى ذات العلاقة، وهذا يسهم في الرفع من مستوى المؤسسات الدعوية في التعاون، والإفادة من الخبرات العلمية والمهنية، وحل المشكلات المتوقعة في هذا المجال.

المطلب الرابع: كفاءة الداعي إلى الله.

إن كفاءة الداعي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعدد من مبادئ إدارة الجودة العامة؛كالالتزام بالعلم والتعلم، والحرص على التدريب، وتجنب تحديد أهداف رقمية للعاملين من أجل أن يكون الأولوية للكيف وليس الكم، وكذلك دعم اعتزاز العاملين بعملهم؛لأن عطاء الفرد يتضاعف مع

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، ح(٦٠٢٦)، انظر:موسوعة الحديث الشريف (الكتب الستة)/ص٥١٠ .

الشعور بقيمة وأهمية العمل الذي يقوم بتنفيذه، مما يجعله مبدأ مهماً من مبادئ العمل الدعوي المؤسسي.

فالالتزام بالتعلم والتدريب يجعلالمؤسسة في مقدمة المؤسسات الدعوية المؤثرة في المدعوين ويحد من الوقوع في العديد من الأخطاء التي تأتي مع الجهل، ويرفع من كفاءة منسوبيها، وقد جعلت ابنة شعيب - عليه السلام- الكفاءة معياراً لاختيار العامل في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[1]، خاصة عندما نعلم مدى تأثير الداعي الكفء على المدعوين باستجابتهم للدعوة إلى الله.

ويمكن رفع كفاءة العاملين في المؤسسات الدعوية وخاصة الدعاة إلى الله عن طريق التدريب المنظم والمستمر والذي يأتي وفق احتياجات المؤسسة داخلياً وخارجياً؛ فالتدريب عبارة عن: «نشاط منظم يركز على الفرد لتحقيق تغير في معارفه ومهاراته وقدراته لمقابلة احتياجات محددة في الوضع الحاضر أو المستقبلي، في ضوء متطلبات العمل الذي يقوم به المرء، وفي ضوء تطلعاته المستقبلية للوظيفة التي يقوم بها في المجتمع»[2]

---

(١) سورة القصص: ٢٦.

(٢) حول التربية والتعليم / أ.د.عبدالكريم بكار، ص٣٩٨، دار القلم، بيروت، ط٣، ١٤٣٢هـ.

والتدريب أحد قسمي التأهيل؛ فالتأهيل نظري وعملي، وكلا القسمين مهمان ولا يستغنى عنهما، والبرامج التدريبية تفترض مستوى معين من الفهم والوعي لأجل البناء عليه عملياً[1].

وفي معظم المؤسسات يمكن حصر أهداف التدريب في ثلاث نقاط:

١- تعويد العاملين في المؤسسة على نماذج معينة للسلوك وعلى مستوى محدد للأداء.

٢- تأكيد التقدم والتحسن من خلال التعليمات والممارسات.

٣- تحفيز العاملين وحثهم لإحداث تغييرات ضرورية في السلوك[2].

ويجب على إدارة المؤسسة الدعوية تخصيص الموارد اللازمة لتدريب العاملين لأداء المهام الموكلة لهم بأفضل الطرق وخاصة الدعاة إلى الله، ويجب أن تشكل المبادئ الأربعة عشر لديمنج القاعدة الأساسية للبرامج التدريبية وفق رسالة المؤسسة ورؤيتها، كما يجب إعادة تدريب كل فرد عندما تتغير متطلبات المنشأة لمواجهة تغييرات بيئية أو اجتماعية، وفي مقابل ذلك؛ فإن أكثر ما تحتاجه المؤسسة الدعوية هو وجود الأفراد الذين يتطورون بالتعليم[3].

---

(١) انظر: التدريب وأهميته في العمل الدعوي/ د. محمد موسى الشريف، ص٢٧، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط٤، ١٤٢٤هـ..

(٢) انظر: تطبيق إدارة الجودة الشاملة بين فرص النجاح ومخاطر الفشل/ د. فريد زين الدين، ص١٠٨..

(٣) انظر: إدارة الجودة الشاملة / ديل بسترفيلد، وآخرين، ترجمة: د. راشد محمد الحمالي، ص١٥، نشر جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ، الرياض..

كما أن مما يزيد من كفاءة الداعي إلى الله أن يكون التركيز على الكيف وليس الكم؛ بمعنى أن يكون التركيز على جودة المادة العلمية، وأصالتها، مع مراعاة جودة الأساليب والوسائل المستخدمة بغض النظر عن تحقق استجابة المدعو؛ فإن الله جل شأنه أمر ببذل الوسع لدعوة الناس، والحرص على هدايتهم، و لم يلزم الدعاة بتحقيق الهداية لهم، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [1].

قال الإمام السعدي -رحمه الله- في تفسير الآية: «ليس عليك هدي الخلق، وإنما عليك البلاغ المبين، والهداية بيد الله تعالى» [2].

وأيضاً مما يرفع كفاءة الداعي إلى الله اعتزازه بعمله، وايمانه بالقضية التي يسعى لتحقيقها، ويجب على المؤسسة الدعوية أن تنمي هذا الشعور عند العاملين فيها؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [3].

قال الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله-: «فهذه الآية الكريمة فيها التنويه بالدعاة والثناء عليهم، وأنه لا أحد أحسن قولاً منهم، وعلى رأسهم الرسل-عليهم الصلاة والسلام-، ثم أتباعهم على حسب مراتبهم في الدعوة والعلم والفضل، فأنت يا عبد الله يكفيك شرفاً أن تكون من

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ للإمام عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ١/١١٦، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة فصلت: ٣٣.

أتباع الرسل،... المعنى: لا أحد أحسن قولاً منه لكونه دعا إلى الله وأرشد إليه وعمل بما يدعو إليه،... ومع ذلك صرح بما هو عليه، لم يخجل بل قال: إنني من المسلمين، مغتبطاً وفرحاً بما منّ الله به عليه، وليس كمن يستنكف عن ذلك ويكره أن ينطق بأنه مسلم، أو بأنه يدعو إلى الإسلام »[1].

المطلب الخامس: التركيز على المستفيد من الدعوة.

إن استقراء نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تبين بجلاء الحرص على هداية الناس؛ وذلك من خلال الآيات والأحاديث النبوية التي تحث الدعاة إلى الله على بذل الجهد في دعوة الناس، وما رتبه الله جلّ شأنه من الأجر العظيم والمنزلة الرفيعة للدعاة، يقابل ذلك الجهد الدعوي مكتمل الجودة من أنبياء الله -عليهم الصلاة والسلام- في دعوتهم لأقوامهم، كما في دعوة نبينا نوح عليه السلام الذي قام بالدعوة إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً بكل جد، من غير تهاون أو فتور؛ مستخدماً كافة الوسائل والطرق التي قد تؤدي إلى هداية المدعو؛ هداية المدعو؛ كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾[2].

---

(١) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة/ لسماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص٢١، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ.

(٢) سورة نوح: ٥-٩.

قال الإمام أبو القاسم محمد بن أحمد الغرناطي رحمه الله في تفسير الآيات: «ذكر أولاً أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة»[1].

كما أن في سيرة رسولنا الكريم ﷺ ما يوضح هذا المبدأ في الحرص على المستفيد من الدعوة، بغض النظر عن لونه أو جنسه أو مكانته، متخذاً كافة الأساليب الممكنة لتحقيق ذلك، حتى تحقق كمال هذا المبدأ بقوة الإيمان بالرسالة التي يحملها ﷺ وتأثره عند تخلف المدعو عن الدعوة عندما يضيق صدره ﷺ لأجل ذلك؛ لأجل ذلك؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[2].

ومن الحرص على المدعو عند رسولنا الكريم ﷺ تحذير من ولي أمراً من أمور المسلمين من عدم المتابعة ومعرفة حاجات ورغبات المستفيدين، كما في الحديث أن أبا مريم الأزدي قال: (دخلت على معاوية فقال: ما أنعمنا بك أبا فلان - وهي كلمة تقولها العرب - فقلت: حديثاً سمعته أخبرك به، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين

(١) التسهيل لعلوم التنزيل/ لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د.عبد الله الخالدي، ٤١٤/٢، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.

(٢) سورة فاطر: ٨.

فاحتجب، دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم، احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقره» قال: فجعل رجلاً على حوائج الناس)[1].

وهذا الأمر من التغذية الراجعة التي تعد من مبادئ الجودة المهمة لأجل قياس مستوى العمل وتحسينه وتطويره، وهو مما يمكن قائد الفريق أو الإدارة من أن يصبح على دراية بالمشكلات الداخلية قبل أن تستفحل خطورتها، وشكاوى فريق العمل، أو صوت العمليات، وشكاوى المستفيدين من الخارج، أو صوت البيئة الخارجية المستفيدة[2].

وتقوم الجودة بشكل عام على أساس أن استمرار ونجاح أنشطة المؤسسة يعتمد -بعد توفيق الله- على توافر احتياجات ومتطلبات العملاء ومحاولة تنفيذ توقعاتهم، حيث إن رضا العميل يعد الركيزة الأساسية والقاعدة المتينة التي يجب أن تنطلق منها طموحات المؤسسة في المستقبل[3].

المطلب السادس: تحقيق الرقابة الوقائية في العمل الدعوي.

من مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي تحقيق الرقابة الوقائية باتجاهين:

---

(١) أخرجه الإمام أبي داوود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية، ح(٢٩٤٨)، وقال الإمام المحدث محمد بن ناصر الألباني(صحيح). انظر: سنن أبي داوود/ للإمام أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلّامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، ص ٤٤٨، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د:ت..

(٢) انظر: الجودة الشاملة في العمل الإسلامي/ م.بدوي محمود الشيخ، ص١١٥..

(٣) انظر: إدارة الجودة الشاملة / أ.د.خالد بن سعد بن عبدالعزيز بن سعيد، ص٩٥..

١- الرقابة الوقائية الذاتية:

وتأتي الرقابة الذاتية استجابة لأمر الله سبحانه وتعالى حين قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾[١].

فمن معاني الإحسان: مراقبة الحق في العبادة، واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار. وهو المراد بقوله ﷺ: « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٢]، وأرباب القلوب في هذه المراقبة على حالين؛ أحدهما: غالب عليه مشاهدة الحق فكأنه يراه.وثانيهما: لا تنتهي إلى هذا، لكن يغلب عليه أن الحق سبحانه مطلع عليه ومشاهد له[٣].

وفي الدين الإسلامي يتم تعزيز هذا المبدأ في كثير من النصوص الشرعية، بالتأكيد على مراقبة الله سبحانه وتعالى للعبد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٥].

---

(١) سورة النحل: ٩٠.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي عليه الصلاة والسلام عن: الإيمان والإسلام والإحسان، وعلم الساعة، ح(٥٠)، انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص٦..

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن ؛ تفسير القرطبي/ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ج١٠/١٦٧..

(٤) سورة النساء: ١.

(٥) سورة آل عمران: ٥.

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1].

وعن عبدالله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول ﷺ يقول: (كلكم راع ومسئول عن رعيته فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته)[2].

وهذه المراقبة من الله سبحانه وتعالى تستلزم المحاسبة يوم القيامة على ما عمله العبد، قال تعالى: ﴿ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾[4].

إن اهتمام المؤسسة الدعوية بتفعيل الرقابة الذاتية ابتداء يجنبها الكثير من الوقت والجهد والمال الذي تحتاج إليه في الرقابة الخارجية؛ لأن الفرد سينطلق في عمله من الإحساس العميق بالمسئولية أمام الله وحده سبحانه.

٢- الرقابة الوقائية الخارجية:

وهي رقابة المدير على من تحت رئاسته؛ رقابة مباشرة أو من خلال التقنية الحديثة، ولاشك أن هذا النوع يصبح مهماً جداً عند تعثر النوع الأول: الرقابة الذاتية، وهكذا تصبح هذه الرقابة مهمة، وعاملاً مساعداً

---

(١) سورة الحديد: ٤.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده، ونسب النبي صلى الله عليه وسلم المال لسيده، ح(٢٥٥٨)، انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص٢٠١.

(٣) سورة النحل: ٩٣.

(٤) سورة الإسراء: ١٤.

للإدارة لمتابعة الموظفين لإتقان العمل وإجادته؛ لتحقيق الإنتاجية المجودة، وتكون هذه الرقابة إما من داخل المؤسسة لموظفيها، أو من الأجهزة الرقابية للدولة لمراقبة مؤسسات القطاع العام والخاص على حد سواء[1].

لقد أكد الإسلام على مبدأ الرقابة الخارجية للحد من الأخطاء، نظراً لاختلاف العمال وتنوع معرفتهم وفهمهم لأسس العمل ومنهجيته؛ إذ ورد في الحديث عن أبي حميد الساعدي ﷺ قال: استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأسد يقال له ابن اللتبية، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي إلي. قال: فقام رسول الله ﷺ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه. وقال: (ما بال عامل أبعثه فيقول: هذا لكم وهذا أهدي لي ! أفلا قعد في بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدي إليه أم لا ؟ والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، بعير له رغاء أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر). ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه. ثم قال:(اللهم هل بلغت ؟) مرتين[2].

ويجب أن يكون هدف الرقابة منع وقوع الخطأ أصلاً من خلال الرقابة الوقائية، وليس الغرض تصيد الأخطاء ومحاسبة المسؤولين عنها[3].

---

(١) انظر: إدارة الجودة الشاملة-الإتقان-في الفكر الإسلامي والمعاصر/ أ.د.عبدالرحمن إبراهيم الجويير، ص٣١، دون دار نشر، ط٣، ١٤٢٩هـ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، ح(١٨٣٢). انظر: موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ص١٠٠٧.

(٣) انظر: إدارة الجودة الشاملة مفاهيم وتطبيقات/ د.محفوظ أحمد جودة، ص٢٩.

كما أن من المهم -أيضاً- مراقبة نظام إدارة الجودة الشاملة ما إذا كان فعالاً في تحقيق الضبط؛ بالقيام بالتدقيق الداخلي للجودة على السياسات والممارسات والمنتجات والخدمات التي يشملها النظام؛ بهدف الحصول على معلومات حقيقة قائمة على أدلة موضوعية عن أداء نظام الجودة في المؤسسة الدعوية، ويجب أن تنفذ من قبل أشخاص ليست لديهم أي مسئولية تجاه ما يتم تدقيقه[1].

المطلب السابع: التحسين المستمر للعمل الدعوي.

إن التحديات التي تواجه العمل الدعوي اليوم تتطلب من المؤسسات والمنظمات الدعوية تطوير أجهزتها وأنظمتها لمواجهة العالمية والتحديات المعاصرة، فإن مبدأ الحرص على هداية الناس كمبدأ دعوي رئيس يدفع بالمؤسسات الدعوية نحو التنافسية لأجل تحقيق أهدافها، ويتحقق هذا بالحرص على التحسين المستمر للعمل الدعوي المؤسسي بمراجعة الأخطاء وجوانب النقص والعمل على تلافيها.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

(١) انظر: دليل عملي لتطبيق أنظمة إدارة الجودة الآيزو ٩٠٠/ د.م.مأمون السلطي، م.سهيلا الياس، ص٨٣..

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.

قال الإمام الزمخشري رحمه الله: « أطلق المجاهدة و لم يقيدها بمفعول، ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمّارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين (فِينا) في حقنا ومن أجلنا، ولوجهنا خالصاً (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا) لنزيدنهم هداية إلى سبل الخير وتوفيقا»[1].

إن مفهوم المجاهدة يستلزم بذل أقصى الجهد للوصول للهدف، وقد ربط الله ﷻ ذلك بنتيجة عظيمة، وهي التوفيق لبلوغ الغاية والسبيل القويم، ومما يحقق ذلك السعي لتحسين العمل، ومجاهدة النفس في الكشف عن الأخطاء وتقويمها.

إن وجود أخطاء لدى المؤسسات الدعوية أمر طبيعي، وقد عتب القرآن الكريم على رسولنا ﷺ بعضاً مما فعل أو حدث نفسه به، وقد وجد الخطأ في خير العصور زمن صحابة رسولنا الكريم ﷺ، **فقال الله للصفوة الخيرة من هذه الأمة: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾**[2].

إن القرآن الكريم يبني في المسلم الشجاعة الأدبية لبيان أوجه القصور التي أدت للأخطاء، لأن التستر على الأخطاء لا يلغيها، ولكن يساعد على نموها وتكرارها[3].

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، ٣/٤٦٥، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ - ١٤٠٧ هـ..

(٢) سورة آل عمران: ١٥٢.

(٣) انظر: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي/ أ.د.عبدالكريم بكار، ص٢٧٠..

إن مفاهيم إدارة الجودة الشاملة تشير إلى أن أسلوب الإدارة الحديث يحرص على إيجاد بيئة يتم فيها تحسين مهارات الفرد، ونظم العمل بشكل مستمر؛ باستخدام كافة الوسائل التي تؤدي إلى مراقبة العمل، وتحديد أنواع الانحرافات بهدف تصحيحها [1].

من أبرز جوانب التحسين في العمل الدعوي المؤسسي:

- إصدار القرارات الإدارية والعملية؛ من أجل تطبيقها لتحقيق الأهداف، والتقليل من الأخطاء .
- رفع مستوى التزام قادة المؤسسة وموظفيها بمبادئ إدارة الجودة الشاملة.
- توثيق العمل الدعوي بالسجلات الإدارية؛ لأجل رصد الواقع، وتحليل النتائج بهدف التحسين.
- تحديد الاحتياجات الدعوية دورياً، والعمل على الارتقاء بمستواها.
- قياس ومتابعة الأنشطة الدعوية، ومعالجة الخلل وجوانب القصور فيها.
- دراسة حال المستفيد من العمل الدعوي، ومدى تفاعله من نشاط المؤسسة.

---

(١) انظر: تحسين أداء المؤسسة في ظل إدارة الجودة الشاملة(مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في العلوم التجارية، جامعة الجزائر ،كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، قسم: علوم تجارية فرع التسويق)/إعداد: مزغيش عبدالحليم، إشراف:د.حشماوي محمد.٢٠١١-٢٠١٢م ، ص٦١.

- كشف معوقات العمل الدعوي، والسعي للتغلب عليها.

إلى غير ذلك مما يحقق رسالة المؤسسة الدعوية وهدفها، بمستوى عال من الجودة.

المبحث الثاني

الدراسة الميدانية

المطلب الأول: إجراءات الدراسة الميدانية.

في المبحث السابق قامت الباحثة بالحديث عن العمل الدعوي المؤسسي ومبادئ إدارة الجودة الشاملة فيه، ولأنه لا يمكن معرفة واقع هذه المبادئ في العمل الدعوي المؤسسي إلا من خلال الدراسة الميدانية؛ يأتي هذا المبحث للإجابة بشكل أكبر وأكثر دقة على تساؤلات البحث.

وقد جاءت الدراسة الميدانية قائمة على المنهج الوصفي بنوعيه: المنهج المسحي، والمنهج التحليلي، وتم جمع معلومات الدراسة من خلال أداة البحث: الاستبيان؛ لجمع بيانات كمية وكيفية للإجابة على تساؤلات البحث.

وفي مرحلة بناء الاستبيان تم مراعاة اختيار الطريقة المناسبة لكتابة الأسئلة والإجابات وفقاً لطبيعة الموضوع؛ ثم تصميم الاستبيان وإخراجه، ثم تحكيمه من قبل عدد من الأستاذات المحكمات ممن لهن اهتمام بالدراسات الوصفية واطلاع على بعض جوانب الموضوع[1]، وقد أخذت الباحثة بتوجيهاتهن وآرائهن في مدى ملاءمة أسئلة الاستبيان، وتحقيقه لأهداف البحث.

---

(١) تم عرض الاستبيان على:

١- أ.د. الجوهرة العمراني، الأستاذ الدكتور في المعهد العالي للدعوة والحسبة.

٣- د. أسماء الداوود، الأستاذ المشارك في المعهد العالي للدعوة والحسبة.

٤- د. لمياء الطويل، الأستاذ المشارك في المعهد العالي للدعوة والحسبة..

وعندما خرج الاستبيان بشكله النهائي[1] قامت الباحثة بتوزيعه على عيّنة الدراسةمن الأعضاء العاملين[2] في أربعة مكاتب تمثل التوزيع المناطقي لمدينة الرياض؛ وذلك بواقع (١٥) استبانة لكل مكتب، وبعد جمعها جاءت الاستبانات كما يلي:

- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بشمال الرياض، بواقع (١٥) استبانة
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالروضة، بواقع (١٦) استبانة
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالشفاء، بواقع (١٦) استبانة
- المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالبديعة، بواقع (١٧) استبانة

ليصبح المجموع (٦٤) استبانة وبعد فرزها واستبعاد ماكان ناقصاً منها أصبح العدد(٥٦) استبانة، ثم قامت الباحثة بحصر التكرارات والنسبة المئوية لكل فقرة، مع عمل الرسوم البيانية لها، وقد جاءت نتائج التحليل الإحصائي كما يلي:

---

(١) انظر: ملحق الاستبيان، ص٤٠.

(٢) تم التأكيد على أن تكون الإجابة من قبل الطاقم الإداري التنفيذي على أن يتم تغطية باقي العدد المطلوب من قبل باقي العاملين في المكتب كالمعلمين والمترجمين عند الحاجة لذلك..

المطلب الثاني: نتائج الدراسة الميدانية.

بعد التحليل الإحصائي للاستبانات عبر برنامج (spss) ظهرت النتائج كالتالي:

جدول رقم (١)

مدى الاهتمام بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة الدعوية

مدى الاهتمام	التكرار	النسبة المئوية
ممتاز	١٧	٪٣٠.٤
جيد	٢٥	٪٤٤.٦
ضعيف	١٢	٪٢١.٤
لا يوجد	٢	٪٣.٦
المجموع	٥٦	٪١٠٠

والشكل البياني التالي يبين توزيع آراء أفراد العيّنة لمدى الاهتمام بمبادئ إدارة الجودة الشاملة:

جدول رقم (٢)

ترتيب آراء أفراد العيّنة للمبادئ التي يتم العمل بها لإدارة الجودة الشاملة وذلك تنازلياً وفق المتوسط الحسابي

	المبادئ	استجابات العيّنة			المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ميل العبارة	الترتيب
		دائماً	أحياناً	أبداً				
٩	كفاءة الداعي إلى الله	٤٠	١٥	١	٢.٧٠	٠.٥٠	دائماً	١
		٪٧١.٤	٪٢٦.٨	٪١.٨				
٢	وضوح الهدف من العمل الدعوي	٣٨	١٦	٢	٢.٦٤	٠.٥٥	دائماً	٢
		٪٦٧.٩	٪٢٨.٦	٪٣.٦				
١	الالتزام بالعلم والتعلم	٣٦	٢٠	٠	٢.٦٤	٠.٤٨	دائماً	٣
		٪٦٤.٣	٪٣٥.٧	٪٠٠٠				

١١	التركيز على المستفيد من الدعوة	٣٥	٢٠	١	٢.٦١	٠.٥٣	دائماً	٤
		٦٢.٥٪	٣٥.٧٪	١.٨٪				
١٤	التحسين المستمر للعمل الدعوي	٣٠	٢١	٥	٢.٤٥	٠.٦٦	دائماً	٥
		٥٣.٦٪	٣٧.٥٪	٨.٩٪				
٣	إدارة فعالة للعمل الدعوي	٣٠	٢٠	٦	٢.٤٣	٠.٦٨	دائماً	٦
		٥٣.٦٪	٣٥.٧٪	١٠.٧٪				
٤	وجود قيادة فعالة بالمؤسسة	٢٨	٢١	٧	٢.٣٨	٠.٧٠	دائماً	٧
		٥٠.٠٪	٣٧.٥٪	١٢.٥٪				
١٢	الاستفادة من النقد	٢٦	٢٥	٥	٢.٣٨	٠.٦٥	دائماً	٨
		٤٦.٤٪	٤٤.٦٪	٨.٩٪				
٦	تفعيل فرق العمل	٢١	٣٠	٥	٢.٢٩	٠.٦٢	أحياناً	٩
		٣٧.٥٪	٥٣.٦٪	٨.٩٪				
١٣	تحقيق الرقابة الوقائية في العمل الدعوي	٢٢	٢٥	٩	٢.٢٣	٠.٧١	أحياناً	١٠
		٣٩.٣٪	٤٤.٦٪	١٦.١٪				
٧	تجنب الشعارات الجوفاء	٢٣	٢٣	١٠	٢.٢٣	٠.٧٤	أحياناً	١١
		٤١.١٪	٤١.١٪	١٧.٩٪				
٥	القضاء على الخوف من الفشل	١٨	٣٢	٦	٢.٢١	٠.٦٢	أحياناً	١٢
		٣٢.١٪	٥٧.١٪	١٠.٧٪				
٨	المشاركة وتفويض الصلاحية للعاملين	٢٠	٢٨	٨	٢.٢١	٠.٦٨	أحياناً	١٣
		٣٥.٧٪	٥٠.٠٪	١٤.٣٪				
١٠	التدريب	١٥	٣٢	٩	٢.١١	٠.٦٥	أحياناً	١٤
		٢٦.٨٪	٥٧.١٪	١٦.١٪				
	المتوسط العام				٢.٣٩	٠.٦٣	دائماً	

والشكل البياني التالي يبين ترتيب المبادئ وفق المتوسط الحسابي:

جدول رقم (٣)

ترتيب آراء أفراد العيّنة لمعوقات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي وذلك تنازلياً وفق المتوسط الحسابي

	المعوقات	استجابات العيّنة			المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ميل العبارة	الترتيب
		دائماً	أحياناً	أبداً				
٨	توقع نتائج فورية وليست على المدى البعيد	٢٣	٢٨	٥	٢.٣٢	٠.٦٤	أحياناً	١
		٪٤١.١	٪٥٠.٠	٪٨.٩				
٤	ضعف الموارد المالية	٢٠	٢٩	٧	٢.٢٣	٠.٦٦	أحياناً	٢
		٪٣٥.٧	٪٥١.٨	٪١٢.٥				
١	غياب مفهوم الجودة عند العاملين في المؤسسات الدعوية	١٩	٢٨	٩	٢.١٨	٠.٦٩	أحياناً	٣
		٪٣٣.٩	٪٥٠.٠	٪١٦.١				
٥	التركيز على مبادئ معينة في إدارة الجودة الشاملة	١٤	٣٦	٦	٢.١٤	٠.٥٩	أحياناً	٤
		٪٢٥.٠	٪٦٤.٣	٪١٠.٧				
٦	عدم انتقال التدريب إلى مرحلة التطبيق	١٥	٣٣	٨	٢.١٣	٠.٦٣	أحياناً	٥
		٪٢٦.٨	٪٥٨.٩	٪١٤.٣				
٢	عدم التزام الإدارة العليا بتطبيق المبادئ	١٥	٣١	١٠	٢.٠٩	٠.٦٧	أحياناً	٦
		٪٢٦.٨	٪٥٥.٤	٪١٧.٩				
٣	عدم مشاركة جميع العاملين في المؤسسات الدعوية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة	١٦	٢٨	١٢	٢.٠٧	٠.٧١	أحياناً	٧
		٪٢٨.٦	٪٥٠.٠	٪٢١.٤				
٧	مقاومة التغيير سواء من العاملين أو من الإدارات	١٤	٣١	١١	٢.٠٥	٠.٦٧	أحياناً	٨
		٪٢٥.٠	٪٥٥.٤	٪١٩.٦				
	المتوسط العام				٢.١٥	٠.٦٦	أحياناً	

المطلب الثالث: تقويم الدراسة الميدانية.

بالنظر لنتائج التحليل الإحصائي للاستبانات نجد ما يلي:

في المحور الأول:يتضح من خلال نتائج الدراسة أن مدى الاهتمام بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة الدعوية التي تعمل فيها العيّنة يأتي جيداً بنسبة ٤٤.٦٪، وهي نسبة مرتفعة إذا رأينا أن ٣٠.٤٪ من العيّنة يرى أن الاهتمام يأتي ممتازاً كذلك.

وفي المقابل فإن نسبة ٢١.٤٪ من العيّنة ترى أن الاهتمام ضعيف بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في مؤسساتها، وما نسبته ٣.٦٪ ترى أنه لا يوجد أي اهتمام بهذا الجانب، وهذا يجعل العناية بهذه المبادئ أمراً ضرورياً بهدف رفع النسبة الإيجابية إلى مستويات عليا لأهمية هذا الموضوع في نجاح العمل الدعوي.

أما بالنسبة للمحور الثاني: والذي يتعلق بمدى العمل بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الدعوية للعينة:

فقد جاء العمل الدائم على الالتزام بكفاءة الداعي إلى الله عالياً بنسبة ٧١.٤٪، وهو مؤشر قوي يبين إدراك المؤسسات الدعوية لأهمية كفاءة العاملين فيها وبالذات الدعاة إلى الله مما يحقق مستويات عليا من الجودة، يليه وضوح الهدف من العمل الدعوي بنسبة ٦٧.٩٪ مقابل ٢٨.٦٪ ترى أن ذلك يأتي أحياناً، وهو الأمر الذي يجب التنبه له بالتركيز على إبرازه لجميع العاملين والمستفيدين من العمل الدعوي.

كذلك يأتي مبدأ الالتزام بالعلم والتعلم دائماً بنسبة ٦٤.٣٪ مقابل ٣٥.٧٪ ترى أن العمل يتم به أحياناً، ثم التركيز على المستفيد دائماً بنسبة ٦٢.٥٪، ثم التحسين المستمر للعمل الدعوي دائماً بنسبة ٥٣.٦٪ مقابل ٣٧.٥٪ ترى أن ذلك يحدث أحياناً، ثم كذلك وجود إدارة فعالة للعمل الدعوي دائماً بنسبة ٥٣.٦٪ مقابل أحياناً بنسبة ٣٥.٧٪، ونلاحظ أن ما سبق من المبادئ يأتي متقارباً بإجابة أكثر من نصف العيّنة أن العمل بها موجود دائماً، وهو مؤشر جيد في طريق التزام المؤسسات الدعوية بمبادئ إدارة الجودة الشاملة.

بعد ذلك ترى نصف العيّنة أن وجود قيادة فعالة بالمؤسسة يأتي دائماً بنسبة ٥٠.٠٪ يقابلها ما نسبته ٣٧.٥٪ ترى أن ذلك موجود أحياناً.

أما مبدأ العمل الدائم للاستفادة من النقد وهو ما يمثل التغذية الراجعة التي تؤدي للتحسين فجاء دائماً بنسبة ٤٦.٤٪ من العيّنة، تقابلها نسبة ٤٤.٦٪ ترى أن ذلك يحدث أحيانا، ومبدأ تفعيل فرق العمل جاء بنسبة ٥٣.٦٪ ترى أن ذلك يحدث أحياناً مقابل ٣٧.٥٪ تجد أن العمل بذلك يحدث دائماً، ولأهمية هذا المبدأ في رفع مستوى الجودة يجب العمل على تطبيقه دائماً، ومثل ذلك يأتي تحقيق الرقابة الوقائية في العمل الدعوي أحياناً بنسبة ٤٤.٦٪ ويقابله اعتقاد أن الرقابة موجودة دائماً بواقع ٣٩.٣٪ من العيّنة.

كما ترى العيّنة قيد الدراسة أن تجنب الشعارات الجوفاء في مؤسساتهم الدعوية يأتي دائماً بنسبة٤١.١٪، وأحياناً كذلك بنسبة٤١.١٪، وهي نسب متماثلة في التأكيد على أن المؤسسات الدعوية تحرص على العمل الجاد دون الاكتفاء بترديد الشعارات.

أما مبدأ القضاء على الخوف من الفشل يأتي العمل به بعض الأحيان بنسبة تتجاوز النصف ٥٧.١٪، مقابل نسبة ٣٢.١٪ ترى أن ذلك يحدث دائماً.

وفي مبدأ المشاركة وتفويض الصلاحية للعاملين فنصف العيّنة تعتقد أن ذلك يحدث أحياناً بنسبة ٥٠.٠٪ مقابل ٣٥.٧٪ ترى أن العمل بذلك يحدث دائماً، ونسبة١٤.٣٪ لا ترى أن ذلك موجود في المؤسسة الدعوية التي تعمل بها، وهو أمر يجب مراعاة الالتزام به عند العمل الإداري بشكل عام والدعوي بشكل خاص لاشتراك العاملين في هدف واحد وهو قصد رضا الله وحده.

ويأتي أحياناً العمل بمبدأ التدريب بنسبة ٥٧.١٪ ودائماً بنسبة ٢٦.٨٪، مقابل ١٦.١٪ ترى أن ذلك غير موجود، وهذا يؤكد ضرورة العناية بهذا الجانب لأهمية التدريب وقوة تأثيره في الرفع من مستوى العاملين في العمل الدعوي.

أما المحور الثالث والذي يتعلق بمعوقات تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي فجاءت نتائج الدراسة تبين أن المتوسط الحسابي لجميع ما ذكر من المعوقات لخيار أحياناً وذلك كما يلي:

جاءت نسبة ٥٠.٠٪ من العيّنة ترى أن توقع نتائج فورية وليست على المدى البعيد يأتي أحياناً معوقاً مقابل ٤١.١٪ ترى أن ذلك يأتي دائماً، وهذا يجعله عائقاً قوياً يحول دون تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي.

كما أن نسبة ٥١.٨٪ من العيّنة ترى أن ضعف الموارد المالية يعيق أحياناً تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة، و ٣٥.٧٪ من العيّنة ترى أن هذا العائق يحول عن تطبيق المبادئ بشكل دائم.

أما معوق غياب مفهوم الجودة عند العاملين في المؤسسات الدعوية والذي يحول دون تطبيق المبادئ -لأن فاقد الشيء لا يعطيه- فقد جاء عند العيّنة بنسبة ٥٠.٠٪ كعائق أحياناً، وبنسبة ٣٣.٩٪ دائماً، في حين جعلت ما نسبته ١٦.١٪ هذا المعوق غير موجود.

وترى ما نسبته ٦٤.٣٪ من العيّنة أن التركيز على مبادئ معينة في إدارة الجودة الشاملة ليس دائماً معوقاً عن تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة، يقابلها ٢٥.٠٪ من العيّنة تعتقد أن ذلك عائق دائم، في حين أن ١٠.٧٪ من العيّنة ترى أن ذلك ليس بعائق .

وفي عدم انتقال التدريب إلى مرحلة التطبيق جاءت نسبة ٥٨.٩٪ من العيّنة ترى أن ذلك يعيق أحياناً تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة، و ٢٦.٨٪ من العيّنة ترى أن هذا العائق يحول عن تطبيق المبادئ بشكل دائم، في حين جعلت ما نسبته ١٤.٣٪ هذا المعوق غير موجود، ولاشك أن التدريب يشكل مبدأ مهماً من مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل

المؤسسي وجاء إدراك أهمية ذلك في المحور السابق بالتأكيد على العمل به؛ ولذا يأتي عدم الإفادة من التدريب بتطبيق ما تم تعلمه معوقاً لدى الغالبية من العيّنة.

وترى ما نسبته ٥٥.٤٪ من العيّنة أن عدم التزام الإدارة العليا بتطبيق المبادئ ليس دائماً معوقاً عن تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة، يقابلها ٢٦.٨٪ من العيّنة تعتقد أن ذلك عائق دائم، في حين أن ١٧.٩٪ من العيّنة ترى أن ذلك ليس بعائق أبداً، ونلاحظ في المحور السابق أن مبدأ وجود إدارة فعالة للعمل الدعوي يوجد دائماً بنسبة ٥٣.٦٪ مقابل أحياناً بنسبة ٣٥.٧٪ وهذا يبين أن الإدارة في المؤسسات قيد الدراسة تبذل جهوداً كبيرة في العمل الدعوي وتؤكد حرصها على الالتزام بمبادئ الجودة الشاملة.

كما جاءت ما نسبته ٥٠.٠٪ من العيّنة ترى أن عدم مشاركة جميع العاملين في المؤسسات الدعوية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة يأتي أحياناً معوقاً وهي النسبة ذاتها في المحور السابق عند مبدأ المشاركة وتفويض الصلاحيات والذي جاء يدل على تطبيق هذا المبدأ أحياناً، مقابل ٢٨.٦٪ ترى أن هذا المعوق يأتي دائماً، وما نسبته ٢١.٤٪ ترى أن هذا العائق غير موجود، ولعل هذا يبين مدى الحاجة للتركيز على مشاركة العاملين في التخطيط والتنفيذ على حد سواء.

وفي مقاومة التغيير سواء من العاملين، أو من الإدارات جاءت نسبة ٥٥.٤٪ من العيّنة ترى أن ذلك يعيق أحياناً تطبيق مبادئ إدارة الجودة

الشاملة، و ٢٥.٠٪ من العينة ترى أن هذا العائق يحول عن تطبيق المبادئ بشكل دائم، في حين جعلت ما نسبته ١٩.٦٪ هذا المعوق غير موجود.

إن هذه المعوقات وغيرها يمكن أن تدركها المؤسسة الدعوية في مراحل تنفيذ العمل الدعوي، ويسهم التخطيط ومعلومات التغذية الراجعة في تحديد هذه العوائق وسبل التغلب عليها بشكل دقيق، يتناسب مع طبيعة العمل الدعوي الذي تختص به المؤسسة، مما يمنع تكرارها مستقبلاً، أو يحد من آثارها السلبية قدر الإمكان.

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبهديه ورضوانه تنال المكرمات، وأصلي وأسلم على من ختمت به الرسالات، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الهداة، أما بعد:

فإني أحمد الله على تيسيره إتمام هذا البحث، والذي أرجو أني ألقيت من خلاله الضوء على بعض جوانبه المهمة ؛ فإن العمل الدعوي المؤسسي جدير بالعناية والاهتمام لعظيم أثره وعموم نفعه على الناس، وهو من أولى مجالات العمل التي يجب أن تلتزم بمبادئ الجودة ومعاييرها، ويحسن في ختام هذا البحث أن أشير إلى أبرز النتائج التي خرجت بها:

- العمل الدعوي المؤسسي يتمتع بخصائص ومميزات تفوق العمل الفردي بمراحل وذلك إذا تحققت فيه صفات المؤسسية على أرض الواقع، إذ لا يكفي إطلاق المسمى للدلالة على الحقيقة.
- الجودة كعلم إداري تنظيمي حديث الاصطلاح؛ وإن كان ينطلق من قواعد الشريعة في جميع جوانب الحياة ؛ ولهذا فإن الإفادة من التنظيمات الإدارية الحديثة من الحكمة التي يجب الأخذ بها للرفع من مستوى العمل الدعوي، وبالتالي تحقق أهدافه.
- إن مبادئ دمنج الأربعة عشر في الجودة تمثل القاعدة العريضة لمبادئ الجودة على اختلاف تطبيقاتها في التخصصات المتنوعة، ويمكن للمؤسسات الدعوية أن تلخص وتطبق هذا المبادئ وفق رؤيتها ورسالتها المؤسسية.

- إن المتأمل لواقع المؤسسات الدعوية يجد أنها لا تخلو من بعض مبادئ إدارة الجودة الشاملة وإن اختلفت المسميات، إلا أن الالتزام الإداري الدقيق بها يظل هو المأمول في كافة التنظيمات الإدارية للأعمال الدعوية.
- أوضحت نتائج الدراسة الميدانية أن هناك تصوراً جيداً لأهمية مبادئ الجودة الشاملة في العمل الدعوي إذ جاءت النسب مرتفعة في التأكيد على ذلك.
- جاء مبدأ العمل الدائم على الالتزام بكفاءة الداعي إلى الله عالياً بنسبة ٧١.٤٪ في نتائج الدراسة الميدانية وهو ما يوضح وعي المؤسسات الدعوية بأهمية هذا الجانب في رفع مستوى الجودة المقدمة للمستفيد من الدعوة.
- في نتائج الدراسة الميدانية تتضح الحاجة للتدريب كمبدأ من مبادئ الجودة الشاملة -عند المجيبين على الاستبيان- يقابله أن غياب تطبيق ما تم التدرب عليه جاء معوقاً كبيراً يحول دون تحقيق الجودة في العمل الدعوي، إذ أن نسبة ٥٨.٩٪ من العيّنة ترى أن ذلك يعيق أحياناً تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة، و ٢٦.٨٪ من العيّنة ترى أن هذا العائق يحول عن تطبيق المبادئ بشكل دائم.
- أبرزت نتائج الدراسة الميدانية مدى الحاجة لمبدأ مشاركة العاملين؛ فقد جاءت ما نسبته ٥٠.٠٪ من العيّنة ترى أن عدم مشاركة جميع العاملين في المؤسسات الدعوية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة يأتي أحياناً معوقاً للعمل الدعوي، ولاشك أن العمل الجماعي المنظم وفق الأسس الإدارية المحكمة أكثر إنتاجية وجودة من الجهود الفردية .

أما أبرز التوصيات التي خرجت بها من هذا البحث ما يلي:

- تكثيف الدراسات التي تُعنى بالعمل الدعوي المؤسسي من جميع جوانبه؛ وبالذات فيما يتعلق بالجودة ومبادئها ومعاييرها ومعوقات تطبيقها وسبل التغلب عليها، بدراسات ميدانية على المؤسسات الدعوية لأجل الوقوف على الواقع وتحديد المشكلات والسعي لحلها، ثم تزويد المؤسسات المعنية بنتائج الدراسة للإفادة منها.
- أوصي الإدارات التنفيذية في المؤسسات الدعوية بالعمل على تحقيق مبادئ الجودة الشاملة في الإدارة وفق أسس علمية، إذ لا يكفي التنظير دون التطبيق الدقيق، وهذا يستلزم جهداً في نشر ثقافة الجودة بين العاملين فيها، وتهيئتهم للالتزام التام بها أولاً، ثم التطبيق الجاد لها ثانياً.

ملحق: (الاستبيان)

أولاً: الاهتمام بمبادئ إدارة الجودة الشاملة في المؤسسة الدعوية التي أعمل بها:

ممتاز		جيد		ضعيف		لا يوجد	

ثانيا: يتم العمل بالمبادئ التالية لإدارة الجودة الشاملة في المؤسسة الدعوية التي أعمل بها:

المبدأ	دائماً	أحياناً	أبداً
وضوح الهدف من العمل الدعوي			
الالتزام بالعلم والتعلم			
إدارة فعالة للعمل الدعوي			
وجود قيادة فعالة للمؤسسة			
القضاء على الخوف من الفشل			
تفعيل فرق العمل			
تجنب الشعارات الجوفاء			
المشاركة وتفويض الصلاحية للعاملين			
كفاءة الداعي إلى الله			
التدريب			
التركيز على المستفيد من الدعوة			
الاستفادة من النقد			
تحقيق الرقابة الوقائية في العمل الدعوي			
التحسين المستمر للعمل الدعوي			

ثالثاً: من معوقات تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي:

المعوقات	دائماً	أحياناً	أبداً
غياب مفهوم الجودة عند العاملين في المؤسسة الدعوية			
عدم التزام الإدارة العليا بتطبيق المبادئ			
عدم مشاركة جميع العاملين في المؤسسة الدعوية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة			
ضعف الموارد المالية			
التركيز على مبادئ معينة في إدارة الجودة الشاملة			
عدم انتقال التدريب إلى مرحلة التطبيق			
مقاومة التغيير سواء من العاملين أو من الإدارات			
توقع نتائج فورية وليست على المدى البعيد			

أخرى (حدّد):

.....

.....

.....

.....

المراجع

أولاً: الكتب:

- إدارة الجودة الشاملة / ديل بسترفيلد، وآخرون، ترجمة: د. راشد محمد الحمالي، نشر جامعة الملك سعود، ١٤٢٥هـ، الرياض.
- إدارة الجودة الشاملة /ص٧٣، جوزيف جابلونسكي، تعريب: عبدالفتاح السيد النعماني، مركز الخبرات المهنية للإدارة(بميك)، القاهرة، ١٩٩٦م. (د: رقم الطبعة).
- إدارة الجودة الشاملة/ د. حامد بن مالح الشمري، (د: دار النشر)، ط٢، ١٣٢٨هـ.
- إدارة الجودة الشاملة/ للأستاذ الدكتور: خالد بن سعد بن عبدالعزيز بن سعيد، (دون دار نشر) ط٢، ١٤٣٣هـ،
- إدارة الجودة الشاملة/ للدكتور: عبدالرحمن توفيق، مركز الخبرات المهنية للإدارة، بميك، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٨م.
- إدارة الجودة الشاملة، مفاهيم وتطبيقات/ د. محفوظ أحمد جودة، دار وائل للنشر، الأردن، عمان، ط٦، ٢٠١٢م.
- إدارة الجودة الشاملة-الإتقان-في الفكر الإسلامي والمعاصر/ أ.د.عبدالرحمن إبراهيم الجويبر، دون دار نشر، ط٣، ١٤٢٩هـ.
- التدريب وأهميته في العمل الدعوي/ د. محمد موسى الشريف، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط٤، ١٤٢٤هـ.

- التسهيل لعلوم التنزيل/ أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: د.عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦ هـ.
- تطبيق إدارة الجودة الشاملة بين فرص النجاح ومخاطر الفشل/ د. فريد زين الدين، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢، (د: دار نشر).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ للإمام عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الجامع لأحكام القرآن ؛ تفسير القرطبي/لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي.
- الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي/ لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ .
- الجودة تعريفات وتطبيقات / للأستاذ: عبدالعزيز عبدالله محمد المسعد، (دون دار النشر)، ط٢، ١٤٣٣هـ.
- الجودة الشاملة في العمل الإسلامي/م.بدوي محمود الشيخ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ.
- حول التربية والتعليم / أ.د.عبدالكريم بكار، دار القلم، بيروت، ط٣، ١٤٣٢هـ.

- الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة/ سماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نشر رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ .
- دليل عملي لتطبيق أنظمة إدارة الجودة الآيزو ٩٠٠٠ / د.م. مأمون السلطي، و م.سهيلا إلياس، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١٩.
- سنن ابن ماجه/ لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، حكم على أحاديثه وآثاره وعلّق عليه العلاّمة المحدِّث: محمد بن ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، (د: ت).
- سنن أبي داوود/ للإمام أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وعلق عليه العلّامة المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: أبو عبيده مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، د:ت.
- العمل المؤسسي/ د.محمد أكرم العدلوني، قرطبة للإنتاج الفني، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ - ١٤٠٧ هـ.
- مبادئ الجودة الشاملة في الإسلام وبعض تطبيقاتها في التعليم الإسلامي/ د. جمال محمد الهنيدي، دار النشر للجامعات، القاهرة، ١٤٢٩هـ.

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ .
- المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية/د. صالح بن حمد العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ.
- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي/ أ.د.عبدالكريم بكار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (د:تاريخ النشر).
- مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة / د. فرج الله عبد الباري، دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م
- مناهج البحث وكتابتها/ يوسف بن مصطفى القاضي، دار المريخ، الرياض، ١٤٠٤هـ.
- موسوعة الحديث الشريف(الكتب الستة)/ إشراف فضيلة الشيخ: صالح آل الشيخ، دار السلام، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢١ هـ.

ثانياً: الأبحاث وأوراق العمل:

- البناء المؤسسي في المنظمات الخيرية الواقع وآفاق التطوير/ محمد ناجي بن عطية- دراسة ميدانية قام بها الباحث على المنظمات الخيرية في أمانة العاصمة صنعاء - الجمهورية اليمنية-البحث منشور في موقع المفكرة الدعوية/

http://www.dawahmemo.com/show_d.php?id=1683

- تحسين أداء المؤسسة في ظل إدارة الجودة الشاملة(مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماجستير في العلوم التجارية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، قسم: علوم تجارية فرع التسويق)/إعداد: مزغيش عبدالحليم، إشراف:د.حشماوي محمد.٢٠١١-٢٠١٢م
- تطبيقات الجودة في الجمعيات الخيرية/ إعداد: د.عبد الله الخراشي، البحث منشور في موقع المفكرة الدعوية / www.HYPERLINK "http://www.dawahmemo.com/"dawahmemo.com
- الجودة الشاملة في التعليم العام: المفهوم والمبادئ والمتطلبات (قراءة إسلامية) بحث مقدم للقاء الرابع عشر للجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية (جستن) المقام في فرع الجمعية في القصيم يومي الثلاثاء والأربعاء ٢٨-٢٩ ربيع الآخر الموافق ١٥-١٦مايو ٢٠٠٧م بعنوان "الجودة في التعليم العام" إعداد: بدرية بنت صالح الميمان . البحث منشور في الشبكة الالكترونية/

http://kenanaonline.com/users/drkhaledomran/posts/438092

- حتى تخرج دعوتك من نطاق الفردية/ د.أسماء الرويشد، مقال منشور في موقع لها أون لاين/
http://www.lahaonline.com
- العمل المؤسسي في المؤسسات والجمعيات الخيرية الواقع والإصلاح المنشود./ فاطمة العديساني، ورقة عمل منشورة في موقع الجمعية الخيرية لرعاية الأيتام (-إنسان) /
http://www.ensan.org.sa/vb/showthread.php?t=8571
- العمل المؤسسي معناه ومقومات نجاحه/ عبد الحكيم بن محمد بلال، مجلة البيان: العدد (١٤٣)، رجب (١٤٢٠هـ)، نوفمبر (١٩٩٩م)، البحث منشور في موقع جامعة أم القرى في الشبكة الإلكترونية/
http://uqu.edu.sa/page/ar/146404

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

- الشبكة الإلكترونية/ http://kenanaonline.com/
- موسوعة ويكيبيديا/ http://ar.wikipedia.org/wiki
- موقع المفكرة الدعوية/ http://www.dawahmemo.com
- موقع لها أون لاين/http://www.lahaonline.com

البحث رقم (٣)

زينة المرأة الداعية
وضوابطها الشرعية

إعداد

د. أسماء بنت عبد العزيز الداود

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3][4] والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة حتى فتح الله به قلوباً غلفاً وأعيناً عمياً وآذاناً صماً وعلى آله وصحبه الذين تولوا أمانة البلاغ من بعده.

أما بعد:

فلقد عنى الإسلام بزينة المرأة عناية عظيمة فوضع لها القواعد والضوابط التي تحفظ لها كرامتها وعفتها وتكفل سعادتها فالمرأة مفطورة على حب الظهور والزينة والجمال ولهذا أبيح لها في موضوع الزينة أكثر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠-٧١.

(٤) خطبة الحاجة كما سماها العلماء وأثبت الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بعض طرقها التي استقصاها في رسالة بعنوان خطبة الحاجة (الرسالة المذكورة ص١٣-١٤، ط٤، ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي).

مما أبيح للرجل، جاء في الحديث عنه ﷺ: « حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأُحِلَّ لِإِنَاثِهِمْ »[1].

ونظراً لكثرة المخالفات في موضوع الزينة عند النساء بعضها نتيجة التشبه، وبعضها سببه الجهل، آثرت البحث في موضوع (زينة المرأة الداعية وضوابطها الشرعية) لعلي أسهم في تبصير المرأة بما يراد بها ويحاك ضدها من قبل أعداء الإسلام تلك المرأة التي كرمها الله وأعلى شأنها واختارها لحمل ونشر خاتم الرسالات السماوية، هذه المرأة التي يجب أن تكون متميزة في شخصها وهيئتها كما هي متميزة بدينها وبتكريم الله لها، ومن هنا تظهر أهمية الدراسة.

أهداف الدراسة

- التعرف على مفهوم الزينة ودوافعها عند المرأة.
- إبراز الضوابط الشرعية لزينة المرأة الداعية.
- بيان الزينة المستحبة والمباحة والمحرمة للمرأة الداعية.

تساؤلات الدراسة

- ما مفهوم الزينة ودوافعها عند المرأة.
- ما الضوابط الشرعية لزينة المرأة الداعية.
- ما الزينة المستحبة والمباحة والمحرمة للمرأة الداعية.

---

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب أَبْوَابُ اللِّبَاسِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ، رقم الحديث، (١٧٢٠)، ٣٨٣/٥ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

تقسيمات الدراسة

قسمت هذا الموضوع إلى مقدمة وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الزينة ودوافعها عند المرأة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الزينة.

المطلب الثاني: دوافع الزينة لدى المرأة.

المطلب الثالث: حكم الزينة.

المطلب الرابع: أقسام الزينة.

المبحث الثاني: الضوابط الشرعية لزينة المرأة الداعية.

المطلب الأول: ألا يكون في الزينة تشبهاً بالرجال.

المطلب الثاني: ألا يكون في الزينة تشبهاً بالكفار.

المطلب الثالث: ألا يكون في الزينة شهرة.

المطلب الرابع: ألا يصاحب الزينة كبر.

المطلب الخامس: ألا يكون في الزينة إسراف.

المطلب السادس: حسن القصد في الزينة وعدم التغرير.

المطلب السابع: ألا ترتكب بزينتها فعلاً محرماً.

المبحث الثالث: أنواع الزينة للمرأة الداعية.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الزينة المستحبة للمرأة الداعية.

١- السواك.

٢- تقليم الأظافر.

٣- نتف الإبط.

٤- الاستحداد.

٥- الكحل والخضاب.

المطلب الثاني: الزينة المباحة للمرأة الداعية.

١- الطيب.

٢- الحلي.

٣- استخدام المساحيق والأصباغ.

المطلب الثالث: الزينة المحرمة للمرأة الداعية.

أولاً: زينة شعر الرأس المنهي عنها:

١- قص الشعر.

٢- حلق شعر الرأس.

٣- وصل شعر الرأس.

٤- تعلية الشعر فوق الرأس.

ثانياً: زينة الوجه المنهي عنها:

١- نمص شعر الحاجبين.

٢- الرموش الصناعية.

٣- الوشم.

٤- تفليج الأسنان.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

فما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان والله ورسوله بريئان.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

مفهوم الزينة ودوافعها عند المرأة

المطلب الأول: تعريف الزينة:

تعريف الزينة لغة:

الزينة: بالكسر: ما يتزين به. والزّيْن خلاف الشيْن [1].

يقال: زينت الشيء تزييناً [2].

وازينت الأرض: أي حسنت وبهجت وأصله تزينت.

الاسم من ذلك: الزينة وهي ما يتزين بـه[3]، وتـزين: تجمـل في مظهره. وامرأة زائن: أي متزينة.

فالزينة اسم جامع لكل شيء يتزين به[4] مما يكسب جمـالاً، مـن لباس وطيب ونحوهما.

تعريف الزينة اصطلاحاً:

عرف القرطبي رحمه الله الزينة: بأنها ما تحاول به المرأة تحسين خلقتـها،

---

(١) انظر: الصحاح ٢١٣٢/٥ لإسماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار ط٢، ١٣٩٩هـ، القاهرة، معجم مقاييس اللغة ٤١/٤ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق: عبدالسلام محمد هارون ط١، ١٤١١هـ، دار الجيل، بيروت، لسان العرب ٢٠١/١٣ للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، القاموس المحيط ص١٥٥٤ لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤/٣، المصباح المنير ٢٦١/١ للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت.

(٣) انظر: الصحاح ٢١٣٢/٥، معجم مقاييس اللغة ٤١/٣.

(٤) انظر: لسان العرب ٢٠١/١٣.

كالثياب والحلي والكحل والخضاب [1].

وعرفها الشوكاني رحمه الله: (بأنها ما يتزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة) [2].

وعلى هذا فالزينة: أن الزينة اسم جامع لكل ما يُتزين به لأجل تحسين الهيئة[3].

المطلب الثاني: دوافع الزينة لدى المرأة.

الزينة والتزين من أقوى غرائز البشر الدافعة لهم إلى إظهار سنن الله في الخليقة من غير سرف ولا تكلف قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾[4].

وقد حظيت المرأة في الإسلام بعناية فائقة لم تحظ بها امرأة في دين من الأديان فقد صانها ورعاها وراعى احتياجاتها ورغباتها وحقوقها ومن هذه الرغبات والحقوق حقها في التزين والتجمل إذ الزينة في حياة المرأة غريزة فطرية جبلت عليها.

ودوافع الزينة عند المرأة كثيرة منها:

١. أن الله تعالى جبل المرأة على حب الزينة، والعناية بالمظهر، فأباح لها الذهب والحرير وغيرهما دون الرجال إشباعاً لهذه الغريزة التي فطرها الله عليها.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٩/١٢ لأبي عبدالله بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ٢٠٠/٢ لمحمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب.

(٣) أحكام الزينة ص٢٤ لعبير بنت علي المديفر، ط٢، ١٤٣٠هـ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

٢. أن في التزين تلبية لنداء الأنوثة، وهو عامل أساسي في إدخال السرور على زوجها، ومضاعفة رغبته فيها ومحبته لها.

٣. أن اهتمام المرأة بالزينة والتزين أمام الزوج من الأمور التي تعبد الله بها، ويعد من أسباب السعادة الزوجية، ومن بواعث الألفة والمودة.

٤. أن في تزين المرأة الداعية دور فعال في التفاف القلوب حولها والتأثر بدعوتها واتخاذها قدوة حسنة.

لكن وللأسف الشديد فقد ابتلي عصرنا بغزو الغرب وفكره، وكان من كبير بلائه أن جعل من المرأة قضية يثيرها في كل مجتمع وناد، وسخر صنوف وسائل الإعلام لطرحها على نحو ما يريد.

فأصبحت بعض نسائنا اليوم سريعة التأثر بتلك الدعايات الخبيثة والشعارات البراقة التي تسعى إلى تحرير المرأة وإفسادها.

وهذه الدعايات الخبيثة لم تجد ميداناً أكثر تأثيراً على المرأة من ميدان الزينة، فسعت بعض المؤسسات الكبرى في العالم إلى التفنن في أدوات التجميل والزينة تلاعباً بعقل المرأة وابتزازاً لمالها وإفساداً لعقيدتها فأصبحت تجيد التقليد والمحاكاة لنساء الغرب الكافر.

ومن هنا لزم المسلمين - ولا سيما الدعاة - أن ينتبهوا لهذا الموضوع الخطير الذي ينذر بفساد المجتمع وأن يسعوا لإنقاذ المرأة المسلمة مما يراد بها ويحاك ضدها من قبل أعداء الإسلام، وأن تكون الداعيات قدوة صالحة للنساء.

المطلب الثالث: حكم الزينة

لقد تفضل الله تعالى على هذه الأمة بجعلها أمة وسطاً تعطي الجسد حقه والروح حقها فأحل لنا الطيبات، وأباح للمرأة أن تتزين وتتجمل بالضوابط والقيود الشرعية قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ [1]. ولكنه لم يجعل هذا التزين هدفاً في ذاته بل اعتبره وسيلة لتلبية نداء الأنوثة في المرأة فعليها أن لا تسرف ولا تبالغ في ذلك وأن تسترشد في زينتها بتعاليم دينها فلا تبالغ في التزيين ولا تحاول تغيير خلقتها [2].

فكل ما يتزين به الإنسان حلال. وما حرم من الزينة إنما حرم باعتبار آخر لدليل خاص.

المطلب الرابع: أقسام الزينة:

المقصود بزينة المرأة كل ما يزينها ويجملها ويجعلها مقبولة مستحسنة في العين والخاطر، وهي إما أمور معنوية وإما أمور حسية.

فأما الأمور المعنوية فهي ما يطلق عليها بالزينة الخلقية، وبها تزدان المرأة، وتصبح مقبولة محمودة عند المجتمع المؤمن كما يشمل هذا النوع من الزينة جميع الصفات المحمودة، التي إن تحلت بها المرأة الداعية فازت برضا ربها ﷻ وكانت قدوة حسنة لغيرها من نساء المجتمع. وأولى هذه

---

(١) سورة الأعراف: جزء من الآية (٣٢).

(٢) انظر: اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ص٤٤٥ د. محمد عبدالعزيز عمرو، ط الأولى، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان.

الصفات الإيمان بالله سبحانه فهو زينة النفوس حيث يقول تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ (١). وينبثق من هذا الإيمان جميع الصفات المحمودة الأخرى، ومن الزينة الخلقية أن تترفع المرأة عن كل ما يشينها ويذهب بحيائها كالسفور والتبرج.

وأما الزينة الحسية فهي ما يطلق عليه بالزينة المكتسبة: وهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها بالصنع قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (٢). وتطلق على: الحلي، وأدوات التجميل الصناعية، مثل باروكات الشعر، الماكياج، عمليات التجميل (٣).

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٣) انظر: اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ص٤٤٣.

المبحث الثاني

الضوابط الشرعية لزينة المرأة الداعية

إن الإسلام حينما شرع الزينة لم يتركها مطلقة بل وضع لها ضوابط وقيوداً منها:

المطلب الأول: ألا يكون في الزينة تشبه بالرجال

من شروط زينة المرأة الداعية، ألا تتشبه فيها بالرجال والأصل في ذم ذلك الفعل ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»(١).

ولا شك أن تشبه أحد الجنسين بالآخر انحراف عن الفطرة، وداء عضال انتقل إلينا بسبب الاحتكاك بالغرب ومحاكاته وتقليده، حتى أصبحت المرأة كالرجل في اللباس والزينة والمشية والكلام ونحو ذلك وهذا أمر مستقبح يأباه الشرع، وتنفر منه العقول السليمة، لذا زجر عنه الإسلام وحذر منه. عن عائشة رضي الله عنها قالت: « لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَةَ مِنَ النِّسَاءِ»(٢).

بل وقد شرع لنا ما هو أكثر من هذا فأمر النبي ﷺ بإخراج من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب المتشبهين بالنساء والمتشبهات بالرجال، رقم الحديث (٥٨٨٥) ٧/٥٥.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في لباس النساء، رقم الحديث (٤٠٩٩) ٤/٦٠-٦١، قال عنه النووي: إسناده حسن (انظر: المجموع ٤/٤٦٩) وصححه الألباني بشواهده (جلباب المرأة المسلمة ص١٤٦).

تعاطى ذلك من البيوت لئلا يفضي الأمر بالتشبه إلى تعاطي اللواط والسحاق[1]. قال ابن عباس ﷺ :« لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلاَتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ: «أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ». قال: فأخرج النبي ﷺ فلاناً، وأخرج عمر فلانة[2].

فهذا يدل على أن تشبه المرأة بالرجل فيما هو من خصائص الرجال، أمر عظيم لا يجوز، فنهى عنه المصطفى ﷺ، ولعن فاعله.

والضابط في التشبه لا يعود إلى مجرد اختيار الرجال والنساء لشيء يختارونه بشهوتهم ثم يعتادونه، بل يرجع إلى الغالب الذي يصلح لكل منهما فإن كان غالب الزينة زينة للرجال نهيت عنها المرأة [3].

والحكمة من ذلك تتبين مما يلي:

١- أن المشابهة في الأمور الظاهرة، تورث تناسباً وتشابهاً في الأخلاق والأعمال، فالمرأة المتشبهة بالرجل تكسب من أخلاقهم حتى يصير فيها من التبرج والبروز ومشاركة الرجال، وتفعل من الأفعال ما ينافي الحياء، والخفر المشروع للنساء [4].

٢- إخراج المتشبهة عن الصفة التي وصفها عليها الخالق سبحانه وذلك أن

---

(١) انظر: تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ٥٧/٨ للإمام أبي العلا محمد بن عبدالرحمن المباركفوري ط١، ١٤١٠، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، رقم الحديث (٥٨٨٦) ٥٥/٧.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى ١٤٦/٢٢-١٥٥ جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين وعلى نفقته الخاصة.

(٤) المرجع السابق ١٥٤/٢٢.

الله خلق أشياء وجعل لها صوراً وصفات، فمن غير منها صورة أو صفة على خلاف ما وضعت عليه فقد نازع الجليل سبحانه [1].

٣- أن في تشبه المرأة بالرجل خروج عن الطبيعة التي خُلقت عليها واختصت بها عن الجنس الآخر.

المطلب الثاني: ألا يكون في الزينة تشبه بالكفار

أجمع الصحابة والتابعون والأئمة من بعدهم على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم في الجملة استناداً على حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :« مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ »[2].

قال ابن تيمية رحمه الله: (مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط بالظاهر .. هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحاً محضاً، لو تجرد عن مشابهتهم فأما إن كان من موجبات كفرهم كان شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع معاصيهم)[3].

وقال في سبل السلام: (والحديث دال على أن من تشبه بالفساق كان منهم، أو بالكفار أو المبتدعة في أي شيء مما يختصون به من ملبوس أو مركوب أو هيئة)[4].

---

(١) انظر: بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها ٤/١٤٠ للإمام المحدث أبي محمد عبدالله بن أبي جمرة الأزدي، مطبعة الصدق الخيرية، مصر، ١٣٥٣هـ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠/٣٣٣ للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تصحيح وتحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة رقم (٤٠٣١) ٤/٢٤، قال ابن مفلح: (وإسناده صحيح). انظر: الفروع ١/٣٦٠.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/٨٠-٨١ لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. ناصر العقل، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٤) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع الأدلة الأحكام ٤/٣٤٨، للإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني، راجعه وعلق عليه: محمد بن عبدالعزيز الخولي، مكتبة الرسالة الحديثة.

والحكمة في النهي عن التشبه بالكفار:

١- أن التشبه بهم يورث عند المرأة الداعية شعوراً بالتقارب والمودة كما قال ابن تيمية رحمه الله: (إن المشابهة في الظاهر تورث مودة ومحبة، وموالاة في الباطن، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة)[١].

٢- أن في التشبه بهم موالاة لهم وتعظيماً وذلك محرم لقوله ﷺ: « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى)[٢]. فقوله: (ليس منا) صيغة تقتضي التحريم والبراءة ممن فعل ذلك.

٣- أن تشبه المرأة الداعية بالكفار في الظاهر توجب تناسباً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس فإن اللابس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم [٣].

ولا بد هنا من الإشارة إلى بعض الأمور الهامة:

١- أنه لا يشترط في التشبه النية والقصد فالتشبه يعم من فعل ذلك الشيء لأجل أنهم فعلوه، ولو كان للتزين. دل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «غَيِّرُوا الشَّيْبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ»[٤].

٢- ما كان في الأصل ليس مأخوذاً من الكفار لكنهم يفعلونه أيضاً فهذا ليس فيه محذور المشابهة.

٣- لا يدخل تحت التشبه هنا الاستفادة مما عند الكفار من الصناعات والعلوم ونحوها.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/٤٨٨-٤٨٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه، كتاب أَبْوَابُ الِاسْتِئْذَانِ وَالْآدَابِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَرَاهِيَةِ إِشَارَةِ الْيَدِ بِالسَّلَامِ، رقم الحديث (٢٦٩٥) ٥/٥٦، وحسنه الألباني.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/٧٩-٤٨٧.

(٤) رواه الترمذي في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الخضاب رقم (١٧٥٢) ٤/٢٣٢، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

المطلب الثالث: ألا يكون في الزينة شهرة

الشهرة ما يشتهر بين الناس ويتميز به صاحبه عن غيره لخروجه عن عادة الناس[1]. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2]. فالله سبحانه وتعالى يعاقب من لبس لباس الشهرة في الدنيا بإلباسه ثوباً يوجب مذلته في الآخرة، كما لبس ثوباً يتعزز به على الناس، ويترفع به عليهم إذ العقوبة من جنس العمل[3].

وقد تعددت عبارات العلماء في بيان ضابط الشهرة فمنهم من ضبطه بالخارج عن العادة[4] ومنهم من ضبطه بما يشتهر به عند الناس ويشار إليه بالأصابع[5] ويختال عليهم بالعجب والتكبر[6] ومنهم من ضبطه بما يخالف زي أهل البلد ويزري الإنسان وينقص مروءته[7].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ١٣٨/٢٢، الروض المربع بشرح زاد المستقنع ص٧١٢، للشيخ منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، ط٣، ١٤١٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة رقم (٤٠٢٩)، (٤٠٣٠)، ٤٣/٤-٤٤، وابن ماجه في سننه، كتاب اللباس، باب من لبس شهرة من الثياب رقم الحديث (٦٠٦) ١١٩/٢-١١٩٣ قال الشوكاني: (رجال إسناده ثقات) انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ١١٣/٢، للشيخ محمد الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٨٤/٢.

(٣) انظر: نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ١١٣/٢.

(٤) انظر: مجموع الفتاوى ١٣٨/٢٢.

(٥) انظر: شرح منتهى الإرادات ١٥٢/١ للشيخ منصور بن إدريس البهوتي، دار الفكر، الروض المربع بشرح زاد المستقنع ص٧٢.

(٦) انظر: نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ١١٣/٢.

(٧)انظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية ٥٢٦/٣، لابن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر الخيام، ط٣، ١٤١٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ويختلف حكم الشهرة باختلاف الحال فإن تزين المرء قاصداً بذلك الشهرة فقد وقع في المحظور سواء حصلت الشهرة أم لم تحصل إذ المعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع.

قال الشوكاني رحمه الله: (إذا كان اللبس لقصد الاشتهار في الناس، فلا فرق بين رفيع الثياب ووضيعها والموافق لملبوس الناس والمخالف ؛ لأن التحريم يدور مع الاشتهار والمعتبر القصد، وإن لم يطابق الواقع)[1].

وإن تزين بغير قصد الشهرة ولكنها حصلت وفاقاً فإن عليه ترك هذه الزينة من حين حصلت الشهرة؛ لأن التحريم يدور مع الاشتهار وهو معذور بجهله فإن استمر على زينته بعد حصول الشهرة وعلمه بها فقد وقع في المحظور.

وعلينا أن ننبه هنا أن الشهرة لا تختص بما هو حسن عند الناس بل قد تكون بالقبيح عندهم، فالحديث ليس مختصاً بنفيس الثياب، بل قد يحصل ذلك لمن يلبس ثوباً يخالف ملبوس الناس [2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (تكره الشهرة من الثياب، وهو المترفع الخارج عن العادة، والمنخفض الخارج عن العادة فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين المترفع والمنخفض)[3]. فما خرج عن عادة الناس، لقبحه أو لحسنه حصل به الاشتهار سواءً في اللباس أو الزينة.

---

(١) نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ١١٣/٣.

(٢) انظر نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ١١٣/٣.

(٣) مجموع الفتاوى ١٣٨/٢٢.

وتتجلى الحكمة في النهي عن الشهرة في النقاط التالية:

١- أن في الشهرة مدعاة إلى العجب بالنفس والتكبر على عباد الله [١] وذلك أمر منهي عنه.

٢- أن الشهرة ربما أزرت بصاحبها وأنقصت مروءته [٢].

٣- أنها قد تؤدي بصاحبها إلى الرياء [٣].

٤- أنها قد تكون سبباً إلى حمل الناس على غيبته فينهى عنها سداً للذريعة.

فعلى المرأة الداعية أن تهتدي بهدي النبي × فيما أمر به من الزينة وأن تقتدي في ذلك بأمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ فلا تتكلف في الزينة وتبالغ فيها ولا تتركها البتة.

المطلب الرابع: ألا يصاحب الزينة كبر:

على المرأة الداعية أن تتعاهد قلبها وتطهر نفسها من الكبر والخيلاء، فالزينة والتزين مشروع للمرأة الداعية بشرط أن لا تتجاوز الحد في ذلك فتلفت الأنظار إليها.

قال الشوكاني ﷺ: (ولا شك أن لبس ما فيه جمال زائد من الثياب يجذب بعض الطباع إلى الزهو والخيلاء والكبر)[٤]. وجاء في الحديث

---

(١) انظر: نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ١١٣/٢.

(٢) انظر: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ١٦٢/٢ للشيخ محمد السفاريني، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة قرطبة.

(٣) انظر: شرح منتهى الإرادات ١٥٢/١.

(٤) نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ١١٥/٢.

القدسي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قَالَ اللَّهُ ﷻ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»[1]. فإذا كان التزين يدعو إلى ذلك فتركه واجب.

عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ »، قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال: « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ »[2].

قال الشوكاني ﷺ: (الحديث يدل على أن محبة لبس الثوب الحسن والنعل الحسن وتخير اللباس الجميل ليس من الكبر في شيء وهذا مما لا خلاف فيه فيما أعلم)[3]. فقصد المرأة الداعية ونيتها في التزين لا بد أن تكون خالصة لله ﷻ فلا تفخر بزينتها ولا تعجب بها.

روي عن علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: (إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل في قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[4])[5].

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر رقم (٤٠٩٠) ٤/٩٥، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر، رقم (٤١٧٤) ٢/١٣٩٧ وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢/٧٧٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم (١٤٧)١/٩٣

(٣) نيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار ٢/١١٥.

(٤) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن ٢٠/١٢٢ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر.

قال ابن رجب رحمه الله: (وهذا محمول على أنه إذا أراد الفخر على غيره، لا بمجرد التجمل)[1].

المطلب الخامس: ألا يكون في الزينة إسراف

الإسراف هو مجاوزة الحد في كل فعل أو قول وهو في الإنفاق أشهر[2] قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾[4].

وجاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: « كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ»[5].

قال المناوي رحمه الله: (هذا الحديث جامع لفضائل تدبير المرء نفسه، فالإسراف يضر بالجسد والمعيشة، والخيلاء يضر بالنفس حيث تكسبها العجب، وبالدنيا حيث تكسب المقت من الناس وبالآخرة حيث تكسب الإثم)[6].

فعلى المرأة الداعية أن تراعي هذا الضابط في زينتها وأن تكون

---

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم ص١٧١ لزين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٣٤/٢٢، فتح الباري ٢٥٣/١٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٦٧.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه، كِتَابُ اللِّبَاسِ، بَابُ الْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَكَ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ، رقم (٣٦٠٥)، وحسنه الألباني.

(٦) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤٦/٥ لمحمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

معتدلة دون شطط فتخرج إلى التبذير والإسراف والمباهاة وقصد الكبر والعجب والخيلاء وهذا طريق إلى ما ينهى عنه من لباس الشهرة دل على ذلك ما جاء في الأثر عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: (إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَنْهَانَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الإِرْفَاهِ)[1] [2].

فقد كره النبي ﷺ الإفراط في التنعم والتدهين والترجيل ونهى عنه [3] وقيده بالكثير إشارة إلى طلب الاعتدال [4]. وضابط الإسراف هو العرف [5] فما تعارف الناس على إنه إسراف، فهو إسراف، وإلا فلا ومن تزين بما هو عادة مثله لم يكن مسرفاً وإن كان نفيساً وعكس ذلك صحيح.

وهذا الضابط لا بد من التفرقة فيه بين قصد عدم الإسراف وبين الامتناع بالكلية فمن تركت التزين بخلاً بالمال لم يكن لها أجر ومن تركته تعبداً بتحريم المباحات فهو جهل كما أن الإسراف في المباحات هو من العدوان المحرم.

المطلب السادس: حسن القصد في الزينة وعدم التغرير

حسن القصد أصل في التعامل عامة في الإسلام وليس في قصد الزينة فقط، وإنما في كل عمل يعمله المؤمن فيقصد فيه ما يشرع العمل لأجله

---

(١) الإرفاه: كثرة التدهن والتنعم (انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٤٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب الترجل باب (١) حديث (٤١٦٠) ٤/٧٥، والنسائي في السنن الصغرى ٨/١٣٢ كتاب الزينة، باب الترجل غباً، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٣.

(٣) انظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود ١١/٢١٨ للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، ط٢، ١٣٨٨هـ، الناشر: محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية، المدينة النبوية.

(٤) انظر: فتح الباري ١٠/٣٦٨، عون المعبود ١١/٢١٩.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم ٢/٢٩٢ للإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، ط١، ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ليؤجر على فعله رجلاً كان أو امرأة دل على ذلك ما ورد عن النبي ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١).

ومن حسن القصد عند المرأة الداعية البعد عن قصد ما حرم الله عليها في زينتها فهي لا تتزين للأجانب إغراءً لهم، ولا تتزين خيلاء وكبرياء، ولا تقصد من وراء الزينة التغرير والتدليس والغش طمعاً لنيل إعجاب خاطب ونحوه.

بل إن المرأة الداعية هي من تقصد من وراء تزينها حسن التبعل لزوجها ومعاونته على غض بصره وإحصان نفسه إن كانت ذات زوج، أو الظهور بمظهر حسن أمام المدعوات، لتدلل بفعلها هذا على أنه لا رهبانية في الإسلام وإنما هو يدعو إلى المظهر الحسن الطيب ويرغب عن التبذل، ويحث على الزينة ما روعيت فيها الضوابط والقيود الشرعية.

المطلب السابع: ألا ترتكب بزينتها فعلاً محرماً

اتفق العلماء على إباحة الزينة للمرأة بالضوابط والقيود الشرعية التي حددها الشرع فلا تباح لها الزينة مطلقاً بحيث تفعل ما تعارف الناس على أنه زينة وإن خالف الشرع كالوصل أو النمش أو الوشم ونحو ذلك.

فعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ زَوَّجَتِ ابْنَتَهَا، فَتَمَعَّطَ شَعَرُ رَأْسِهَا، فَجَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجَهَا أَمَرَنِي أَنْ أَصِلَ فِي شَعَرِهَا، فَقَالَ: «لاَ، إِنَّهُ قَدْ لُعِنَ المُوصِلاَتُ»(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (١) ١/٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا تطيع المرأة زوجها في معصية، رقم (٥٢٠٥) ٦/١٥٣.

ونظراً لتفشي هذا الأمر وغيره مما نهي عنه في وقتنا الحاضر ومبالغة النساء في عمله استناداً إلى بعض الفتاوى في بعض المذاهب فغالت بعض النساء في التمسك بها، واتخذتها ذريعة إلى ما هو أكبر بما ثبت حرمته، فلا بد من التنبيه إلى أن زينة المرأة حتى لزوجها ـــ أي داخل بيتها ـــ تقيد بضوابط خاصة فليست كل زينة تباح بحجة التزين للزوج، بل لا تفعل الزينة المحرمة ولو بأمر الزوج، فضلاً عن إذنه المجرد من الأمر. فلو أمرها بوصل أو نمص أو وشم فلا طاعة له في معصية الخالق.

المبحث الثالث

أنواع الزينة للمرأة الداعية

إن لزينة المرأة الداعية أثراً في الاستجابة للدعوة، سواءً على مستوى المدعوات وجذبهم لما تدعو إليه، أو على مستوى تنشيط الداعية نفسها.

فزينة المرأة الداعية ومظهرها رسالة تبلغ بها دعوتها وما تحمل من مبادئ. والرسل عليهم الصلاة والسلام هم من أكمل الناس خَلْقاً وخُلُقاً وأحسنهم ظاهراً وباطناً، فحسن السمت والهيئة من أخلاق الأنبياء كما أن سوء السمت والهيئة من شيم الأشقياء [1].

وقد كمل الله تعالى باطن الأنبياء وظاهرهم وأضفى عليهم نور النبوة من الهيبة والإجلال. ومما يشهد لهذا ويؤيده ما جاء في قصة الخليل إبراهيم عليه السلام حينما جاء إلى مكة يتفقد ابنه إسماعيل عليه السلام فلم يلق ابنه ولكن لقي زوجته (فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ...)[2].

فالاهتمام بالمظهر العام للشخصية المسلمة مظهر مهم من مظاهر هذه الدعوة الكريمة دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[3].

---

(١) انظر: روعة العقلاء ونزهة الفضلاء ص٢٩ للشيخ محمد بن حبان البستي، تحقيق: جمال محمود، ط١، ١٤١٥هـ، دار الفتح، الشارقة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، رقم (٣٣٦٤) ٦/٤٧٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

ويمكننا أن نقسم أنواع الزينة إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الزينة المستحبة للمرأة الداعية.

المطلب الثاني: الزينة المباحة للمرأة الداعية.

المطلب الثالث: الزينة المنهي عنها للمرأة الداعية.

المطلب الأول: الزينة المستحبة للمرأة الداعية.

تميزت الدعوة الإسلامية عن الدعوات السابقة بشمولها، بكل ما للمشمول من معان، ودلالات زمانية ومكانية، ونظم حياة للبشرية جمعاء.

فالإسلام منهج وخطة عمل، يتلاءم مع الطبيعة البشرية في خصائصها وإمكانياتها، سواء كانت هذه الطبيعة في الفرد أو الأسرة أو في المجتمع [1].

وقد شملت أنظمة الإسلام نواحي الحياة المختلفة، فكما أنها جاءت بتعاليم تتعلق بأصول الدين جاءت أيضاً بالآداب العامة والخاصة، وقد حرص المصطفى ﷺ على تعليم أمته في أدق أمورهم الشخصية المتعلقة بالزينة الظاهرة والباطنة.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَالِاسْتِنْشَاقُ بِالْمَاءِ، وَقَصُّ

(١) انظر: خصائص الدعوة الإسلامية ص٢٣١ تأليف محمد أمين حسن ط١، ١٤٠٣هـ، مكتبة المنار، الأردن.

الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ»[1].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: (وهذه الخصال مجتمعة فيها الحفاظ على حسن الهيئة والنظافة وكلاهما يحصل به البقاء على أصل كمال الخلقة التي خلق الإنسان عليها، وبقاء هذه الأمور وترك إزالتها يشوه الإنسان ويقبحه بحيث يُستقذر، ويجتنب، فيخرج عما تقتضيه الفطرة الأولى)[2].

لأن الإنسان إذا بدأ في الهيئة الجميلة كان أدعى لانبساط النفس إليه، فيقبل قوله ويحمد رأيه والعكس بالعكس [3].

فالزينة المستحبة هي كل زينة رغب فيها الشارع وحث عليها ويدخل في هذا سنن الفطرة كتقليم الأظافر ونتف الإبط والاستحداد والسواك وأدخلت تحت هذا القسم الكحل وخضاب اليدين.

١- السواك:

وهو من خصال الفطرة الدالة على عناية الشريعة الإسلامية بالنظافة وتزيين رائحة الفم مما قد يعلق به من أوساخ من بقايا طعام قد تحمل روائح كريهة. ويقصد به: استعمال عود في الأسنان لإذهاب التغير ونحوه[4].

يقول الدكتور عبد الرزاق السعيد: (السواك يطلق على الآلة التي يتسوك بها وأفضلها ما كان من عود الأراك، ويطلق على الفعل الذي هو

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة رقم (٢٥٨) ١/٢٢٣.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١/٥١١-٥١٢. لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، يوسف علي بديوي وآخرين، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق.

(٣) انظر: فتح الباري ١٠/٣٣٩.

(٤) انظر: المجموع شرح المهذب ١/٢٧٠. للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر.

التسوك، وهو دلك الفم بالمسواك لتنظيف الأسنان واللسان واللثة)[1].

وقد جاء في فضله أحاديث عدة منها: «لولا أن أشق على أمتي أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[2].

وهو من السنن التي كان النبي ﷺ يواظب عليها، فكان إذا دخل بيته بدأ بالسواك [3]، وإذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك [4].

قال ابن القيم رحمه الله: (وكان ﷺ يحب السواك، وكان يستاك مفطراً أو صائماً، ويستاك عند الانتباه من النوم وعند الوضوء وعند الصلاة)[5].

والسواك فيه منافع عديدة: فهو كما قال ﷺ: «مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»[6] وهو مستحب في جميع الأوقات ولكنه أشد استحباباً في خمسة أوقات: الأول: عند الصلاة، الثاني: عند الوضوء، الثالث: عند قراءة القرآن، الرابع: عند الاستيقاظ من النوم، الخامس: عند تغير رائحة الفم.

فالسواك متعلق بالنظافة والزينة الظاهرة كما أنه متعلق بالنظافة الباطنة من حيث الرائحة، فالفم مصدر تلقي المدعو فهو ينظر إليه ويقترب

---

(١) السواك والعناية بالأسنان، ص٢٩ للدكتور عبدالرزاق عبدالله السعيد، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، الرياض.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، رقم (٨٨٧) ٢١٤/١ ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب السواك، رقم (٢٥٢) ٢٢٠/١.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب السواك رقم (٢٥٣) ١٨٥/١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب السواك رقم (٢٥٥) ١٥٨/١.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد ١٧٤/١١ لابن قيم الجوزية. تحقيق: شعيب الارناؤوط وعبدالقادر الارناؤوط، ط١٤، ١٤١٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٦) رواه النسائي في سننه، كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك، رقم (٥) ١٠/١، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

منه ولاسيما في الدعوة الفردية، ولذلك فإن حرص الداعية على السواك والاهتمام به سبب في قرب المدعو منه وعدم نفوره، ومن ثم الإصغاء إلى دعوته[1]. لذا فلتحرص المرأة الداعية على نظافة الفم وتطييب رائحته.

٢- تقليم الأظافر:

ويقصد به إزالة ما يزيد على رأس الأصبع من الظفر والحكمة من حيث الشرع على قص الأظافر وتقليمها، لأن الوسخ يجتمع فيه فيستقذر، وقد ينتهي إلى حد يمنع من وصول الماء إلى ما يجب غسله في الطهارة [2].

وضابط وقت القص: الاحتياج، ولا تترك أكثر من أربعين يوماً فعن أنس ﷺ قال: «وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَحَلْقِ الْعَانَةِ، وَنَتْفِ الْإِبْطِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ، أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» [3].

قال النووي ﷺ: (ومعناه أنهم لا يؤخرون فعل هذه الأشياء عن وقتها، وإن أخروها فيما لا يزيد عن أربعين يوماً، وليس معنى هذا الإذن في أن تؤخر أربعين مطلقاً)[4].

قال ابن حجر ﷺ: (لكن لا يمنع هذا من تفقده يوم الجمعة، فإن المبالغة في التنظيف فيه مشروعة)[5].

وقد انتشرت عند بعض النساء عادة إطالة الأظافر تأثراً بنساء

---

(١) انظر: هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته ص٣٨ د. عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار الحضارة للنشر والتوزيع.

(٢) انظر: فتح الباري ١٠/٣٤٥، الشرح الكبير ١/١٣٤ لشمس الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، ط ١٤٠٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم (٢٥٨) (١/٢٢٢).

(٤) المجموع ١/٢٨٧.

(٥) فتح الباري ١٠/٣٤٦.

الغرب وهذه عادة سيئة منافية لتعاليم الدين لأمور:

١- أن في ذلك تشبهاً بالكفار، لأن هذه العادة دخيلة علينا لم تكن معروفة عند نساء المسلمين حتى صار تقليد الغرب في زيه ولباسه تقدماً ومدنية.

٢- أن فيه مخالفة للفطرة التي فطر الناس عليها على حسنها وكمالها.

٣- أن الأظافر الطويلة قد يستتر تحتها شيء من النجاسة عندما يستنجي الإنسان ولهذا قال بعض العلماء: إنه حامل للنجاسة فلا تصح صلاته[١].

٤- أن طولها قد يصل إلى قدر يمتنع معه وصول الماء إلى البشرة، فيكون الظفر على هذا حائلاً عارضاً يستلزم غسل ما تحته [٢].

٥- أن في إطالة الأظافر تشبهاً بالبهائم ونبذ لآداب الإسلام العالية وأخلاقه الرفيعة الموافقة للفطرة.

ثم إن الواجب على المرأة الداعية أن تحرص على أن تظهر بالمظهر الذي يحقق لها الالتزام بدينها وتمسكها به، لا كما تفعل بعض النساء من ارتداء الأظافر الصناعية التي ليست من الزينة في شيء بل هي آفة من الآفات التي ابتليت بها نسائنا في العصر الحاضر. وقد أشار الطب الحديث إلى أن مادة تثبيت الأظافر الصناعية قد تؤثر على النمو الطبيعي للظفر الأصلي.

أما ما يتعلق بصبغ الأظافر بالمستحضرات الحديثة كالمناكير ونحوها فهذا مباح ما لم يكن في ذلك تشبه بالكافرات، أو يكون على هيئة فيها محاكاة للكافرات.

وقد أشار بعض الأطباء إلى مضرة هذا الطلاء وأثره السيئ على

---

(١) انظر: فتح الباري ١٠/٣٤٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ٢/١٠٢.

الجلد والظفر[1]. كما أن المواد المستخدمة في تثبيته وإزالته قد تؤثر بالتحسس على الجلد، وجفون العين [2].

ولتفطن المرأة الداعية إلى أن هذه الأصباغ تعد حائلاً تمنع وصول الماء إلى الظفر الواجب غسله في الوضوء أو الغسل. وقد تتوهم بعض النساء أن وضع مثل هذه الأصباغ بعد وضوء لم يتبعه ما ينقضه، فإنه يصح الوضوء دون إزالته قياساً على المسح على الخفين، وهذا قياس باطل، لأن المسح على الخفين رخصة ورد فيها التيسير على المسلمين لحاجتهم إلى ستر القدمين بخلاف هذه الأصباغ إذ لا حاجة ماسة إليها.

فعلى المرأة الداعية أن تنتبه لهذا الأمر وأن تبين للنساء الحكم الشرعي في ذلك.

٣- نتف الإبط:

والهدف منه النظافة، وقطع الرائحة الكريهة التي تحدث من اجتماع القذر فيه. ونتف الإبط أفضل من حلقه لورود الحديث به [3]، ولأن النتف يضعف الشعر فتضعف الرائحة، بخلاف الحلق فإنه يقوي الشعر ويهيجه فتقوى الرائحة. لكن إذا لم يقو على النتف جازت إزالته بأي مزيل بما وجد في هذا العصر، لحصول المقصود وهو الإزالة [4].

وتتضح الحكمة في إزالة شعر الإبط بما يأتي:

---

(١) انظر: الأمراض الجلدية (تساقط الشعر، أمراض الحساسية، حب الشباب) ص١٤٦، د.محمود حجازي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، قمامة، جدة، المملكة العربية السعودية.

(٢) انظر: الأمراض الجلدية(تساقط الشعر،أمراض الحساسية،حب الشباب) ص٨٧.

(٣) سبق تخريجه ص٢٦.

(٤) انظر: الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها، علي بن عبدالله القرني، جعفر صادق المطهري، دار المسلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، ص١٠٠.

١- تحسين الهيئة [١] وتنظيف الإبط مما يتلبد من الوسخ على شعره، الذي ربما حصل بسببه رائحة كريهة [٢] قد تعود على صاحبها بالضرر.

٤- الاستحداد:

وهو حلق العانة، سمي بذلك لاستعمال الحديدة فيه ويهدف إلى نظافة الموضع.

جاء في لسان العرب: (الاستحداد: الاحتلاق بالحديد)[٣].

وقال ابن حجر رحمه الله: (المراد به استعمال الموسي في حلق الشعر من مكان مخصوص من الجسد)[٤].

والحكمة من الحث على إزالة شعر العانة للمرأة:

١- أن إزالة هذا الشعر تقي المرأة من الأمراض والالتهابات بسبب تراكم الأوساخ.

٢- أن إزالته متضمنة لكمال الطهارة.

٣- أن إزالته تلطف العشرة بين الزوجين وتزرع الألفة بينهما وتؤدي إلى كمال الاستمتاع [٥].

---

(١) انظر:فتح الباري ٣٩٩/١٠.

(٢) انظر: أحكام القرآن ٣٧/١ لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد الباجوري، ط١، ١٣٧٨هـ، دار إحياء الكتب العربية، دار الجيل، بيروت.

(٣) لسان العرب ١٤١/٣.

(٤) انظر:فتح الباري ٨٦/١.

(٥) أخرجه الترمذي في السنن ٢٣٤/٤كتاب اللباس باب ما جاء في الاكتحال رقم (١٧٥٧) وقال عنه : (حسن غريب)، وأخرجه النسائي في السنن الصغرى ١٤٩/٨ كتاب الزينة باب الكحل، وابن ماجه في السنن ١١٥٧/٢كتاب الطب باب الكحل بالإثمد رقم (٣٤٩٧) والحاكم في المستدرك في كتاب الطب ٤٠٨/٤وقال عنه :صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، التلخيص مع المستدرك ٤٠٨/٤

٥- الكحل والخضاب:

الكحل زينة وجمال، وقد حث النبي ﷺ على الكحل فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اكْتَحِلُوا بِالْإِثْمِدِ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ، وَيُنْبِتُ الشَّعْرَ»[(١)]. فالإثمد زينة ودواء، وكانت العرب تكتحل به، وقد أبان ابن القيم رحمه الله عن شيء من فوائده [(٢)].

إلا أن كثيراً من النساء قد رغبت عن هذا النوع من الكحل وصرن يستعملن الأقلام، والتي تأتي بألوان متعددة ويمكن للمرأة أن تستخدمها حسب لون الثوب الذي تلبسه.

أما الخضاب فهو من زينة المرأة المشروعة التي تستخدم في اليدين والرجلين والشعر لتغيير الشيب.

والحناء نبات معروف تحتوي أوراقه على نسبة عالية من المواد الملونة، وهو نبات طبيعي لا توجد فيه أي خطورة، بل إنه من النباتات الطبية المفيدة التي ثبت نفعها عملياً في معالجة بعض الأمراض والعوارض [(٣)].

ومما يدل على أن الخضاب قد عرف للزينة منذ القدم ما جاء في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [(٤)].

فالزينة هنا هي الخضاب كما وردت بذلك أقوال فقهاء المذاهب

---

(١)انظر: فتح الباري١/٨٦.

(٢)انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ٤/٢٨٣.

(٣) انظر: التداوي بالأعشاب والنباتات ص٧٤-٧٦ تأليف: عبداللطيف عاشور، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصوير، القاهرة.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

وتواترت على أن المحادة على زوجها تتجنب كل ما يدخل في الزينة ومن جملة ذلك الخضاب [1]. وهذا يعني أنه يباح لغير المحادة من النساء في الأحوال العادية. وقد دلت السنة المطهرة على مشروعية خضاب اليد بالحناء وذلك فيما روته أم المؤمنين عائشة ﵂: (أَنَّ امْرَأَةً، مَدَّتْ يَدَهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَبَضَ يَدَهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَدَدْتُ يَدِي إِلَيْكَ بِكِتَابٍ، فَلَمْ تَأْخُذْهُ؟ فَقَالَ: «إِنِّي لَا أَدْرِي يَدُ امْرَأَةٍ أَمْ يَدُ رَجُلٍ؟» قُلْتُ: بَلْ يَدُ امْرَأَةٍ قَالَ: «لَوْ كُنْتِ امْرَأَةً لَغَيَّرْتِ أَظْفَارَكِ بِالْحِنَّاءِ)[2].

قال في عون المعبود: (وفي الحديث شدة استحباب الخضاب بالحناء للنساء)[3].

وقال النووي ﵀: (أما خضاب اليدين والرجلين بالحناء فمستحب للمتزوجة من النساء للأحاديث المشهورة منه وهو حرام على الرجال إلا لحاجة التداوي ونحوه)[4].

كما أن غير المتزوجة أيضاً يشرع لها التجمل وإبداء الزينة والظهور بالمظهر الحسن أمام محارمها من الرجال، وأمام النساء قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾[5].

---

(١) انظر: أحكام النساء ص١١٧ لأبي الفرج بن الجوزي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

(٢) رواه النسائي في سننه، كتاب الزينة، باب الخضاب للنساء، رقم (٤١٦٦) ١٤٢/٨، وقال الألباني: (حسن). انظر: صحيح سنن النسائي ١٠٤٥/٣.

(٣) عون المعبود بشرح سنن أبي داود ٢٢٤/١.

(٤) انظر: المجموع شرح المهذب ٢٩٤/١.

(٥) سورة النور، الآية: ٣١.

المطلب الثاني: الزينة المباحة للمرأة الداعية.

وهي كل زينة أباحها الشرع، وأذن فيها للمرأة، مما فيه جمال وعدم ضرر بالشروط المعتبرة في كل نوع، ويدخل في ذلك: الطيب، والحلي، ووسائل التجميل الحديثة.

١- الطيب:

كان النبي ﷺ يحب الطيب ويكثر التطيب[١]، وتعجبه الريح الطيبة[٢]، وكان يعرف برائحة الطيب إذا أقبل[٣]. وكان أطيب الطيب عنده المسك[٤].

قال أنس رضي الله عنه: (ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ)[٥].

قال الإمام النووي رحمه الله: (قال العلماء: كانت هذه الريح الطيبة صفته ﷺ وإن لم يمس طيباً ومع هذا فكان يستعمل الطيب في كثير من الأوقات مبالغة في طيب ريحه؛ لملاقاة الملائكة وأخذ الوحي الكريم ومجالسة المسلمين)[٦].

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ١/١٧٤.

(٢) رواه أحمد في المسند ٦/٤٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/٨٩١ رقم (٤٩٨٣).

(٣) الطبقات الكبرى ١/٣٩٩ لابن سعد، دار بيروت، ١٤٠٥هـ. قال الألباني: صحيح مرسل. انظر: صحيح الجامع ٢/٨٩١ رقم (٤٩٨٨).

(٤) رواه أحمد في المسند ٣/٣ وصححه الألباني انظر: صحيح الجامع ٢/١٠٣٨ رقم (٥٩١٤).

(٥) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب طيب رائحة رسول الله × رقم الحديث (٢٣٣٠) ٤/١٤٤٨.

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/٩٢.

قال ابن القيم رحمه الله: (وفي الطيب من الخاصية أن الملائكة تحبه والشياطين تنفر عنه وأحب شيء إلى الشياطين الرائحة المنتنة الكريهة، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها)[1]. فالطيب يبعث على سرور النفس وفرح القلب للرجال والنساء على حد سواء.

قال ابن القيم رحمه الله: (لما كانت الرائحة الطيبة غذاء الروح، والروح معينة القوى، والقوى تزداد بالطيب، وهو ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنية ويفرح القلب ويسر النفس، ويبسط الروح الطيبة نسبة قريبة، كان أحد المحبوبين من الدنيا إلى أطيب الطيبين - صلوات الله وسلامه عليه)[2].

والمرأة يستحب لها التطيب في بيتها لاسيما إذا قصدت بذلك حسن التبعل لزوجها ويحرم عليها التطيب بما يظهر ريحه عند الخروج. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ، فَمَرَّتْ بِقَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ»[3].

وحديث أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٢٧٩/٤.

(٢) المرجع السابق ٢٧٨/٤.

(٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الترجل، باب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج رقم (٤١٧٣) ٧٩/٤، والترمذي في السنن ١٠٦/٥ كتاب الأدب (٣٥) باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة رقم (٢٧٨٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الصغرى ١٣٥/٨ كتاب الزينة، باب ما يكره للنساء من الطيب.

أَصَابَتْ بَخُورًا فَلَا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ»[1]. وفيه حرمة الطيب على مريدة الخروج إلى المسجد لما فيه من تحريك داعية شهوة الرجال [2]. أما إذا أمنت الفتنة وكانت في أوساط النساء فالطيب من الزينة المباحة للمرأة الداعية ليتحقق قرب المدعوات منها والإنصات لها والفهم لكل ما تدعو إليه.

٢- الحلي:

التحلي بالذهب والمجوهرات من الأمور التي سخرها الله ﷻ للمرأة فتستمتع وتنتفع بها في حدود المشروع قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾[4].

قال مجاهد رحمه الله: (رخص للنساء في الحرير والذهب ثم قرأ الآية)[5]، وقال الجصاص رحمه الله: (دلالة الآية ظاهرة في إباحته للنساء)[6].

قال النووي رحمه الله: (أجمع المسلمون على أنه يجوز للنساء لبس أنواع الحلي من الفضة والذهب جميعاً كالطوق والعقد والخاتم والسوار

---

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وأنها لا تخرج متطيبة رقم (١٤٣) ١/٣٢٨.

(٢) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٢/١٣٩ للشيخ تقي الدين أبي الفتح الشهير بابن دقيق العيد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٤

(٤) سورة الزخرف، الآية: ١٨.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٥/١٦٣ (٢٤٧٨٦) وأورده الطبري في تفسيره ١٣/٥٧.

(٦) أحكام القرآن ٣/٣٨٨ لأبي بكر أحمد علي الرازي الجصاص، طبع بمطبعة الأوقاف الإسلامية، ١٣٣٥هـ.

والخلخال، ولا خلاف في شيء من هذا)[1].

ولكن على المرأة الداعية أن تخفي ما تتزين به من الحلي من الرجال الأجانب عنها لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[2].

ومن الملاحظ وللأسف الشديد أن بعض النساء اليوم لا يبالين بإظهار أيديهن وحليهن حتى بين الرجال الأجانب في الأسواق ونحوها.

بل إن بعض النساء لا يتورعن عن إظهار أيديهن لبعض الباعة لأجل قياس حجم السوار أو الخاتم أو لنزع الحلي من أيديهن أو مساعدتهن في لبسها ولا شك أن هذا أمر محرم، إذ لا يجوز للرجل أن يمس جزء من بدن المرأة الأجنبية. وقد ورد عن معقل بن يسار ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[3].

فعلى المرأة الداعية أن تتزين بكل ما أباحه الله ﷻ من الحلي مهما كان نوعها لأن هذا من باب إظهار فضل الله ﷻ ونعمته عليها ما لم يصل حد الإسراف.

٣- استخدام المساحيق والأصباغ:

تمثل المساحيق والأصباغ ركناً رئيساً في زينة المرأة اليوم حيث أصبح التفنن في استخدام الأصباغ واستحداث ألوانها حديث مجالات النساء

---

(١) شرح المهذب ٦/٤٠.

(٢) سورة النور: ٣١.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم (٤٨٦)، قال المنذري: (رواه الطبراني والبيهقي ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح) انظر: الترغيب والترهيب ٣/٣٩ وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٢٢٦).

المتخصصة في عالم الموضة والأزياء والماكياج.

وقد عرفت النساء قديماً وضع الألوان على الوجه وإن لم يكن بالصورة التي هي عليها الآن في وقتنا الحاضر دل على ذلك ورود الأحكام عن هذا النوع من الزينة في كتب الفقه.

جاء في الفروع: (إن المرأة يجوز لها تحسين وجهها وتحميره من كل ما فيه تزيين له)[1].

وكذلك حينما تكلموا عن عدة المرأة المتوفى عنها زوجها فقالوا: إن مما يحرم عليها الزينة نفسها ثم ضربوا أمثلة للزينة التي تجتنبها المحادة فذكروا: الخضاب، وتحمير الوجه وتبييضه وتصفيره بالمواد التي يحدث فيها هذا التلون [2].

ولو لم تعرف ذلك المرأة قديماً لما تعرض لحكمه في ثنايا كتب الأحكام إذ عُرف عن فقهائنا -رحمهم الله- التورع عن الخوض في حكم شيء غير حادث[3].

فاستعمال أدوات التجميل (كتحمير الشفاه، والخدود) لا بأس به

---

(١) الفروع ١٣٦/١ لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن مفلح، ط٤، ١٤٠٥هـ، عالم الكتب، بيروت، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ١٢٦/١لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٤هـ، مكتبة السنة المحمدية، كشاف القناع عن متن الإقناع ٨٢/١ للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، بيروت.

(٢) انظر:المغني ١٦٨/١ لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبدالله التركي، وعبدالفتاح الحلو، ط٢، ١٤١٣هـ، هجر للطباعة والنشر، القاهرة.

(٣) انظر:أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية ص١٩٩ إعداد: د. ازدهار بنت محمود بن صابر المدني، ط١، ١٤٢٢هـ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

في الحدود المشروعة للمرأة [1] وهي من الزينة المباحة ما لم يكن في ذلك تشبه بالكافرات، بحيث تحاكي المرأة الداعية الكافرة في رسم خطوط الزينة على وجهها بهيئة معينة مأخوذة عنها وما لم يكن في المستحضرات الحديثة المستخدمة في التزين ضرر بين على المرأة الداعية.

يقول د. أبو بكر عبدالغني: ليس هناك ضرر طبي محدد من استخدام أدوات التجميل على البشرة ثم قال: ولكنها قد تؤثر في نضارة البشرة وحيويتها وظهور التجاعيد المبكرة؛ بسبب تلك المواد الكيميائية التي تدخل في تركيبها[2].

فيجب على المرأة الداعية أن تراعي عدم الإغراق في هذه الزينة بحيث تُستترف فيها الأوقات والأموال الطائلة، ولتسلك مسلك الاعتدال ولتعرف أن الإسلام جعل الزينة وسيلة لتلبية نداء الأنوثة فيها وقد تواترت النصوص في الحث على الاستفادة من الوقت، وأن المرأة التي تمضي الساعات أمام المرآة لتجميل وجهها هي ممن أضاع الوقت وفرط في العمر، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»[3]. فأول ما يُسأل عن

---

(١) انظر: فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٨٢٨/٢ إعداد وترتيب: أشرف بن عبدالمقصود عبدالرحيم، ط١، ١٤١١هـ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.

(٢) انظر: أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية ص٢٠١.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة رقم (٢٤١٦ – ٢٤١٧) ٥٢٩/٤، وقال هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٥٢٩/٤ رقم (٢٤١٦- ٢٤١٧) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٢٩/٢ رقم (٩٤٦).

العمر كله فيما أفناه ولا شك أن الشباب من العمر ولكنه يعود فيُسأل عن الشباب خاصة وذلك لأهميته.

كما جاء عنه ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[1].

فعلى المرأة الداعية ألا تتخذ هذه المستحضرات وسيلة لتشويه جمال الخلقة الأصلية جرياً وراء دعايات الزينة المزعومة.

المطلب الثالث: الزينة المحرمة للمرأة الداعية.

عندما أباح الإسلام التزين للمرأة لم يطلق لها العنان لتحصيل الجمال أو استكماله، بل وضع الأسس والقواعد التي تحقق الهدف المقصود من الزينة.

فالزينة مباحة في ذاتها ولكن قد يطرأ عليها أمر يغير حكمها من الإباحة إلى النهي فتكون منهياً عنها لا لذاتها ولكن لما طرأ عليها فإن زال طارئها زال النهي عنها [2].

قال ابن العربي رحمه الله: (إن الله سبحانه وتعالى خلق الصور فأحسنها في ترتيب الهيئة الأصلية ثم فاوت الجمال بينها فجعلها مراتب، فمن أراد

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الرقاق، رقم (١١٨٣٢)، وقال الحاكم في المستدرك هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، انظر حديث رقم (٧٨٤٦)، وقال الألباني صحيح، انظر: صحيح الجامع رقم (١٠٧٧).

(٢) انظر: أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية ص١٢١.

أن يغير خلق الله فيها وتبطل حكمته بها فهو ملعون لأنه أتى ممنوعاً)[1].

فمن صفات المرأة الداعية الوقوف عند حدود الله ﷻ فلا تتعداها إلى ما حرم عليها من أشكال الزينة كوصل الشعر أو حلقه والنمص وتفليج الأسنان ونحو ذلك كما منعها لما فيها من تغيير خلق الله ﷻ والخروج عن الفطرة.

قال الطبري رحمه الله: (لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة أو نقص، التماساً للحسن لا للزوج ولا لغيره)[2].

وقال الخطابي رحمه الله: (إنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء لما فيها من الغش والخداع، ولو رخص في شيء منها لكان وسيلة إلى استجازة غيرها من أنواع الغش، ولما فيها من تغيير الخلقة)[3].

ولقد ظهر في هذا العصر من أنواع الزينة ما أخبر عنه الرسول ﷺ وحذر منه كما جاء في الحديث: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[4].

---

(١) عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٧/٢٦٣.

(٢) فتح الباري ١٠/٣٧٧.

(٣) فتح الباري ١٠/٣٨٠، وانظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري ٣/٢١٦١، لأبي سليمان الخطابي، تحقيق: د.محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤١٠هـ.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، رقم (٢١٢٨) ٣/١٦٨٠.

فالزينة المنهي عنها: هي كل ما حرم الشرع وحذر منه، مما تعتبره النساء زينة سواءً نص عليه الشارع، كوصل الشعر، والنمص والوشم أو كان عن طريق التشبه بالرجال أو الكفار.

ونظراً لكثرة وقوع النساء في الزينة المنهي عنها، رأيت أن أقسمها إلى: زينة شعر الرأس المنهي عنها، وتشمل قص الشعر وحلقه ووصله وتعليته. وزينة الوجه المنهي عنها وتشمل: النمص والوشم وتفليج الأسنان.

أولاً: زينة شعر الرأس:

يستحب ترجيل شعر الرأس باتفاق العلماء لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»[1]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (وإن كان رسول الله ﷺ ليدخل عليّ رأسه وهو في المسجد فأرجله وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة إذا كان معتكفاً)[2].

فالنبي ﷺ لم يترك الترجيل في زمن الاعتكاف مع اشتغاله بالعبادة ففي غيره أولى.

وكان ﷺ ينكر على من شعث رأسه وأهمله فعن عطاء بن يسار قال: كان رسول الله ﷺ في المسجد فدخل رجل ثائر الرأس واللحية

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الترجل، باب في إصلاح الشعر رقم (٤١٦٣) ٤/٧٦ وأورده السيوطي في الجامع الصغير ورمز له بالصحة انظر: فتح القدير ١/٤٢٥، وقال عنه ابن حجر رحمه الله: (سنده حسن) فتح الباري ١٠/٣٦٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/١٠٧ السلسلة الصحيحة ١/٨١٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتكاف، باب لا يدخل البيت إلا لحاجة، رقم (٢٠٢٩) ٢/٢٥٦ ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله، رقم (٧)١/٢٤٤.

فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده أن أخرج كأنه يعني إصلاح شعر رأسه ولحيته ففعل الرجل ثم رجع فقال رسول الله ﷺ: «أَلَيْسَ هَذَا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدُكُمْ ثَائِرَ الرَّأْسِ كَأَنَّهُ شَيْطَانٌ»[1].

فكان عليه السلام يدعو أصحابه إلى نظافة الشعر وترجيله وعدم إهمال الزينة الظاهرة وقد رأى النبي ﷺ رجلاً شعثاً قد تفرق شعره فقال: (أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ)[2]. أي: ما يلم شعثه ويجمع تفرقه. وفي الحديث استحباب تنظيف شعر الرأس بالغسل والترجيل والزيت ونحوه، ومنه طلب النظافة من الأوساخ الظاهرة على الثوب والبدن[3].

فالشعث مذموم في الشرع وهو في حق المرأة الداعية إلى الله ﷻ أولى، لأن المظهر هو أول ما يواجه المدعو فينطبع في ذهنه شكل الداعية، فالنفوس جبلت على حب الجمال والمظهر الحسن ولا شك أن زينة شعر الداعية وجمال مظهرها مما يجذب النفوس إليها ويحملهم على القرب منها، كما أن سوء مظهرها قد ينفر المدعوات منها ومما تدعو إليه، لأن من لا يعرف هذا الدين يظن أن هذا من مقتضياته.

وكما أن الشعث لا ينبغي فالإفراط في الترجل وغيره لا ينبغي والقصد في ذلك كله هو المطلوب.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الشعر، باب إصلاح الشعر، ٢/٩٤٤، قال العراقي عن الحديث: (إسناده جيد) المغني عن حمل الأسفار ٢/٥١ وقال عنه ابن حجر: (هو مرسل صحيح السند) فتح الباري ١٠/٣٦٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في الخلقان وفي غسل الثياب رقم (٤٠٥٦) وصححه الألباني انظر: صحيح سنن أبي داود ٢/٧٦٦ رقم (٣٤٢٧).

(٣) انظر: عون المعبود بشرح سنن أبي داود ٦/٧٦.

ولعلي أبين في المطالب التالية زينة شعر الرأس المنهي عنها لتحذر منها الداعية إلى الله ﷻ وتحذر أخواتها المدعوات.

١- قص شعر الرأس:

شعر المرأة جزء أصيل من جمالها وقد تعارف الناس قديماً وحديثاً أن طول الشعر جمال وزينة.

إلا أنه أصبح من المألوف في مجتمعنا المعاصر اليوم وجود أنواع من الزينة لم تكن معروفة أصلاً فيما سبق، أو أنها عرفت من قبل، ولكن لغرض آخر غير التجمل وإظهار الزينة.

ومن هذه الأمور المستحدثة التي تتخذها بعض النساء على سبيل الزينة، وهي تخالف ما كان يعرف سابقاً قص المرأة لشعرها.

ومما يدل على أن الأصل في شعر المرأة الإعفاء وعدم القص، أن من الصحابيات - رضوان الله عليهن - من قد سألت النبي ﷺ عن حكم شعرها المشدود المظفور عند غسل الجنابة وهل تنقضه أو لا؟ كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: (قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي امْرَأَةٌ أَشُدُّ ضَفْرَ رَأْسِي فَأَنْقُضُهُ لِغُسْلِ الْجَنَابَةِ؟ قَالَ: «لَا. إِنَّمَا يَكْفِيكِ أَنْ تَحْثِي عَلَى رَأْسِكِ ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ ثُمَّ تُفِيضِينَ عَلَيْكِ الْمَاءَ فَتَطْهُرِينَ)[1]. والشعر لا يشد إلا إذا كان معفى وطويلاً في الغالب.

ولا يفهم من هذا أن المرأة المسلمة في عصر صدر الإسلام لم تعرف التقصير مطلقاً بل عرفته كجزء من مناسكها في الحج والعمرة و لم تعرفه بمعنى الزينة دل على ذلك فعل زوجات النبي ﷺ بعد وفاته فقد روى أبو

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب حكم ضفائر المغتسلة، رقم (٣٣٠) ١/٢٥٩-٢٦٠.

سلمة بن عبدالرحمن قال: (دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ أَنَا وَأَخُوهَا مِنَ الرَّضَاعَةِ. فَسَأَلَهَا عَنْ غُسْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْجَنَابَةِ؟ «فَدَعَتْ بِإِنَاءٍ قَدْرِ الصَّاعِ فَاغْتَسَلَتْ وَبَيْنَنَا وَبَيْنَهَا سِتْرٌ وَأَفْرَغَتْ عَلَى رَأْسِهَا ثَلَاثًا» قَالَ: «وَكَانَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْخُذْنَ مِنْ رُءُوسِهِنَّ حَتَّى تَكُونَ كَالْوَفْرَةِ[1])[2].

ففعلهن هذا يفهم منه شيئان:

١- كان شعرهن -رضي الله عنهن- معفى في حياة النبي ﷺ ولم يكن مقصوصاً.

٢- أن الشعر للمرأة نوع مهم من الزينة التي تحفظ للزوج، وإعفاؤه أيضاً من الزينة التي تتزين بها المرأة لزوجها، فإن مات ولم ترج نكاحاً ففي هذه الحالة تقصه وقد اختلف العلماء في قص الشعر بين مؤيد ومعارض فقال النووي رحمه الله: (في فعل زوجات الرسول دليل على تخفيف الشعور للنساء)[3].

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله معقباً على النووي: (قول النووي فيه نظر، لما قد تقدم من أزواج النبي ﷺ لا يقاس عليهن غيرهن إذ أنهن قطعن طمعهن في الرجال بالكلية، وهو خاص بهن دون غيرهن، وهذا يباح فيه الإخلال ببعض الزينة بما لا يباح في غيره)[4].

---

(١) الوَفْرَة: ما جاوز شحمة الأذنين وقيل غير ذلك. انظر: لسان العرب ٥/٢٨٨.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة رقم (٤٢) ١/٢٥٦.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/٥.

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٦٠١. لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

والذي أراه والله أعلم أن قص الشعر للمرأة الداعية جائز بشرط ألا تتشبه في قصها بالرجال[1] أو الكافرات بحيث يكون على هيئة معينة فيها محاكاة للكافرات فإذا انتهى إلى ذلك فهو محرم بإجماع العلماء.

قال الشنقيطي رحمه الله: (وبه يعلم أن العرف الذي صار جارياً في كثير من البلاد بقطع المرأة شعر رأسها إلى قرب أصوله سنة إفرنجية مخالفة لما كان عليه نساء المسلمين ونساء العرب قبل الإسلام فهو من جملة الانحرافات التي عمت البلوى بها في الدين والخلق والسمت وغير ذلك)[2].

٢- حلق شعر الرأس:

يحرم على المرأة حلق شعر رأسها لغير حاجة ملحة كمرض ونحوه لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَحْلِقَ المَرْأَةُ رَأْسَهَا)[3].

والنهي يقتضي التحريم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ حَلْقٌ إِنَّمَا عَلَى النِّسَاءِ التَّقْصِيرُ)[4].

فلم يبح لها الحلق في حال النسك فغيره من الأحوال أولى [5].

وروي أن أبا موسى وجع وجعاً فغشي عليه، ورأسه في حجر امرأة من أهله، فصاحت امرأة من أهله، فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً، فلما

---

(١) انظر المبحث الثاني.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٦٠٠.

(٣) رواه الترمذي في سننه، كتاب الحج، باب ما جاء في كراهية الحلق للنساء، رقم (٩١٤) ٣/٢٥٧، وضعفه الألباني.

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب في الحلق والتقصير رقم (١٩٨٥) ٢/٢٠٣ وقال النووي: (رواه أبو داود بإسناد حسن) المجموع ٨/١٩٧، وقال ابن حجر: (إسناده حسن) التلخيص الكبير ٢/٢٦١.

(٥) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥/٥٩٧.

أفاق قال: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ[1] وَالْحَالِقَةِ[2] وَالشَّالِقَةِ[3]»[4].

وقد عرف عن المرأة في الجاهلية حلق شعرها عند المصيبة فسر بعضهم فعلها هذا بأن من أصيبت بمصيبة فإنها تنشغل بها عن الاهتمام بزينتها فتحلق شعر رأسها. وقال بعضهم أن في هذا إشعار بعظم مصيبتها بحيث تجعلها تزهد في أعز ما تزهو به المرأة من زينتها[5]. فجاء الإسلام ونهى المرأة المسلمة عن هذا وأمرها بالصبر عند المصيبة بل وفي لحظاتها الأولى.

فشعر المرأة زينة وجمال فلا ينبغي الإكثار من الأخذ منه أو استئصاله [6]. والحكمة في النهي عن حلق شعر رأس المرأة:

١- أن في الحلق تشبهاً بالرجال وهو من الصفات الخاصة بهم دون الإناث عادة والتشبه بالرجال محرم [7].

٢- أن الحلق ليس من عمل نساء الصحابة ومن بعدهم وهن أكثر النساء ورعاً وفقهاً في الدين ونحن مأمورون بالاقتداء بهن ومن عمل عملاً

---

(١) الصالقة: من الصلق وهو الصوت الشديد يريد رفعه في المصائب وعند الفجيعة بالموت، ويدخل فيه النوح. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١٨/٣ باب الصاد مع اللام.

(٢) الحالقة: ويقصد بها من حلقت شعرها عند المصيبة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٢٧/١ باب الحاء مع القاف.

(٣) الشاقة: هي التي تشق ثوبها عند المصيبة. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١١٠/٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، رقم (١٠٤) ١٠٠/١.

(٥) انظر: أحكام تجميل النساء ص١٢٩.

(٦) فتح الباري ٥٦٥/٣، المغني ٤٣٩/٣.

(٧) انظر المبحث الثاني.

ليس عليه أمرنا فهو رد [1].

٣- أن شعر رأس المرأة من علامات جمالها وفي حلقه تقبيح وتشويه لخلقتها.

٤- أن في الحلق تشبه بالكافرات وقد نهيت المرأة فضلاً عن الداعية عن التشبه بالكافرات[2].

ولكننا وللأسف أصبحنا في وقت تبدلت فيه المفاهيم في أذهان بعض الناس نظراً للانسياق وراء ما يسمى بالموضة التي أصبح البعض من النساء يتبنونها دون تفكير وروية. فالحلق منهي عنه لأنه مُثْلَةٌ والمُثْلَةُ لا تجوز فعلى المرأة الداعية أن تجتنب مثل هذه الزينة إن صح لنا أن نطلق عليها زينة كما يراها البعض وان تحذر المدعوات من الانسياق وراء الموضة التي تخالف الشرع والعرف.

٣- وصل شعر الرأس:

اتفق الفقهاء -رحمهم الله- على حرمة وصل المرأة شعرها بشعر آدمي أو نحوه من الخرق أو الصوف فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: (لَعَنَ الله الوَاصِلَةَ[3] وَالمُسْتَوْصِلَةَ[4]، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ والمستوصلة)[5] فاللعن يقتضي التحريم وقد ذكر ابن حجر ﷺ تفسير الوصل في الشعر:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٢٠٤/٨، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٥٩٥/٥، ٥٩٧.

(٢) انظر المبحث الثاني.

(٣) الواصلة: من تصل الشعر لنفسها أو لغيرها انظر: فتح الباري ٣٧٦/١٠.

(٤) المستوصلة: التي تطلب فعل ذلك ويفعل بها. انظر: المرجع السابق ٣٧٦/١٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب وصل الشعر، ١٦٢/٧، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة رقم (١١٩).

بأنه الزيادة فيه من غيره [1].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها (أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أَنْكَحْتُ ابْنَتِي، ثُمَّ أَصَابَهَا شَكْوَى، فَتَمَرَّقَ رَأْسُهَا، وَزَوْجُهَا يَسْتَحِثُّنِي بِهَا، أَفَأَصِلُ رَأْسَهَا؟ فَسَبَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ)[2].

وعن حميد بن عبدالرحمن بن عوف أنه سمع معاوية بن أبي سفيان حج وهو على المنبر يقول: (وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ كَانَتْ فِي يَدِ حَرَسِيٍّ، يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ، وَيَقُولُ: إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هَذِهِ نِسَاؤُهُمْ)[3].

وقد وردت في هذا الشأن فتاوى عدة من العلماء المعاصرين فأفتوا بحرمة ما يسمى (بالباروكة) ولو للتجمل للزوج لأنها في معنى الوصل أو أشد [4] أضف إلى ذلك أن فيها تشبهاً وغش وتدليس إلا لمن ظهر بها عيب كأن لا يكون على رأس المرأة شعر أصلاً فلا حرج حينها من استخدام الباروكة لستر العيب، لأن إزالة العيوب جائزة، والتزين تحسين

---

(١) فتح الباري ٣٧٦/١٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب وصل الشعر، ١٦٢/٧ ومسلم في صحيحه كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة رقم (١١٥) ١٦٧٦/٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب وصل الشعر،٦٢١/٧، ومسلم في صحيحه كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة رقم (١٢٤) ١٦٧٩/٣.

(٤) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية ص٤٦-٤٧ جمع وترتيب صفوت الشوادفي، دار الجلاء ـــ القاهرة، الأحكام الفقهية في الفتاوى النسائية ص٤١٣ لمحمد بن صالح العثيمين.

وليس إزالة للعيوب [1].

فعلى المرأة الداعية أن تبتعد عن وصل شعرها بشعر آخر بقصد التزين سواءً كان من شعرها أو من شعر غيرها لعموم الأدلة في ذلك.

قال النووي رحمه الله: (وهذه الأحاديث صريحة في تحريم الوصل ولعن الواصلة والمستوصلة مطلقاً وهذا هو الظاهر المختار)[2].

ويدخل في هذا ما تفعله بعض النساء من تكثير الشعر بالخرق ونحوها للتزين جاء عن سعيد بن المسيب، أن معاوية رضي الله عنه قال ذات يوم: «إِنَّكُمْ قَدْ أَحْدَثْتُمْ زِيَّ سَوْءٍ: «وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الزُّورِ» قَالَ: وَجَاءَ رَجُلٌ بِعَصًا عَلَى رَأْسِهَا خِرْقَةٌ قَالَ مُعَاوِيَةُ: أَلَا وَهَذَا الزُّورُ قَالَ قَتَادَةُ: «يَعْنِي مَا يُكَثِّرُ بِهِ النِّسَاءُ أَشْعَارَهُنَّ مِنَ الْخِرَقِ»[3].

أما وصل الشعر بالخيوط الملونة ونحوها مما لا يشبه الشعر ولا يكون على هيئة فيها تشبه بالكفار كأن تكون موضوعة على شكل صليب أو نحوه فلا بأس.

قال القاضي عياض رحمه الله: (وأما ربط خيوط الحرير الملونة ونحوها مما لا يشبه الشعر فليس بمنهي عنه، لأنه ليس بوصل ولا هو في معنى مقصود الوصل وإنما هو للتجميل والتحسين)[4].

وقد أيد هذا المعنى ابن حجر بقوله : (فصل البعض بين ما إذا كان

---

(١) انظر فتاوى الشيخ محمد الصالح العثيمين ٢/٨٣٦.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/٣٥٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة رقم (١٢٤) ٣/١٦٨٠.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/٣٥٢.

الذي يوصل به الشعر من غير الشعر مستوراً بعد عقده مع الشعر، بحيث يعتقد ويظن أنه من الشعر، وبين ما إذا كان ظاهراً، فالأول (المستور) منعه قوم قط، لما فيه من التدليس ثم عقب فقال: وهو قوي)[1].

فعلى المرأة الداعية الالتزام التام بتعاليم الإسلام في الظاهر والباطن، لأن مظهرها هو أول ما يواجه المدعوات، فإذا حدثتهم أو نهتهم عن مخالفة وقعوا فيها فإنهم ينظرون مباشرة إلى مظهرها وهيئتها. فالتزام الداعية بمظهرها وما تدعو إليه أدعى إلى قبول قولها والاقتداء بها.

وقد أنكر الله ﷻ على أولئك الذين يعظون الناس ولا يتعظون، وينهونهم ولا ينتهون قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[3]. وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ،

(١) فتح الباري ١٠/٣٧٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٣) سورة الصف: ٢-٣.

وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ)[1].

ويحذر ابن القيم رحمه الله عن أولئك العلماء الذين يكونون قدوة سيئة على المجتمع، حيث يقول: (علماء السوء جلسوا على باب الجنة، يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كان أول المستجيبين له منهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق)[2].

فالواجب على المرأة الداعية أن تدعو إلى هذا الدين بخلقها ومظهرها الحسن وأن يطابق قولها فعلها.

٤- تعلية الشعر فوق الرأس:

وكما أن المرأة الداعية منهية عن الزيادة في شعرها، فهي منهية عن رفع الشعر أو نفشه عالياً أو وضعه على جهة واحدة فهذا من التشبه بغير المسلمين. وقد يكون داخلاً في عموم قوله ﷺ: (صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا)[3].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي، باب (١٠) ١٢١/٤، ومسلم في صحيحه ٢٢٨٩/٣، كتاب الزهد باب (٥١) رقم (٢٩٨٩).

(٢) الفوائد ص١١٢. لابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، ط٢، ١٤٠٨هـ، دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الطائف.

(٣) سبق تخريجه

قال النووي رحمه الله: (هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان، وهما موجودان، وفيه ذم هذين الصنفين. ثم قال: ومعنى رؤوسهن كأسنمة البخت أن يكبرنها ويعظمنها خلف عمامة أو عصابة أو نحوهما)[1].

قال القرطبي رحمه الله: (والأسنمة بالنون جمع سنام وهو أعلى ما في ظهر الجمل شبه رؤوسهن بها لما وقعن من ضفائر شعورهن على أوساط رؤوسهن تزييناً وتصنعاً، وقد يفعلن ذلك بما يكثرن به شعورهن)[2].

وقد ذكر النووي وغيره من أهل العلم أن من معاني (مميلات مائلات) أي يمشطن المشطة المائلة [3] وهي مشطة البغايا [4].

فالواجب على المرأة الداعية أن تحذر من كل ما ظهر وانتشر مما يتعلق بتسريحات الشعر وقصاته مما أفرزته وسائل الإفساد وفيه مخالفة لما ورد في الشرع.

زينة الوجه المنهي عنها:

١- نمص شعر الحاجبين:

حذر الإسلام نساء المسلمين من التشبه بنساء اليهود والنصارى واللهث وراء ما يسمى بالموضة وتقليد الكافرات ولا شك أن أخذ شعر الحاجبين أو التخفيف منهما مما ابتليت به بعض نسائنا في الوقت الحاضر

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/٣٥٧.

(٢) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم ٥/٤٥٠، وانظر فتح الباري ١٠/٣٧٥.

(٣) المشطة المائلة قد تكون بضفر الغدائر وشدها إلى فوق وجمعها في وسط الرأس فتصير كأسنمة البخت.

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/٣٥٧.

وهو كبيرة من كبائر الذنوب عن عبدالله بن مسعود ﷺ أنه قال: (لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ[1]، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ)[2].

واللعن في الحديث يقتضي التحريم وهو عام في كل امرأة متزوجة أو غير متزوجة قال الإمام القرطبي ﷺ: (لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التي خلقها الله عليها بزيادة أو نقص التماس الحسن لا لزوج ولا لغيره)[3].

ويدخل في التحريم إزالة الحواجب الأصلية والاستغناء عنها بحواجب مستعارة ملونة، لما فيه من تغيير خلق الله ﷻ ناهيك عن الأضرار الصحية الناجمة عن وضع المادة الكيميائية على الحواجب. يقول الدكتور وهبة أحمد حسن: (إن إزالة شعر الحواجب بالوسائل المختلفة، ثم استخدام أقلام الحواجب وغيرها من ماكياجات الجلد لها تأثيرها الضار فهي مصنوعة من مركبات معادن ثقيلة مثل الرصاص والزئبق، تذاب في مركبات دهنية مثل زيت الكاكاو، كما أن كل المواد الملونة تدخل فيها بعض المشتقات البترولية، وكلها أكسيدات مختلفة تضر بالجلد، وإن امتصاص المسام الجلدية لهذه المواد يحدث التهابات وحساسية وأما لو

---

(١) النمص: نتف الشعر، يقال نمصت المرأة إذا أخذت شعر جبينها بخيط. والنامصة: المرأة التي تزين النساء بالنمص وتنتف الشعر. انظر: لسان العرب ٧/١٠١ مادة نمص، وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/١٠٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب المتنمصات، ٧/٦٣، ومسلم في صحيحه، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والنامصة والمتنمصة رقم (١٢٠) ٣/١٦٧٨.

(٣) فتح الباري ١٠/٣٩٠.

استمر استخدام هذه الماكياجات فإن له تأثيراً ضاراً على الأنسجة المكونة للدم والكبد والكلى فهذه المواد الداخلة في تركيب الماكياجات لها خاصية الترسب المتكامل فلا يتخلص منها الجسم بسرعة).

وعلاوة على ما تقدم فإن هذا التقليد فيه ضياع للمال وإهدار لوقت المرأة الداعية وهي أولى باستغلاله فيما من شأنه أن ينهض بحال المسلمين سيما في هذه الأوقات التي ضعفت فيها العزائم وفترت الهمم.

٢- الرموش الصناعية:

وهي نوع من الزينة تضعها المرأة فوق رموشها الطبيعية لتبدو أكثر كثافة.

ويرى كثير من العلماء أن هذه الزينة تدخل في معنى الوصل المنهي عنه، فالرموش الطبيعية توصل بالرموش الصناعية، وقد نهى النبي ﷺ عن الوصل، ولعن فاعلته.

تقول د. ازدهار المدني: (لهذا فإني أرى أن القول بعدم الجواز هو الحكم الذي ينطبق على هذا النوع من الزينة لمشابهته الوصل المحرم من ناحية ولضرره من ناحية أخرى)[١]. فالرموش الصناعية تحدث الحساسية على الجفون، إما بسبب المواد التي تدخل في تصنيع الرموش أو من الصمغ الذي يستخدم في تثبيتها [٢].

قال الطبيب أبو بكر عبدالغني عبدالعزيز: (مادة تثبيت الرموش

---

(١) أحكام تجميل النساء ص١٩٢.

(٢) انظر: الأمراض الجلدية تساقط الشعر وأمراض الحساسية وحب الشباب ص٨٧.

الصناعية تؤثر على الرموش الطبيعية، ونموها الطبيعي، كما تؤثر على الجلد، وقد تؤدي إلى حساسية مزمنة بالجلد والعين ولذلك ننصح وينصح أطباء الرمد بعدم استخدامها على الإطلاق).[1]

فيجب الحذر من هذه الزينة لما فيها من الوصل المحرم والتشبه بالكافرات المنهي عنه.

قال محمود مهدي الأستنابولي: (إن كثيراً من المسلمات يتشبهن بالأجنبيات في كثير من عاداتهن وملابسهن وزينتهن وتطويل أظفارهن كالرموش حسب الموضات الإفرنجية وهي غالباً من تصميم اليهودية العالمية لتبديد المال والحط من قيمة الإنسان والسخرية منه)[2].

٣- الوشم:

الوشم لغة: هو التأثير في الشيء تزييناً له [3]، وفي الاصطلاح: غرز إبرة أو نحوها في الوجه أو الذراع حتى يسيل الدم، ثم حشو الموضع بالكحل ونحوه فيخضر أو يزرق [4].

وقد اتفق فقهاء المذاهب الأربعة أن الوشم محرم لدلالة النصوص على لعن فاعله واللعن لا يكون إلا على أمر محرم. عن ابن عمر رضي الله عنهما

(١) أنظر الأمراض الجلدية: تساقط الشعر وأمراض الحساسية وحب الشباب ص٨٧.

(٢) تحفة العروس ص٣٦٧، محمود مهدي الاستانبولي، الطبعة السادسة ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ١١٢/٦، لسان العرب ٦٣٨/١٢.

(٤) انظر: أحكام القرآن ٥٠١/١ لابن العربي، صحيح مسلم بشرح النووي ١٠٦/١٤، فتح الباري ٣٧٢/١٠، حاشية ابن عابدين ٢٩٣/٥ لأحمد المعروف بشاه ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي قدم له وشرحه وعلق عليه: محمد شريف سكر، ط الأولى، ١٤١٠هـ، دار إحياء العلوم - بيروت.

قال: قال رسول الله ﷺ: (لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ وَالوَاشِمَةَ[1] وَالمُسْتَوْشِمَةَ)[2].

والعلة في التحريم والطرد من رحمة الله أن الوشم لا فائدة منه وفيه إيلام للحي دون حاجة وتغيير لخلق الله ﷻ قال تعالى: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[3].

قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره: (قال ابن مسعود والحسن هي إشارة إلى الوشم وما جرى مجراه من التصنع للحسن فمن ذلك الحديث: (لعن رسول الله ﷺ الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات المغيرات لخلق الله)[4].

وقال ابن العربي في المسألة السادسة في تفسير هذه الآية: (لعن رسول الله ﷺ الواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة والواشرة

---

(١) الواشمة هي من فعلت ذلك بنفسها أو بغيرها، والمستوشمة من فُعل بها ذلك الأمر بطلبها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب وصل الشعر،٦٢/٧، ومسلم في صحيحه كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة رقم (١١٩) ١٦٧٧/٣.

(٣) سورة النساء الآيتان: ١١٨-١١٩.

(٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١١٥/٢. لأبي محمد بن عبدالحق عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبدالعال السيد إبراهيم ومحمد الشافعي وصادق العناني، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، مؤسسة العلوم للطباعة.

والمستوشرة والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله)[1].

والوشم المحرم هو ما فعله الإنسان باختياره، ولا تأثم البنت الصغيرة إذا فعل بها ذلك، لأنها غير مكلفة، ويأثم وليها إذا رضي بذلك [2].

وقد ظهرت في العصر الحاضر وسائل حديثة لإزالة الوشم عن طريق تعريض الموضع لأشعة الليزر الحمراء، فإن قوة هذه الأشعة تعمل على تمزيق الصبغة دون إحراق الجلد أو اختراقه ودون أن تترك علامات في المستقبل.

ومن الملاحظ -ولله الحمد- قلة فعل الوشم في هذا الوقت بالطريقة التي كانت متبعة قديماً لدى النساء، لأنه قد قل من ترى في هذا النوع من الزينة جمالاً، إلا في بعض المجتمعات القروية والبدوية النائية.

إلا أنه ظهرت بعض الصور الحديثة للوشم في المجتمعات الغربية وهي ليست رسم نقوش على الوجه واليدين فحسب بل تجاوزت هذا إلى صورتين:

إحداها: النقش على سائر الجسد ليبدو الإنسان وهو عار كما لو كان يرتدي لباساً مزركشاً.

الثانية: أن يحدد شكل العينين والشفتين، ثم ينقش عليها بالإبر ويحشى الموضع باللون المطلوب فتصبح العينين كحيلتين على الدوام، وتصبح الشفتان دائمتي الحمرة.

---

(١) أحكام القرآن ١/٦٣٠.

(٢) انظر: فتح الباري ١٠/٣٧٢، صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/٣٥٣.

وللأسف فإن هذه الصورة وصلت إلى بلاد المسلمين وانتشرت في أوساط النساء وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: (لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ»)[1].

فعلى المرأة الداعية أن تحذر من التشبه بأعداء الله ومسايرتهم في أمور حياتهم، فإن المشابهة تورث نوعاً من المودة والألفة ونحن مأمورون ببغضهم ومعاداتهم وعدم موالاتهم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾[2].

٤- تفليج الأسنان:

التفليج لغة: من فلج الشيء بينهما يفْلِجه بالكسر، فلجاً: قسما نصفين. والفلج في الأسنان: تباعد ما بين الثنايا والرباعيات خلقة، فإن تكلف فهو التفليج[3].

اصطلاحاً: هو برد ما بين الأسنان ليتباعد بعضها عن بعض، وتكون بينها فرجة[4]. طلباً للحسن وإظهاراً للصغر، لأن هذه الفرجة اللطيفة عادة تكون للبنات الصغار.

قال الشوكاني رحمه الله: (والفَلَج بفتح الفاء واللام، هو الفرجة بين

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب لتتبعن سنن من كان قبلكم رقم الحديث (٧٣٢٠) ٦/٢٦٦٩.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة ٤/٤٤٨-٤٤٩، لسان العرب ٢/٣٤٦.

(٤) انظر: أحكام القرآن ١/٥٠١ لابن العربي، فتح الباري ١٠/٣٧٢، صحيح مسلم بشرح النووي ١٤/١٠٦، ١٠٧.

الثنايا والرباعيات، تفعل ذلك العجوز ومن قاربها في السن إظهاراً للصغر وحسن الأسنان لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغيرات، فإذا عَجّزت المرأة كَبُرَت سنها، فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة، حسنة المنظر توهم كونها صغيرة)[1].

وهذه الزينة محرمة لحديث ابن مسعود ﷺ: (لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ)[2].

ومن ألوان التطبيب لأجل التزين، ما اعتاده بعض الناس من الوشر وهو تحديد الأسنان وترقيق أطرافها، وقد يطلق الوشر على التفليج كما يطلق التفليج على الوشر والجامع بين الاثنين أن كليهما برد للأسنان [3].

ومن الوشر: تقصير السن الطويل، فقد قالوا: (الوشر: نشر الأسنان أي بردها حتى يحصل الفلج، وتحسن الأسنان، ومثله لو كانت طويلة فتنتشر حتى يحصل لها القصر)[4].

وقد اتفق فقهاء المذاهب الأربعة على تحريم وشر الأسنان لما فيها من التلبيس بتغيير خلق الله ﷻ. عن أبي ريحانة، قال: بَلَغَنَا «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْوَشْرِ، وَالْوَشْمِ»[5]. فالنهي عن الشيء يقتضي تحريمه.

---

(١) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ٦/٢١٧.

(٢) سبق تخريجه .

(٣) انظر: عارضة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٧/٢٦٣.

(٤) الفواكه الدواني على رسالة أبي محمد بن زيد القيرواني ٢/٣٤٢. للشيخ أحمد غنيم النفراوي، ط٣، ١٣٧٤هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر.

(٥) رواه النسائي في سننه، كتاب الزينة، باب تحريم الوشر، رقم (٥١١١) ٨/١٤٩، وصححه الألباني.

ولو احتيج إليه لعلاج أو عيب في السن يشوه المنظر أو يعيق الأكل فلا بأس لحديث ابن مسعود ﷺ قال: (سمعت رسول الله ﷺ نهى عن النامصة والواشرة والواصلة والواشمة إلا من داء)[1].

وخلاصة القول:

أن تفليج الأسنان ووشرها من الزينة المنهي عنها لما فيها من التلبيس بتغيير خلق الله ﷻ وإظهار صغر السن وفيها إضاعة للوقت وانشغال بأمور لا قيمة لها وإغراق المرأة الداعية نفسها في التزين والبحث عن وسائل الزينة أياً كان حكمها دليل على الركون إلى الدنيا وهي القدوة والمثل في معرفة حقيقة الدنيا وفنائها ومعرفة أحكام الشرع والوقوف عندها.

(١) أخرجه أحمد في المسند ١/٤١٥. وقال شعيب الارناؤوط: إسناده قوي

الخاتمة

أحمد الله ﷻ على ما وفقني إليه من الكتابة في موضوع: (زينة المرأة الداعية وضوابطها الشرعية) ومن خلال بحثي في هذا الموضوع ظهرت لي جملة من النتائج أجملها فيما يلي:

١- الأصل في الزينة الإباحة إلا أن يقوم الدليل المانع لها.

٢- تشرع الزينة في الإسلام بقيود قد يؤدي اختلالها إلى انتقال حكم الزينة إلى التحريم.

٣- أن من السنة التزين والاعتناء بحسن المظهر والاهتمام بالنظافة وتطبيق سنن الفطرة.

٤- إن التزين والاهتمام بحسن المظهر، من الوسائل المهمة في تبليغ الدعوة بشرط ألا تتجاوز الحد المطلوب.

٥- الاعتدال في الزينة أمر مطلوب فلا ينبغي أن يطغى على اهتمامات المرأة الداعية فتشغلها عن ما هو أهم من أمور الدعوة.

٦- إن بعض أمور الزينة لا تجوز في الأصل فلا تحل من أجل التزين بحال من الأحوال، ولا تباح بإذن زوج ولا بأمره مثل: (النمص، الوصل، الوشم، الوشر) وبعضها يباح على ألا يكون مضراً كاستخدام المساحيق من الأصباغ، وبعضها يباح بشرط ألا يكون فيه تشبه بالكافرات أو الرجال.

٧- أن المخالفات الشرعية في زينة المرأة الداعية قد تؤدي إلى عدم قبول الدعوة.

المراجع

١- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام للشيخ تقي الدين أبي الفتح الشهير بابن دقيق العبد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢- أحكام تجميل النساء في الشريعة الإسلامية، ازدهار بنت محمود بن صابر المدني، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.

٣- أحكام الزينة، عبير بنت علي المديفر، ط٢، ١٤٣٠هـ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٤- الأحكام الفقهية في الفتاوى النسائية للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

٥- أحكام القرآن، لأبي بكر أحمد علي الرازي الجصاص، طبع بمطبعة الأوقاف الإسلامية، ١٣٣٥هـ.

٦- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، ١٣٧٨هـ، دار إحياء الكتب العربية.

٧- أحكام النساء لأبي الفرج بن الجوزي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

٨- الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح المقدسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعمر الخيام، ط٣، ١٤١٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد بن المختار الجكلي الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

١٠- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، أبو سليمان الخطابي، تحقيق: د.محمد أحمد ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤١٠هـ.

١١- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق: د. ناصر العقل، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٢- الأمراض الجلدية (تساقط الشعر، أمراض الحساسية، حب الشباب)، د.محمود حجازي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، تهامة، جدة، المملكة العربية السعودية.

١٣- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لعلاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ، مكتبة السنة المحمدية.

١٤- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، منشورات مكتبة المعارف، بيروت.

١٥- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، للإمام المحدث أبي محمد عبدالله بن أبي حمزة الأزدي، مطبعة الصدق الخيرية، مصر، ١٣٥٣هـ.

١٦- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة، لأبي الوليد بن رشد القرطبي، تحقيق: محمد العرايشي، أحمد الحياني، ط٢، ١٤٠٨هـ دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١٧- التبيان في أقسام القرآن، للعلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تصحيح وتعليق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٨- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، للإمام أبي العلا محمد بن عبدالرحمن المباركفوري، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٩- تحفة العروس، محمود مهدي الاستانبولي، ط٦، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.
٢٠- التداوي بالأعشاب والنباتات، عبداللطيف عاشور، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصوير، القاهرة.
٢١- تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٢- جامع البيان في تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر.
٢٣- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لزين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٢٤- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
٢٥- حاشية ابن عابدين لأحمد المعروف بشاه ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي، قدم له وشرحه وعلق عليه: محمد شريف سكر، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار إحياء العلوم، بيروت.

٢٦- خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين حسن، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، مكتبة المنار، الأردن.

٢٧- خطبة الحاجة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط٤، ١٤٠٠هـ، المكتب الإسلامي.

٢٨- الروض المربع بشرح زاد المستقنع، للشيخ منصور بن يونس البهوتي، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، ط٣، ١٤١٠هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٩- روعة العقلاء ونزهة الفضلاء، للشيخ محمد بن حبان البستي، تحقيق: جمال محمود، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الفتح، الشارقة.

٣٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبدالقادر الأرناؤوط، ط١٤، ١٤١٠هـ، الرسالة، بيروت.

٣١- زينة المرأة المسلمة، عبدالله بن صالح الفوزان، ط٤، ١٤٢١هـ، مركز دار المسلم للصف والإخراج الفني.

٣٢- سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، للإمام محمد بن إسماعيل الكحلاني الصنعاني، راجعه وعلق عليه: محمد بن عبدالعزيز الحولي، مكتبة الرسالة الحديثة.

٣٣- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: عزة الدعاس، عادس السيد، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

٣٤- السواك والعناية بالأسنان، د.عبدالرزاق عبدالله السعيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض.

٣٥- سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط٤، ١٤٠٦هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٦- الشرح الكبير، لشمس الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٣٧- شرح منتهى الإرادات، للشيخ منصور بن إدريس البهوتي، دار الفكر.

٣٨- الصحاح، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار، ط٢، ١٣٩٩هـ، القاهرة.

٣٩- صحيح البخاري، تقديم: أحمد شاكر، دار الجيل، بيروت.

٤٠- صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي المسمى (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) حقق أصوله وخرج أحاديثه: الشيخ خليل مأمون شيحا، الطبعة السادسة، ١٤٢٠هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٤١- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ، دار إحياء الكتب.

٤٢- صيد الخاطر، للحافظ جمال الدين بن عبدالرحمن بن الجوزي، تحقيق: عبدالقادر عطا، مكتب الكليات الأزهرية، القاهرة.

٤٣- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤٤- عارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي، للإمام ابن العربي المالكي، دار الكتاب العربي، مكتبة المعارف، بيروت.
٤٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، ط٢، ١٣٨٨هـ، محمد عبدالمحسن صاحب المكتبة السلفية، المدينة النبوية.
٤٦- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، للشيخ محمد السفاريني، ط٢، ١٤١٤هـ، مؤسسة قرطبة.
٤٧- فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد وترتيب: أشرف بن عبدالمقصود عبدالرحيم، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
٤٨- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، جمع وترتيب صفوت الشوادني، دار الجلاء، القاهرة.
٤٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تصحيح وتعليق: الشيخ عبدالعزيز بن باز، دار الفكر للطباعة والنشر.
٥٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب.
٥١- الفروع، لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن مفلح، ط٤، ١٤٠٥هـ، عالم الكتب، بيروت.

٥٢- الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها، علي بن عبد الله القرني، جعفر صادق المطهري، دار المسلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
٥٣- الفواكه الدواني على رسالة أبي محمد بن أبي زيد القيرواني، للشيخ أحمد غنيم النفراوي، ط٣، ١٣٧٤هـ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر.
٥٤- الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: بشير محمد عيون، ط٢، ١٤٠٨هـ، دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الطائف.
٥٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لمحمد المدعو بعبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٥٦- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٥٧- كشف القناع عن متن الإقناع، للشيخ منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، عالم الكتب، بيروت.
٥٨- اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، د. محمد بن عبدالعزيز عمرو، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان.
٥٩- لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.
٦٠- المجموع شرح المهذب، للإمام أبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر.

٦١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي النجدي، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين وعلى نفقته الخاصة.

٦٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد بن عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبدالعال السيد إبراهيم ومحمد الشافعي وصادق العناني، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، مؤسسة العلوم للطباعة.

٦٣- المسند للإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي.

٦٤- المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت.

٦٥- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، دار الجيل، بيروت.

٦٦- المغني، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبدالله التركي، عبدالفتاح الحلو، ط٢، ١٤١٣هـ، هجر للطباعة والنشر، القاهرة.

٦٧- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمرو ابن إبراهيم القرطبي، تحقيق: محيي الدين دين مستو، ويوسف علي بديوي وآخرين، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق.

٦٨- النهاية في غريب الحديث، للإمام مجد الدين أبي السادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، تحقيق: محمود الطناجي، وطاهر الزاوي، الناشر: أنصار السنة المحمدية، باكستان.

٦٩- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، للشيخ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.

٧٠- هيئة الداعية ومظهره ودورها في إيصال رسالته، أ.د عبدالله بن إبراهيم اللحيدان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار الحضارة للنشر والتوزيع.

البحث رقم (٤)

المسؤولية الدعوية
تجاه حماية الشباب من الفتن
في العصر الحاضر

إعداد

د. الجوهرة بنت صالح الطريفي

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شـــرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[2]. وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3] [4].

---

(١) سورة النساء، آية: ١.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٢.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠- ٧١.

(٤) خطبة الحاجة التي كان يعلمها رسول الله ﷺ وأصحابه أخرجها أبو داود في كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح رقم الحديث (٢١١٨) ج٢ ص ٥٩١، طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ واللفظ له؛ وأخرجها الترمذي في كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح رقم الحديث (١١٠٥) ج٣ ص ٤١٣، طبع دار الدعوة - دار سحنون الثانية ١٤١٣هـ.
والحديث صححه الألباني (انظر: صحيح سنن أبي داود لمحمد ناصر الدين الألباني، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح رقم الحديث (١٨٦٠ - ٢١١٨) ج٢ ص٣٩٩ طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج الأولى ١٤٠٩هـ.

أما بعد:

في ظل التداعيات، والمتغيرات المعاصرة، ومع تنوع الأحداث والمستجدات، وتوالي الفتن، يقع الخلل، وتضطرب المفاهيم، وتتزعزع الثوابت، وتحدث الحيرة لدى عامة الناس والشباب منهم خاصة - لصغر سنهم وقلة خبرتهم - وهذا حال الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم. يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً. أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا)[1].

وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم، ووصف نوعاً من شدائد تلك الفتن، وهو أن الرجل يمسي مؤمناً ثم يصبح كافراً، أو عكسه.

ولعظم الفتن ينقلب الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب[2].

ولا يعصم الناس، ويحفظ لهم توازنهم، ويثبت أفئدتهم - بعد توفيق الله تعالى - إلا أهل العلم والدعوة؛ ويكون ذلك بإرجاع شباب الأمة إلى أصول دينهم ومحكمات شريعتهم التي ضمن الله سبحانه وتعالى لها الحفظ بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[3].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال رقم الحديث (١١٨) ج ١ ص ١١٠

انظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج طبع دار الدعوة -دار سحنون، الثانية ١٤١٣هـ.

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ج١ ص٤١٠. طبع دار أبي حيان -الأولى - ١٤١٥هـ

(٣) سورة الحجر، آية: ٩.

والعلماء والدعاة هم حملة الشريعة التي تعد ضرورتها للبشر فوق كل ضرورة، بل إن حاجتهم إليها أشد من حاجتهم إلى التنفس فضلاً عن الطعام والشراب؛ لأن غاية ما يقدر من عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه، أما ما يقدر عن عدم الشريعة، ففساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبدان، فشتان بينهما، فليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بمعرفة ما جاء به النبي ﷺ عن ربه سبحانه وتعالى والعمل به[1].

والفتن التي حذرنا منها النبي ﷺ وقعت في أزمنة عديدة، ومنها فتنة عبدالله بن سبأ اليهودي، ومن شاكله، وقد توالت حتى حصلت فتن تأثر بها عامة الناس، إلا أن الأمة الاسلامية تجاوزت تلك المحن العظيمة -بفضل الله تعالى- ثم بفضل قيام علماء الأمة ودعاتها من الصحابة رضوان الله عليهم، وأتباعهم ومن سار على نهجهم بواجبهم الشرعي في التصدي لتلك الفتن والقيام بمسؤوليتهم الدعوية تجاهها.

ولا شك أن مسؤولية دعاة الأمة وعلمائها تزداد في هذا العصر للقيام بواجبهم تجاه حماية الشباب من الفتن؛ نظراً لكثرتها، وتنوع وسائل الترويج لها.

من هنا اخترت موضوع: (المسؤولية الدعوية تجاه حماية الشباب من الفتن في العصر الحاضر) وأضيف إلى ما سبق الأسباب التالية لاختيار هذا الموضوع.

---

(١) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن قيم الجوزية - تحقيق سيد إبراهيم، علي محمد. ج٢ ص ٣٥٣. طبع دار الحديث - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

(١) استهداف شباب أمة الإسلام، وعماد قوتها ونهضتها بأنواع متعددة من الفتن التي تتنوع بين المغالاة والجفاء.

(٢) تيسر نشر الفتن بين الشباب في هذا العصر الذي حصلت به ثورة علمية هائلة تُيَسِّر لأصحاب الفتن والمشاريع الباطلة الوصول إلى أهدافهم بكل سهولة مع ضعف الرقابة.

(٣) المسؤولية العظمى المناطة بعلماء الأمة ودعاتها كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[١].

حيث فسر بعض العلماء أولي الأمر بأهل الفقه في الدين، وبعضهم فسرها بأنهم الأمراء والعلماء[٢].

فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأولوا الأمر: أصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس وينهونهم، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة، وأهل العلم والكلام؛ فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء والأمراء فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس)[٣].

ولا شك أن الأمراء أيضاً يدخلون ضمن مسؤولية العلماء في النصح والتوجيه، حيث إنهم مصابيح الدجى التي تنير الطريق في ظلام الفتن.

---

(١) سورة: النساء، آية: ٥٩.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج١، ص ٤٩١، طبع مكتبة العلوم والحكم -المدينة المنورة- ١٤١٣هـ.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام بن تيمية، ص ٩٨ - طبع دار العلوم الإسلامية - القاهرة- دار البخاري. المدينة ١٤٠٩هـ.

أهداف البحث:

- التعرف على أهمية مرحلة الشباب، وأهمية حماية أصحابها من الفتن.
- التعرف على أنواع الفتن التي تواجه الشباب في العصر الحاضر وخطورتها بشقيها - فتن الشبهات وفتن الشهوات.
- بيان المسؤولية الدعوية في عصرنا الحاضر في حماية الشباب من الفتن.
- التعرف على أساليب الدعوة لحماية الشباب من الفتن.
- الكشف عن آثار الدعوة لحماية الشباب من الفتن.

تساؤلات البحث:

- ما المقصود بالشباب؟ وما أهمية هذه المرحلة؟ وما أهمية حماية أصحابها من الفتن؟
- ما أنواع الفتن، وما المقصود بفتنة الشبهات وفتنة الشهوات وما خطورتهما؟
- ما المسؤولية الدعوية في العصر الحاضر تجاه الفتن التي تحيط بالشباب؟
- ما أساليب الدعوة لحماية الشباب من الفتن؟
- ما آثار الدعوة لحماية الشباب من الفتن؟

منهج البحث:

نظرا لطبيعة هذا البحث استخدمت المناهج التالية:

- المنهج التشخيصي: الذي يفيد في تشخيص الواقع والتعرف عليه حتى يسهل التخطيط له والتعامل معه ومعالجة سلبياته وتسخير إيجابياته[1].
- منهج الاسترداد التاريخي: الذي يقوم على استرجاع الماضي وما خلفه من آثار[2].

التعريف بمصطلحات البحث:

أولا: مفهوم المسؤولية

المسؤولية في اللغة: مشتقة من الفعل الثلاثي سأل، يسأل، فهو مسؤول، والمسؤولية هي الاسم٣، وهي تعني التبعة أي المطالبة، أو المؤاخذة٤.

المسؤولية اصطلاحا: تطلق على عدة معان متقاربة، ومنها:

- المؤاخذة أو المحاسبة على فعل أو سلوك معين.

---

(١) انظر: قواعد أساسية في البحث العلمي -د. سعيد إسماعيل صيني، ص ٦٨، طبع مؤسسة الرسالة - الأولى ١٤١٥هـ.

(٢) انظر: البحث العلمي، د. عبدالعزيز الربيعة، ج١، ص ١٧٩، طبع مكتبة العبيكان - الطبعة الخامسة، ١٤٣١هـ.

(٣) انظر لسان العرب ، ابن منظور ، مادة سأل ، (١/ ١٣٣ـ ١٣٥).

(٤) انظر جامع البيان ، الطبري ، (٥/ ٢٧٣).

- الجزاء المترتب عن ترك الواجب، أو فعل ما كان يجب الامتناع عنه.
- تحمل الشخص نتائج وعواقب التقصير الصادر عنه، أو من يتولى رقابته أو الإشراف عليه.

كما عرفت بأنها: التزام الشخص بأداء العمل المنوط به طبقاً لما هو محدد[1].

وتلتقي هذه المفاهيم في تأكيد معنى تحمل الأمر ومنه تحمل الداعية مسؤوليته في الدعوة الى الله ومن ذلك وقاية النشء من الانزلاق في الفتن ونحوها.

ثانيا: مفهوم الدعوة:

المعنى اللغوي للدعوة:

تأتي الدعوة بمعنى دعا إلى الشيء: حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين حثه على اعتقاده وساقه إليه[2].

المعنى الاصطلاحي للدعوة:

كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام أو الرسالة، وعلى عملية نشر الإسلام وتبليغه وبيانه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد منه.

---

(١) للاستزادة في مفهوم المسؤولية انظر: المسؤولية المدنية ، للدكتور محمد البوشواري الطبعة الثانية ٢٠٠٨، مطبعة اشرف تاسيلا اكادير.

(٢) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ص: ٣٣٧.

ومن التعاريف التي اشتهرت للدعوة: تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الدعوة إلى الله، هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا)[1].

وعرفها د. السيد محمد الوكيل: الدعوة إلى الله هي جمع الناس إلى الخير ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر؛ قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾[2]، [3].

ونعني بالمسؤولية الدعوية هنا:

قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان، و مكان بتوجيه الشباب، وتحذيرهم من الفتن بطرق مخصوصة، ومرادي بالشباب هنا المرحلة العمرية تأتي بين مرحلة الطفولة وسن الرشد وتطلق اصطلاحا على الشخص اليافع[4].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/ ١٥٧).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٤.

(٣) انظر: أسس الدعوة وآداب الدعاء للدكتور السيد محمد الوكيل، ص٩

(٤) للاستزادة انظر ويكيبيديا، الموسوعة الحرة تاريخ الدخول ١٠/٢٠/ ١٤٣٥هـ. وسياتي بيان مفهوم مصطلح الشباب ومصطلح الفتن في ما يلي من المباحث مما يغني عن تكراره هنا.

أقسام البحث :

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وأهداف البحث وتساؤلاته ومناهجه.

المبحث الأول: مرحلة الشباب، تعريفها، أهميتها، وأهمية حماية أصحابها من الفتن.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمرحلة الشباب.

المطلب الثاني: أهمية مرحلة الشباب،وحماية أصحابها من الفتن.

المبحث الثاني: الفتن. خطورتها، وأنواعها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفتن معناها وخطورتها.

المطلب الثاني: فتنة الشبهات. تعريفها، خطورتها، أنواعها.

المطلب الثاني: فتنة الشهوات. تعريفها، خطورتها.

المبحث الثالث: المسؤولية الدعوية تجاه حماية الشباب من الفتن.

المبحث الرابع: أساليب الدعوة لحماية الشباب من الفتن.

المبحث الخامس: آثار الدعوة لحماية الشباب من الفتن.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس:

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول

مرحلة الشباب: تعريفها، أهميتها، وأهمية حماية أصحابها من الفتن

المطلب الأول: التعريف بمرحلة الشباب

عرفت مرحلة الشباب بعدة معان مشتقة للجذر اللغوي (شبب)، واخترت منها بعض المعاني التي تعبر عن مفهوم الشباب، والصفات المتعلقة به على النحو التالي:

الشَّباب: الفتاء والحداثة. شبَّ يشُبُّ شباباً وشبيبةً. والشباب جمع شاب، وكذلك الشبان.

الشبب: هو أول النهار، ويتضمن معنى التفتح والاستبشار بالحياة، والمستقبل، وأشبب أي هيجَّ، والشباب مرحلة تهيج فيها غرائزه.

رجل مشبوب، جميل حسن الوجه، كأنه أُوقِد؛ ومشبوب إذا كان ذكي الفؤاد شهماً.

الشبوب: هو ما توقد به النار، وهو وصف لحماسة الشباب وحرارته، وسرعة تأثره بالأحداث وثورته على الظلم.

والشبوب هو تقوية الشيء وزيادته، والشباب يتميز باكتمال القوى الجسمية، والعقلية والعاطفية.

وبالتالي يكون مادة لحمل الأفكار بقوة، وحب واستماتة إذا آمن بها.

والشباب هو الفرس الذي يشب على قدميه، وكذلك الشباب يتسم بالقوة والمغامرة وتحدي الصعاب.

المشابيب: القادة. ومن يقود المجتمعات إلا الشباب فهم أداة كل تغيير اجتماعي، وسياسي وأخلاقي[1].

ومصطلح الشباب يطلق على مرحلة عمرية هي ذروة القوة والحيوية والنشاط، وفيها تبدأ شخصية الإنسان بالتبلور وتتضح معالم هذه الشخصية من خلال ما يكتسبه الفرد من مهارات ومعارف.

المطلب الثاني: أهمية مرحلة الشباب وأهمية حماية أصحابها من الفتن.

تعد مرحلة الشباب من المراحل المهمة في حياة الفرد ذاته، وفي حياة الأمم والمجتمعات.

وغالباً ما يمثل الشباب النسبة العظمى من السكان في الدول النامية، الأمر الذي يقتضي مزيداً من الاهتمام به، والاستثمار فيه، حيث تعتمد نمو خبرات هذه المجتمعات، ومواكبتها لمطالب التطور بمدى جدوى عنصر الشباب فيها.

وكلما اغتنمت الأمم شبابها في العلم والإنتاج، وبناء الحضارة زاد إنتاجها وحققت أهدافها [2].

وفئة الشباب هم أسرع الناس استجابة، وأسرعهم تأثراً بخلاف الشيوخ الذين غالباً ما يتمسكون بمعتقداتهم، ويُؤثرون مورثاتهم.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور الأفريقي، مادة (شبب) ج٣، ص ٣٨٨ - ٣٨٩. طبع دار صادر - بيروت - الأولى ١٩٩٧م، وانظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (سبب) ص ١٢٧. طبع مؤسسة الرسالة. الثانية ١٤٠٧هـ؛ وانظر الشباب والتحديات المعاصرة، د/ ليث سعود القيسي موقع الإسلام اليوم ٢٢/جمادى الأولى، ١٤٣٣هـ.

(٢) انظر: مكانة الشباب في الإسلام. أ. د. سليمان بن قاسم العيد، الألوكة المواقع الشخصية، موقع الأستاذ الدكتور سليمان بن قاسم العيد ١٤٢٨/١١/١٧هـ.

لذا عني الإسلام بهذه المرحلة عناية خاصة، وإذا تأملنا كتاب الله عز وجل وسنة النبي ﷺ لوجدنا فيهما اهتماماً خاصاً بهذه المرحلة، سواء في الثناء وذكر الإنجازات، أو في الإرشاد والتوجيهات الخاصة بهذه المرحلة.

ففي القرآن الكريم يثني الله سبحانه وتعالى على أصحاب الكهف بقوله: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾[1].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (فذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى، ولرسوله ﷺ شباباً) [2].

ويقول تعالى عن من آمن بموسى عليه السلام من قومه: ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾[3].

حيث كان المؤمنون به هم الشباب، وقال رحمه الله: في معنى الآية: (يخبر تعالى أنه لم يؤمن بموسى عليه السلام مع ما جاء به من الآيات البينات، والحجج القاطعات، والبراهين الساطعات، إلا قليل من قوم

---

(١) سورة الكهف آية: ١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ إسماعيل بن كثير، ج٣، ص ٧٢.

(٣) سورة يونس آية: ٨٣.

فرعون من الذرية، وهم الشباب، على وجل وخوف منه ومن ملئه أن يردهم إلى ما كانوا عليه من الكفر) [1].

كما ورد في السنة النبوية المطهرة أدلة كثيرة على عنايته ﷺ بالشباب لأنهم كما مر الأسرع استجابة، ولأنهم هم المؤهلون - لصفاتهم التي مر ذكرها - لحمل أمانة تبليغ دين الله عز وجل، ولدورهم الفاعل في بناء المجتمع المسلم على منهاج القرآن والسنة، والدفاع عن دين الله عز وجل، وعن أوطانهم من العدو الصائل.

فكان من اهتمامه ﷺ، تعليمهم، ومحاورتهم. ومشاورتهم، والاعتماد عليهم، والثقة بهم، والثناء عليهم وذكر مزاياهم.

وهذا كله يشبع الحاجات الغريزية لدى الشباب، في الحاجة إلى إثبات الذات، والاحترام وتقدير الجهود.

وكل هذه محفزات لهم لبذل المزيد من العطاء، وتفجير الطاقات الكامنة لديهم.

ومن الأدلة على ذلك ذكر مناقب الصحابة رضوان الله عليهم، حتى حوت كتب السنة كتباً خاصة باسم مناقب الصحابة. ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: (أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان بن عفان، وأعلمهم

(١) تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٤٠٩.

بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[1].

ومنه ما جاء عن ابن عمر ﷺ قال: (بعث رسول الله ﷺ بعثاً، وأمَّر عليهم أسامة بن زيد، فطعن الناس في إمرته. فقام رسول الله ﷺ فقال: (إن تطعنوا في إمرته، فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل وأيم الله! إن كان خليقاً للإمرة. وإن كان لمن أحبَّ الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده)[2].

وهذا دليل على اعتماد النبي ﷺ على الشباب في القيادة، فقد ولى أسامة بن زيد ﷺ على جيش لغزو الشام وفي الجيش عمر ﷺ والكبار[3].

كما أثنى على أسامة ﷺ بقوله ﷺ: (وإن كان لخليقاً للإمارة) أي: حقيقاً لها.

وقد ذكر النووي جملة فوائد من هذا الحديث منها جواز تولية الصغير على الكبار،فقد كان أسامة ﷺ صغيراً جداً، وتوفي النبي ﷺ وهو ابن ثمان عشرة سنة وقيل عشرين،وجواز تولية المفضول على الفاضل للمصلحة[4].

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأبي عبيدة بن الجراح، ﷺ، رقم الحديث (٣٧٩٠)، ج٥، ص٦٦٤، والحديث صححه الألباني (انظر: صحيح سنن الترمذي، رقم الحديث (٢٩٨١ - ٤٠٦١) ج٣، ص ٢٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد ﷺ. رقم الحديث (٢٤٢٦)، ج٢، ص ١٨٨٤.

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٢، ص ٤٩٧. طبع مؤسسة الرسالة، الخامسة ١٤١٣هـ.

(٤) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم، ج٨، ص ٢١١.

فمثل هذه التربية تصنع القيادات في الأمة والتي لا تعتمد فقط على شيوخها أو قياداتها البارزة بل على طاقات شبابها.

ومما ورد أيضاً في ذكر المزايا قول النبي ﷺ: (استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود وسالم مولي أبي حذيفة، وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل)[1]. رضي الله عنهم أجمعين.

وحكّم سعد بن معاذ رضي الله عنه في اليهود لما طلبوا ذلك، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن أناساً نزلوا على حكم سعد بن معاذ فأرسل إليه فجاء على حمار فلما بلغ قريباً من المسجد، قال النبي ﷺ: (قوموا إلى خيركم أو سيدكم. فقال: يا سعد إن هؤلاء نزلوا على حكمك قال فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم. قال: حكمت بحكم الله أو بحكم الملك" [2].

وهو يعرب لأصحابه عن محبته مقرونة بنصحه؛ فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: (يا معاذ والله إني لأحبك فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) [3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي باب مناقب عبدالله مسعود رضي الله عنه، ج٤، ص ٣١٨. طبع دار الدعوة، دار سحنون، الثانية ١٤١٣هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه، ج٤، ص ٢٢٧، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، رقم الحديث (١٧٦٨) ج ٢ ص ١٣٨٨.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الوتر، باب في الاستغفار، رقم الحديث (١٥٢٢)، ج٢، ص١٨٠، والحديث صححه الألباني، انظر: (صحيح أبي داود رقم الحديث (١٣٤٧ - ١٥٢٢)، ج١، ص٢٨٤.

وهو يحاور الشباب ويدنيهم منه كما في حديث الشاب الذي جاء يستأذن النبي ﷺ في الزنا حيث طلب من الشاب أن يقترب منه بقوله: (ادنه فدنا منه قريباً قال فجلس) ثم بدأ النبي ﷺ بمحاورته بقوله: (أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" ثم ذكر الابنة، والأخت وسائر المحارم ويرد الشاب بنفس الرد ثم بعد ذلك دعا له النبي ﷺ قال الراوي: (فوضع يده عليه وقال. اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه فلم يكن بعده ذلك الفتى يلتفت إلى شيء)[1].

والشواهد على ذلك كثيرة يصعب حصرها، إذ أثمر هذا الاهتمام بالشباب جيلاً عظيماً حمل الإسلام ونشره في أصقاع الأرض، وبلغت الحضارة الإسلامية أوج قوتها، وتقدمها لما اعتنت بدعوة وإصلاح شبابها ومنحهم حق التربية والتأهيل، مع تقدير جهودهم.

ومما يجدر الإشارة اليه هنا أنه مع أهمية هذه المرحلة؛ فإنه تزداد خطورة إهمالها وعدم الاعتناء بها؛ ففيها يمر الشاب بتَوقُّد مشاعر الحماسة، وسرعة التأثر بالأحداث، والاعتداد بالرأي، والإعجاب بمن يرونه قدوة، وتقليده، كما أنها مرحلة تهيج فيها الغرائز، مما يجعل الشاب عرضة للفتن أكثر من غيره مما يؤكد عظم مسؤولية الدعاة والمربين تجاههم لتوفير الحماية والملاذ الآمن من الفتن بإذن الله.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٥، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، وقال الشيخ أحمد عبدالرحمن البنا (سنده عند الإمام أحمد جيد). (انظر: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ترتيب وتأليف أحمد عبدالرحمن البنا المطبوع بهامش الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، ج١٦، ص ٧١، طبع دار الشهاب - القاهرة - بدون تاريخ الطبع).

المبحث الثاني

الفتن خطورتها، وأنواعها

المطلب الأول: معنى الفتن وخطورتها:

معنى الفتن:

الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد.

والفتن: الإحراق[1] ومن هذا قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[2].

ويقال: فلان مفتون بطلب الدنيا قد غلا في طلبها، وافتتن في الشيء، فُتن فيه، وفَتَنَ إلى النساء فَتوناً وفُتن إليهن: أراد الفجور بهن.

والفاتن: المُضلُّ عن الحق، ويقال للشيطان فاتن وفتَّان لأنه يفتن الناس بخداعه وتزيينه المعاصي[3].

خطورة الفتن:

الفتن من أعظم المؤثرات على الدين، والدنيا، لذا جاء التحذير الشديد منها على لسان النبي ﷺ في أحاديث عدة، وقد افرد لها علماء الحديث كتباً خاصة سموها (بباب الفتن).

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج٤، ص ٢٣٤.

(٢) سورة الذاريات آية: ١٣.

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور الأفريقي مادة (فتن)، ج٥، ص٨٩، ٩٠.

والقاموس المحيط للفيروزآبادي مادة (فتن) ص ١٥٧٥.

ونظراً لكثرة الأحاديث الواردة في الفتن فسوف أقتصر في هذا المبحث على حديث حذيفة بن اليمان ﷺ في الصحيحين وفيه يقول ﷺ: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني، فقلتُ: يا رسول الله، إنَّا كنَّا في جاهلية وشر [1]، فجاءنا الله بهذا الخير[2] فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير[3]؟.

قال: نعم وفيه دخن [4]. قلت ومادخنه؟

قال: قوم يهدون بغير هديي [5] تعرفُ منهم وتُنكر[6]، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها [7] قلتُ يا رسول الله، صفهم لنا، قال: هم من جلِدتنا،

---

(١) (إنَّا كنا في جاهلية وشر): إشارة إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر وقتال بعضهم بعضاً، وإتيان الفواحش (انظر: فتح الباري، ج١٣، ص ٣٩).

(٢) (جاءنا الله بهذا الخير): يعني الإيمان والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش (انظر: المرجع السابق، ج١٣، ص ٣٩).

(٣) (فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال نعم): المراد بالشر ما يقع من الفتن بعد مقتل عثمان ﷺ وهلم جراً (انظر: المرجع السابق، ج١٣، ص ٣٩).

(٤) (وفيه دخن): يشير إلى الخير الذي يجيء بعد الشر لا يكون خيراً خالصاً، بل فيه كدر (انظر: المرجع السابق، ج١٣، ص ٣٩).

(٥) (قوم يهدون بغير هديي): الهدي: الهيئة والسيرة والطريقة (انظر: شرح النووي لصحيح مسلم، ج٦، ص٤٨٣).

(٦) (تعرف منهم وتنكر): أي من أعمالهم (انظر: فتح الباري، ج١٣، ص ٣٩).

(٧) (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها): قال العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة.. (انظر: شرح النووي، ج٦، ص ٤٨٢).

ويتكلمون بألسنتنا[1]. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم[2]، قلت، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدرك الموت وأنت على ذلك)[3] [4].

فالمرء بين فتنتين، فتنة الشبهات، وفتنة الشهوات. وفتنة الشبهات هي أعظم الفتنتين كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله، حيث قال: (والفتنة نوعان: فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما) [5].

والله سبحانه وتعالى: جمع بين ذكر الفتنتين في قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ﴾[6].

أي: تمتعوا بنصيبكم من الدنيا وشهواتها، والخلاق هو النصيب المقدّر.

---

(١) (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا): أي من قومنا ومن أهل لساننا، وملتنا، وقيل معناه أنهم في الظاهر على ملتنا وفي الباطن مخالفون (انظر: فتح الباري، ج١٣، ص٤٠).

(٢) (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم): أي أميرهم يعني ولو جار. ويوضح ذلك رواية أبي الأسود: (ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك) (انظر: فتح الباري، ج١٣، ص٤٠، شرح النووي، ج٦، ص ٤٨٢).

(٣) (ولو أن تعض بأصل شجرة...): العض كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا (انظر: فتح الباري، ج١٣، ص ٤٠).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة رقم الحديث ج ٨ ص ٩٣،وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين رقم الحديث (١٨٤٧) ج ٢ ص ١٤٧٥.

(٥) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية، ج٢، ص ٢٤٠، تحقيق محمد عفيفي طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.

(٦) سورة التوبة آية: ٦٩.

ثم قال: ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾، فهذا الخوض بالباطل وهو الشبهات.

فأشار سبحانه إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان، لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به، أو العمل بخلاف العلم الصحيح.

فالأول: هو البدع وما والاها.

والثاني: فسق الأعمال.

والأول فساد من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات وفتنة الشبهات تدفع باليقين، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر [1].

المطلب الثاني: فتنة الشبهات - معناها - خطورتها - أنواعها

معنى الشبهات:

الشُّبهة: الالتباس، وأمور مشبِّهةٌ ومُشَبَّهةٌ: مشكلة يشبهُ بعضُها بعضاً [2].

إن فتنة الشبهات هي كل ما يتعلق بعقيدة الإنسان وتصوراته لأحكام الشريعة، فكل فتنة لها علاقة بالدين كالتشكيك فيه، أو الكفر، أو الشرك أو البدع، والدعوة إلى الفرقة والخروج عن جماعة المسلمين، أهل السنة والجماعة أو خروج عن السنة هي من فتنة الشبهات.

---

(١) انظر إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ج٢، ص ٢٤٠.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظر مادة (شبه)، ج٣، ص ٣٩٣.

وقد جعل النبي ﷺ المصالح العظمى للأمة من ثوابت الدين وموقف المسلم تجاه المسلمين، وتجاه غير المسلمين، وتجاه الحياة كلها. جعل ذلك كله من العقيدة كقوله ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)[1].

وكقوله ﷺ: (من قتل مُعَاهداً لَمْ يرِحْ رائحة الجنة، وإن ريحها توجدُ من مسيرة أربعين عاماً)[2].

وكقوله ﷺ: (اسمعوا وأطيعوا وإن استُعمل عليكم عَبْد حبشيٌّ كأنَّ رأسه زبيبة)[3].

وقوله ﷺ: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يُفارق الجماعة شبراً فيموتُ إلا مات ميتة جاهلية)[4].

فأمر ﷺ بالسمع والطاعة، وأمر بالحفاظ على مصالح الأمة العظمى، وجعلها من ثوابت الدين، وأمر بدرء المفاسد عن الأمة، وكل هذه ثوابت قد يجهلها كثير من أبناء وشباب المسلمين في الوقت الحاضر[5] مما يجدر الاعتناء بتوجيههم للحذر منها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي، ج ٧ ص ١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة باب أثم من قتل معاهداً بغير جرم، ج٤ ص ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ج ٨ ص ١٠٥.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ج ٨ ص ١٠٥.

(٥) انظر: فتن الشبهات د. ناصر بن عبدالكريم العقل، إسلام ويب Islamweb. net.

أنواع الشبهات:

النوع الأول: شبهات تؤثر في أصل الاعتقاد:

بحيث تصبح هذه الشبهات مذاهب يدعو إليها أصحابها، سواء كانت مستوردة، أو مخترعة من قبل أشخاص، أو كانت مقننة بفكر وثقافة معينة، فهذه من الشبهات الدائمة التي تبقى ويكون لها ضحايا من شباب المسلمين، كما حدث في الفرق الضالة على مر العصور.

إذ كان من أسباب دخولها هو دخول الفلسفات وديانات ومذاهب الأمم التي فتحها المسلمون بسبب الترجمات، واحتكاك المسلمين بغيرهم من أبناء هذه الأمم وطوائفها.

خاصة من دخل من أبناء هذه الأمم الإسلام ظاهراً، فعرضوا مذاهبهم الباطلة على صورة مصطلحات إسلامية، فجاء مذهب القدرية، ومذهب المرجئة، والمعتزلة، والجهمية... وغيرها.

وهؤلاء أدخلوا عقائدهم وشبههم بمصطلحات جذابة للشباب الذين يعشقون الأفكار الغريبة، فتلقفوها ثم صاغوها بصياغة تحمل مصطلحات إسلامية، فدخلت على أجيال المسلمين عبر العصور، وقد وقف علماء ودعاة هذه الأمة أمامها لحماية الدين والدفاع عن الحق.

وحيث يظهر في عصرنا الحاضر عدد من التيارات التغريبية كالعلمانية[1]، والليبرالية[2] وغيرها من مظاهر الانفلات، إضافة إلى ظهور عدد من تيارات التشدد والغلو والتكفير، ولكل منهما دعاته ومنظريه الذين يبثون الشبه التي ينخدع بها عدد من الشباب اليوم مما يجدر اعتناء الدعاة بتبصير الشباب بمزالق هذه التيارات وتوضيح سلبياتها على الإسلام والمسلمين، ومن ذلك:

(أ) أن تيار التغريب يعمل على المدى البعيد، ويهدف إلى تغريب المجتمع في عقيدته، وعاداته، وتحويل المجتمعات المسلمة حتى تكون كالمجتمعات الغربية، وهذه الدعوة نشطت بعد سقوط الخلافة العثمانية، وسرت كالنار في الهشيم من بلد إسلامي إلى آخر، وهو يسير وفق مخطط مرسوم من قبل أعداء الإسلام لتغريب المجتمعات المسلمة، وإبعادها عن دين الله عز وجل، وزرع الشبهات حول أحكام الشريعة، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة واستهداف الفضيلة في المجتمعات المسلمة[3] لضمان تبعية هذه المجتمعات لهم.

---

(١) العلمانية هي: إقامة الحياة على غير الدين. انظر: (العلمانية د. سفر بن عبدالرحمن الحوالي، طبع مؤسسة قرطبة، ١٤٠٢هـ).

(٢) الليبرالية: مصطلح أجنبي معرب يعني التحررية. وهي مذهب فكري يقوم على أساس علماني يركز على الحرية الفردية، ويسعى إلى وضع القيود على السلطة. وتعتبر الليبرالية مصطلحاً غامضاً لأن معناها وتأكيداتها تعدلت بصورة ملحوظة بمرور السنين. انظر: (موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، موقع الدرر السنية الإلكتروني.)

(٣) انظر: حراسة الفضيلة، د/ بكر بن عبدالله أبوزيد، ص ١٥٩، طبع دار العاصمة - الرياض - الأولى - ١٤٢١هـ.

(ب) أما تيار الغلو والتكفير؛ فهو من التيارات التي عانى منها المسلمون سابقاً. فالتكفيريون هم الخوارج وقد حذر منهم المصطفى ﷺ وذكر صفاتهم ليحذر الأمة منهم فقال ﷺ: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سُفها الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة)[1].

ففي الحديث نص على كونهم (حدثاء الأسنان" أي شباب (سفهاء الأحلام) بمعنى أن عقولهم رديئة أي سفهاء العقول[2].

وبسبب صغر سنهم وجهلهم وقعوا في هذه الشبهات، فباسم الجهاد في سبيل الله يقتلون ويُفَجِّرون، وهم لا يعرفون معنى الجهاد وشروطه، وباسم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقعون في منكرات أشد وأغلظ، بسبب عدم فقههم بشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآدابه.

ومكمن خطورتهم أنهم يحملون شعار الدين والغيرة عليه، ولذا فهم يتلاعبون بعقول الشباب المتدين في دقائق، أو ساعات؛ فخلال جلسة واحدة يتحول الشاب الذي يستهدفونه من شاب هادئ، رقيق، مسالم، إلى شاب ذو شخصية عدوانية شرسة [1] مستعد لأي عمل يرونه اعتقاداً منه أنه مناصر للدين.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب من رايا بقراءة القرآن أو تأكل به، أو فجر به، ج ٦ص ١١٥.

(٢) انظر: فتح الباري، ج١٢، ص ٣٠٠.

(١) انظر: فتن الشبهات، أ. د. ناصر العقل موقع إسلام ويب Islamweb. net.

فأصبحوا بجهلهم دعاة للتفجير والتكفير، ودعاة للفساد في الأرض باسم الجهاد، فاستحلوا دماء المخالفين لهم؛ جاء في الحديث الصحيح الذي فيه ذكر النبي ﷺ أوصاف الخوارج التكفيريين حينما قال له الأعرابي لَمَّا وزع ﷺ الغنائم وأعطى المؤلفة قلوبهم وأكثر لهم العطاء (يا محمد اتق الله" فقال النبي ﷺ: (إنَّ من ضئضئ[1] هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد)[2].

وقوله ﷺ: يقتلون أهل الإسلام لتكفيرهم إياهم؛ لأنهم يُكَفِّرون مرتكب الكبيرة، ويدعون أهل الأوثان، أي يتركون أهل عبادة الأصنام وغيرهم من الكفار. [3].

وهذه الفتنة سبب في تمزيق المجتمعات، مما يجدر اعتناء الدعاة بأداء مسؤوليتهم وحماية الشباب ووقايتهم منها؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله محذراً من الفتن التي يتسبب بها السفهاء: (والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة، وكف أهلها، وهذا شأن الفتن كما قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾[1].

---

(١) (ضئضئ): هو بضادين معجمتين مكسورتين وآخره مهموز، وهو أصل الشيء يريد أنه يخرج من نسله الذين هو أصلهم، أو يخرج من أصحابه وأتباعه الذين يقتدون به (انظر شرح النووي لصحيح مسلم، ج٤، ص١٧٧؛ وانظر عون المعبود على سنن أبي داود محمد أشرف آبادي، ص ٢٠٦٨ طبع بيت الأفكار الدولية.)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى تعرج الملائكة والروح إليه ج ٨ ص ١٧٨.

(٣) انظر: عون المعبود على سنن أبي داود، ص ٢٠٦٨.

(١) سورة الأنفال آية: ٢٥.

وذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله)[1].

النوع الثاني من أنواع الشبهات. شبهات عامة تؤدي إلى فرقة المسلمين.

وذلك فيما يتعلق بمصالح الأمة العظمى كالخروج على العلماء والخروج على الولاة، وعن مقتضى السمع والطاعة [2].

وهذه الشبهة القديمة في عدم السمع والطاعة لولي الأمر، هي طريقة بعض السفهاء في هذا العصر، إذ ربما سموا من يرى السمع والطاعة لأولياء الأمور في غير معصية عميلاً، أو مداهناً، أو مغفلاً و لم يسلم من ذلك كبار العلماء الراسخين في العلم في زمننا هذا، فتراهم يقدحون في ولي الأمر، ويشهرون بعيوبه في تجمعاتهم وبكل وسيلة متاحة [3].

والمطلع على التاريخ يرى أن غالب المتأثرين بهذه الفتن هم فئة الشباب، باندفاعهم وقلة علمهم ووعيهم، وقد قال الإمام النووي رحمه الله في شرح حديث (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام): (يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن، وكثرة التجارب، وقوة العقل)[1] وهذا ما ينقص الشباب غالباً.

---

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د/ محمد رشاد سالم، ج٤، ص٣٤٣، طبع جامعة الإمام ١٤١١هـ.

(٢) انظر: فتن الشبهات، أ. د. ناصر العقل، إسلام ويب.

(٣) انظر: لمحة عن الفرق الضالة، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - علق عليها وخرج أحاديثها - شباب الراجحي - طبع دار السلف - الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

(١) انظر: فتح الباري، ج١٢، ص٣٠٠.

وهذه الفتن تطيح بدول وتخرب مجتمعات وتُذهب الأمن والأمان عن البلاد التي تثار فيها.

وسأضرب لذلك مثلاً واحد من التاريخ المعاصر غير مجرى تاريخ أمة بأكملها هي أمة الإسلام.

إذ كانت الخلافة العثمانية الإسلامية تبسط نفوذها على أجزاء مترامية من العالم في آسيا وأوروبا وأفريقيا، وكانت درعاً منيعاً أمام الطامعين من أعداء الأمة وبين شعوب هذه الأرض وما يمتلكون من حقوق.

و لم يتسن للأعداء الوصول إلى أهدافهم، إلا بزرع الفتن والشبهات، وتشكيك الناس بولاتهم، وكان حاملي لواء راية الفتنة من شباب المسلمين المتحمسين الذين يدارون بأيد خفية، من منظمات سرية عالمية تريد القضاء على دولة الخلافة [1].

فتأسست الجمعيات السرية، وإن كانت في البداية تحمل الطابع الأدبي أو تأخذ الصفة العلمية، إلا أنها تعمل في الحقيقة ضد دولة الخلافة، ثم شجعوا على الدعوة إلى القوميات، إذ لا يوجد معول أسرع لهدم المجتمعات والدول من معول الدعوة إلى القوميات. فأنشئت الصحف، وبدأت بنشر المثالب والعيوب وتضخيمها ونشر الفتنة بين الناس، حتى وصلت إلى درجة الاشتعال - بمراقبة ومباركة من الدول الغربية العظمى

(١) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ج٨، ص ١٨٣ - ١٨٤، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١١هـ.

في ذلك الوقت - حتى صعب ضبطها وأدت إلى عزل الخليفة العثماني عبدالحميد الثاني رحمه الله، الذي ظهر دور اليهود واضحاً في عزله، إذ كان أحد الثلاثة الذي سلموه قرار العزل قره صو اليهودي. وقد قال السلطان عبدالحميد رحمه الله بعد تسلم قرار العزل: (ولكن لماذا جئتم بهذا اليهودي (وأشار إلى قره صو) إلى مقام الخلافة) [1].

ثم توالت القرارات بإلغاء الخلافة الإسلامية، وإعلان علمانية الدولة وتساقطت معظم أجزاء دولة الخلافة بين الدول الغربية التي كانت قد قسمت تركة الخلافة قبل سقوطها بالاتفاقية المعروفة بسايكس بيكو عام ١٩١٦م [2].

فسقطت معظم دول العالم الإسلامي تحت الاستعمار الأجنبي بما فيها فلسطين.

وتبع ذلك إصدار قرارات تعسفية من قادة الانقلاب (الشباب) بإلغاء أي مظهر من مظاهر الإسلام، حتى طال ذلك حجاب النساء المسلمات وإلزام الشعب بمظاهر التغريب في اللباس والعادات والأخلاق.. [3].

فطويت صفحة الخلافة العثمانية عام ١٣٤١هـ وقد لخص المؤرخ محمود شاكر دور الشباب في سقوط دولة الخلافة: (ومن ينظر إلى رجال الاتحاد والترقي [1] وهم من الشباب الذين لم يتجاوز أكبرهم الثلاثين

---

(١) التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ج٨، ص ٢٠٨.

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ج٨، ص٢٢٦.

(٣) انظر التاريخ الإسلامي محمود شاكر، ج٨، ص ٢٣٤.

(١) منظمة سرية تتبع الماسونية العالمية وهي تعمل بوحي يهودي وأسرار يهودية (انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ج٨، ص ٢٠٢).

كيف كانوا يلعبون بالأمة وأمورها، ويتغير رأي الواحد منهم بين ساعة وأخرى حسب المؤثر عليه، ويبدو أن هؤلاء الشباب كانت طموحاتهم واسعة، فهم يفكرون في مستقبلهم المشرق بالزعامة، وكان يُخطط لهم اليهود والمخابرات الإنجليزية سراً وهم لا يدرون أين يسيرون) [1].

وكان من نتائج حكم هؤلاء السفهاء الجهال ما ذكره محمود شاكر بقوله: (فكان الاتحاديون في أثناء حكمهم القصير والذي لا يتجاوز عدة سنوات قد أضاعوا كل أجزاء الدولة في أوروبا.. واحتلت إيطاليا ليبيا، وبعض جزر البحر المتوسط....) [2].

واختصر الإمام ابن القيم رحمه الله أسباب فتنة الشبهات بقوله: (ففتنة الشبهات من ضعف البصيرة، وقلة العلم، ولاسيما إذا اقترن بذلك فساد القصد، وحصول الهوى، فهنالك الفتنة العظمى، والمصيبة الكبرى..... وهذه الفتنة مآلُها إلى الكفر والنفاق، وهي فتنة المنافقين، وفتنة أهل البدع، على حسب مراتب بدعِهم. فجميعهم إنما ابتدعوا من فتنة الشبهات التي اشتبه عليهم فيها الحقُّ بالباطل، والهدى بالضلال....)[1]. وعليه فإن على الدعاة مسؤولية عظمى تجاه وقاية النشء من هذه الفتنة وتبصيرهم بآثارها السلبية على حاضر ومستقبل المجتمع المسلم.

المطلب الثالث: فتنة الشهوات - معناها - خطورتها

---

(١) انظر التاريخ الإسلامي محمود شاكر، ج٨، ص ٢٠٨.

(٢) انظر المرجع السابق، ج ٨، ص ٢٢٢.

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم، ج٢، ص ٢٣٩.

معنى الشهوات:

شها: شهيتُ الشيء بالكسر.

وتشهىَ الشيء وَشهاهُ يشْهاهُ شَهْوَة اشتهاهُ.

وتَشَهَّاهُ: أحبه ورغب فيه.

وقومٌ شَهاوى: أي ذوو شهوة شديدة للأكل، وفي الحديث: (إن أخوف ما أخافُ عليكم الرياءُ والشهوة الخفية"[1].

قال أبوعبيد: ذهب بها بعضُ الناس إلى شهوة النساء وغيرها من الشهوات [2].

والله سبحانه وتعالى ذكر في كتابه الكريم أصنافاً من الشهوات التي يحبها البشر وذلك في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [1].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني وحكم عليه بأنه حسن. رقم الحديث (٥٠٨)، ج٢ ص٣٤.

(٢) انظر: لسان العرب مادة (شها) ج٣، ص٤٨٨.

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٤-١٥.

فبدأ بالنساء، ثم الأبناء، ثم المال، وبدأ بفتنة النساء لأن الفتنة بهن أشد كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء)[1] فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد فهذا مطلوب مرغوب مندوب إليه [2].

وكذلك الحال في الأبناء والمال إذا كان المقصود به تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، مع مراعاة مقاصد الشرع فهو مطلوب.

وقال ابن سعدي في تفسيرها: (أخبر تعالى في هاتين الآيتين عن حالة الناس في إيثار الدنيا على الآخرة وبَيَّن التفاوت العظيم والفرق الجسيم بين الدارين.

فأخبر أن الناس، زينت لهم هذه الأمور، فرمقوها بالأبصار واستحلوها بالقلوب، وعكفت على لذاتها النفوس.

كل طائفة من الناس، تميل إلى نوع من هذه الأنواع، قد جعلوها هي أكبر همهم، ومبلغ علمهم، وهي مع هذا متاع قليل، منقض في مدة يسيرة. فهذا متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب.

ثم أخبر سبحانه وتعالى بأن للمتقين القائمين بعبوديته خير من هذه اللذات، فلهم من أصناف الخيرات، والنعيم المقيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر [1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة، ج٦ ص١٢٤. واللفظ له، وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم الحديث (٢٧٤٠)، ج٣ ص٢٠٩٧.

(٢) انظر: تيسير القرآن العظيم، ج١، ص٣٣٢.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق محمد زهري النجار، ج١، ص٣٦٢. طبع مكتبة الخلفاء - الرياض - الأولى، ١٤٠٨هـ.

وجاء التحذير الصريح منها في صحيح السنة حيث أخرج البخاري ومسلم -يرحمهما الله- في صحيحهما عن أنس بن مالك رضي الله عنما، قال: قال رسول الله ﷺ: (حُفَّتَ الجنَّة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات)[1].

وفي الحديث نص صريح على أن النار محفوفة ومحجوبة بالشهوات، فدخول النار بهتك الحجاب الذي هو الشهوات المحرمة؛ كالخمر، والزنا، والنظر إلى الأجنبية والغيبة واستعمال الملاهي ونحو ذلك.

وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه[2].

وفئة الشباب هم الأكثر تعرضاً وإقبالاً على الشهوات، نظراً لما سبق ذكره من سمات فئة الشباب من اكتمال القوة الجسدية، والنشاط وثوران الشهوة، فكل هذه عوامل تجعل الشهوات أشد خطورة عليهم.

لذا ورد في الحديث من تعجب الرب سبحانه وتعالى، من الشاب الذي ليست له صبوة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إن الله عز وجل ليعجب من الشاب ليست له صبوة)[1][2].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب حُجبت النار بالشهوات ج٧، ص١٨٦؛ ومسلم في كتاب الجنة، رقم الحديث (٢٨٢٢)، ج٣، ص٢١٧٤، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: شرح النووي لصحيح مسلم ج٩، ص١٨٢.

(١) الصَّبْوة: جَهْلَة الفُتُوَّة واللهو من الغزل والميل إلى الهوى، انظر: لسان العرب لابن منظور مادة (صبا) ج٤، ص١٣؛ وانظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج٣، ص١١. تحقيق طاهر الزاوي. محمود الطناجي، طبع دار الفكر، بدون تاريخ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٤، ص١٥١، وقال في مجمع الزوائد: رواه أحمد وأبويعلى والطبراني وإسناده حسن. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي بكر الهيثمي، ج١٠، ص٢٧٠، طبع دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، بدون ذكر التاريخ.

ذلك أن طبيعة الشباب تدفعه لتحقيق شهوات النفس ورغباتها، فإذا امتنع من ذلك بقوة العزيمة في البعد عن شهوات النفس وهواها خوفاً من الله وطمعاً بما عنده، كان مدعاة للعجب، مستحقاً لإجزال الأجر.

ومع ما في سن الشباب من الإقبال على الحياة، والاستمتاع بملذاتها إلا أن الأمر يزداد خطراً وسوءاً، بتزيين الشهوات للشباب، وتيسير حصولهم عليها، وقد أدرك أعداء الإسلام مكمن قوة الإسلام وأنه بشبابه المتمسكين به المطبقين لشرائعه، إذ التاريخ يشهد بذلك إذ كيف استطاع نبي هذه الأمة محمد بن عبدالله ﷺ أن يوجه نشاط الشباب وقوته، ويدعوه لخدمة دينه وأمته، وكيف استطاع ترشيد شهواته، وضبطها بضوابط الشرع.

وقد ازداد إدراك أعداء الأمة لأهمية التخطيط ضد الشباب المسلم وذلك بعد الحروب العسكرية التي خاضوها مع المسلمين، (خاصة الحروب الصليبية)؛ إذ علموا أن القوة العسكرية لا تجدي نفعاً في القضاء على هذا الدين، والانتصار على شباب الإسلام المتحمس المتوقد لخدمة دينه وأمته، فلجأوا إلى تخدير الشباب بالشهوات، وهو ما استخدموه في حربهم الفكرية المسماة بالغزو الفكري، ويرجع سبب التسليط على الفكر؛ لأن معظم أعمال الناس في حياتهم إنما هي من آثار المفاهيم المسيطرة على قلوبهم وعواطفهم، فحينما تكون هذه المفاهيم سليمة قويمة، يكون السلوك في غالب أحواله سليماً قويماً، إلا في عاطفة آسرة، أو شهوة قاصرة، أو رغبة نفسية جامحة، فحينما تكون المفاهيم منحرفة عن منهج الحق؛ فإن السلوك في غالب أحواله يكون منحرفاً عن الصراط

المستقيم، متفلتاً من الضوابط الدينية والخلقية، والروابط الاجتماعية، والقيود التي تحد من حرية أهوائه وشهواته، فيشذ وينحرف؛ فكانت حملاتهم المسعورة عن طريق القبض على مواطن الضعف في الإنسان في أهواؤه، وشهواته، وغرائزه. ومن البديهي أن ميل النفوس إلى هذه الأنواع أمر فطري لا يحتاج إلى تعليم أو إقناع، ولا يتطلب معاكسة أو مخالفة الهوى. بعكس ضوابط الحق والخير والفضيلة، فإنها تحتاج إلى تعليم وإقناع، وتربية على كبح جماح شهوات النفوس، ومخالفة أهوائها المرسلة.

فكان من أساليبهم إغراق المجتمعات في الأخلاق الفاسدة. والفئة المستهدفة بشكل خاص فئة الشباب، إذ تهدف إلى إفساد الشعوب والأجيال المسلمة إفساداً سلوكياً، ليكون ذلك وسيلة للتحول الفكري.

ومن المعروف المجرب أن الاستغراق الطويل في الانحراف السلوكي، من الوسائل الممهدة لتقبل الفكر والانتقال إليه ولو بعد التدرج في مراحل، وهذا من الأمور المشاهدة للمتتبع لأحوال المجتمعات المسلمة من بدايات الغزو الفكري، وذلك قبل سقوط دولة الخلافة الإسلامية وحتى الآن، وكيف أثر الغزو الفكري تدريجياً في المجتمعات المسلمة المستهدفة.

وأهم العناصر التي تستخدم للإفساد السلوكي العناصر التالية: المال، النساء، الخمر، المادية البحتة، أنماط العيش التي تعتمد على الرفاهية والمتعة، وعدم المبالاة، إلا بما يمتص طاقات الفكر والجسد من متعة [1].

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٥٠٠ - ٥٠٢- ٥٠٦. من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد في جامعة الإمام، عام ١٣٩٦هـ. طبع جامعة الإمام ١٤٠٤هـ.

ومما يؤسف له أن الغزاة كان لهم ربائب، صنعوهم وغذوهم بالأفكار المنحرفة، حتى يصبحوا بعد ذلك هم الدعاة التغريبيون الداعين للفساد، المتصدين لمحاربة الفضيلة. وهؤلاء ينطبق عليهم وصف النبي ﷺ في حديث حذيفة رضي الله عنه: (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت يارسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا...)[1].

وقد انجرف وراء خططهم عدد من شباب الأمة مما يتطلب النهوض القوي لدعاة الإسلام وعلمائه لمواجهة الفتن المتتالية على الشباب المسلم اليوم.

(١) تقدم تخريجه .

المبحث الثالث

المسؤولية الدعوية تجاه حماية الشباب من الفتن

في ظل هذا العصر الذي تلاشت فيه الحدود الثقافية بين الدول، أصبحت البيئة هي العالم كله على ما فيه من اختلاف الديانات والثقافات، وفي ظل الثورة العلمية، كان لوسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي التي أصبحت في متناول يد الصغار والكبار على حد سواء الأثر الواضح في التأثير على الفكر

لذا كان لزاماً على العلماء والدعاة أن يتقدموا لسد هذه الثغرة بالمبادرة بالتخطيط والعمل لتحصين الشباب المسلم من الفتن، ومحاورتهم بمختلف الأساليب والوسائل الممكنة.

ولخطورة المشكلة كان لا بد لها من جهود جماعية على مستوى الأمة، إذ إن آثارها السلبية تلقي بظلالها على الأمة جمعاء. فكان لا بد من تكاتف العلماء والدعاة، والمهتمين والمتخصصين بقضايا الشباب للعمل على مواجهة الفتن التي تحيط بالشباب، وتوفير سبل الحماية لهم من الانزلاق في أوحالها، والعمل معا للحفاظ علي هوية الشباب وثقافته، من خلال دعم وسائل الإعلام التي تساعد في ذلك وتسليط الضوء عليها، واستثمار طاقات الشباب وتوجيهها الوجهة الصحيحة، وتدعيم مكانتهم في المجتمع، وكذلك تبادل الأفكار والآراء مع الآخرين ممّا يساعد الشباب على اتخاذ قراراتهم المهمة، والاختيار الأنسب منها.

وتتضح مسؤولية الدعاة تجاه وقاية الشباب من الفتن من خلال التأسي بالسلف الصالح بعرض العقيدة الصحيحة حسب النوازل،فيركز الدعاة على الفتن الموجودة في العصر الحاضر، والتي تؤثر على المجتمع بشكل عام وفئة الشباب بشكل خاص، ويسعى الدعاة إلى مواجهتها وفق ما جاء في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (إن جماع أمراض القلب هي أمراض الشبهات والشهوات والقرآن الكريم شفاء للنوعين ففيه من البينات والبراهين القطعية، ما يبين الحق من الباطل فتزول أمراض الشُّبه المفسدة للعلم والتصور والإدراك، بحيث يرى الأشياء على ما هي عليه، وليس تحت أديم السماء كتاب متضمن للبراهين والآيات على المطالب العالية، من التوحيد، وإثبات الصفات، وإثبات المعاد والنبوات، ورد النحل الباطلة والآراء الفاسدة مثل القرآن الكريم، فإنه كفيل بذلك كله متضمن له على أتم الوجوه وأحسنها، وأقربها إلى العقول وأفصحها بياناً.

فهو الشفاء على الحقيقة من أدواء الشبه والشكوك ولكن ذلك موقوف على فهمه ومعرفة المراد منه..) [1].

ومما لاشك فيه أن فهم كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ في الرد على الشبه كفيل بالتأثير على المدعوين، إذا أتقن الداعية مهارة العلم أولاً، ثم القيام بتوصيل هذا العلم بطريقة مؤثرة.

---

(١) رسالة في أمراض القلوب لابن قيم الجوزية ،تحقيق محمد حامد الفقي ،طبع دار طيبة، ١٤٠٣هـ، ص ٤٤ ،وانظر: مجموع الفتاوى ،ج١٠ ص٩٥.

ومن الأمور التي تعين الدعاة على مواجهة الفتن ما يلي:

أولاً: الدعوة للتمسك بالقرآن الكريم فهو مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة، حتى يصلح القلب فتصلح إرادته؛ فحياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسده بخلاف القلب المريض الذي إذا وردت عليه شبهة قوت مرضه وإن حصلت له حكمة وموعظة كانت من أسباب صلاحه وشفائه [1]، والقرآن الكريم يدعو إلى التدبر في الكون والنظر في آيات الله عز وجل وهذا من أعظم الأسباب التي تقضي على الشبه، وقد تكرر مثل هذا في القرآن الكريم في مجادلة أهل الباطل وإقناعهم بالحجج والبراهين العقلية، وهذا هو الذي ينبغي أن يطبقه الدعاة في مواجهة الشبهات.

ثانياً: دعوة الشباب لترك الفواحش والآثام؛ فالمعاصي بمثابة الأخلاط الرديئة في البدن، وإذا تاب العبد من الذنوب كان استفراغاً من تخليطاته حيث خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

وإذا تاب الشاب قويت إرادته للأعمال الصالحة، وتخلص من الشبهات الفاسدة التي كانت فيه[2]، وقد ذكر الامام ابن القيم رحمه الله: (أن الذنوب والمعاصي تضر، ولا شك أن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان) [3].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ج١٠ ص٩٤ - ٩٥.

(٢) انظر: المرجع السابق ج١٠ ص٩٦.

(٣) انظر: المرجع نفسه ج١٠ ص٩٨.

ثالثاً: دعوة الشباب إلى تعلم العلم الشرعي المستمد من الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة؛[1] فالجهل والشك من أسباب التأثر بالفتن، وقد أرشد النبي ﷺ إلى علاج ذلك بقوله ﷺ: (ألا سألوا إذا لم يعلموا فإنما شفاء العي [2] السؤال) [3].

رابعاً: دعوة الشباب إلى الابتعاد عن سماع الباطل؛ فالشاب إذا اعتاد سماع الباطل وقبوله أكسبه ذلك تحريفاً للحق عن مواضعه، و إذا أقبل الباطل أحبه ورضيه، فإذا جاء الحق بخلافه رده وكذبه إن قدر على ذلك وإلا حرَّفه [4].

ومعلوم ما لسماع الشبه من أثر كبير على الإنسان؛ فالنفس تتأثر بحسب ما يعرض لها خاصة إذا كان العبد غير محصن عن تلك الشبه بالعلم.

خامسا: العناية بوقت الشباب وشغله بالمفيد والتخطيط لإقامة المناشط المتنوعة بمختلف الميادين الدعوية، واستقطاب الشباب للمشاركة فيها.

سادسا: الاعتناء بإنشاء المحاضن التربوية للشباب والإشراف عليها،؛ فقد كانت بداية الدعوة الإسلامية في محضن تربوي يلتقي فيه الرسول ﷺ

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج١٠ ص٩٤.

(٢) العي: الجهل ،انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير باب العين مع الياء طبع دار الفكر، ج٣ ص٣٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب في المجروح يتيمم ،واللفظ له، ح: (٣٣٦) ج١ ،ص٢٤٠، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة باب في المجروح تصيبه الجنابة ح: (٥٧٢) ج١، ص١٨٩، والحديث حسنه الألباني (انظر صحيح سنن أبي داود حديث (٣٢٥ - ٣٣٦) ج١ ص٦٩.

(٤) انظر: رسالة في أمراض القلوب، ص٥٥.

مع الشباب في دار الأرقم بن أبي الأرقم[1]، فيوجههم ويشحذ هممهم، ويقوم أخطاءهم، ويثني على مواقفهم، إضافة الى ما يجدونه فيها من القرناء؛ فالشباب بحاجة إلى المربي الناصح العطوف في هذه المرحلة،إضافة الى حاجتهم إلى الأقران فيتبادلون الخبرات ويتناقشون في تجارهم، ويتشاورون فيما يهمهم [2]

سابعا: العمل على رصد المشكلات التي يعاني منها الشباب،والاستعانة بالمتخصصين في كافة المجالات، لتلافيها والتقليل من نتائجها السلبية.

وعلى العلماء والدعاة من الوجوب ما ليس على غيرهم؛ فهم قادة الأمة إلى جادة الصواب، وهم ممن يعين أهل السلطة، بتقديم المشورة والنصح، وتقديم الخطط والمقترحات لحفظ شباب الأمة من الفتن، والأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة.

وإذا تخلوا عن هذه المهمة اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسألوهم فأفتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا،كما في الحديث الذي رواه عبدالله بن عمر بن العاص ﷺ قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا

---

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د/ مهدي رزق الله، ص١٩٥. طبع مركز الملك فيصل للبحوث، الأولى، ١٤١٢هـ.

(٢) انظر: المنهاج النبوي في دعوة الشباب. أ. د/ سليمان بن قاسم العيد. ص١٢١، طبع دار العاصمة، الرياض، ١٤١٥هـ.

لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جُهالاً فسألوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا"[1].

ففي الحديث تحذير من ترؤس الجهلة [2].

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم ج١ ص٣٤.

انظر: البخاري المطبوع مع فتح الباري، ج١، ص٢٣٤.

(٢) انظر: فتح الباري، ج١ ص٢٣٦.

المبحث الرابع

أساليب الدعوة لحماية الشباب من الفتن

تعرف الأساليب في اللغة بأنها جمع أسلوب وهو: الطريقة؛ يقال سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقته ومذهبه، ويقال: أخذنا في أساليب من القول: فنون متنوعة، ويقال: هو على أسلوب من أساليب القوم أي على طريق من طرقهم [(١)].

والأساليب في الاصطلاح: هي (الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته)[(٢)].

وعرف الأسلوب بأنه: (الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته) [(٣)].

ومرادي من الأساليب هنا: (الطرق التي يسلكها الداعية في الدعوة لحماية الشباب من الفتن).

---

(١) انظر: لسان العرب مادة (سلب) ج٤ ص٢٠٥٨ والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي الناشر: المكتبة العلمية - بيروت مادة (سلب). ج١ ص ٢٢٨٤، والمعجم الوسيط مادة (سلب) مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة ج١ ص٤٤١.

(٢) المدخل إلى علم الدعوة ، دراسة منهجيه شامله لتاريخ الدعوة و أصولها و مناهجها و أساليبها و وسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل و العقل د/ محمد أبو الفتح البيانوني ، ط: ٣ بيروت: مؤسسه الرساله، ١٩٩٥، ص ٢٤٢.

(٣) خصائص القرآن الكريم ، د: فهد بن عبد الرحمن الردهي، طبع مكتبة الحرمين - الرياض - الثانية ١٤١٤هـ، ص ١٨.

ومن الأساليب التي يمكن الإفادة منها لحماية الشباب من الفتن مايلي:

١- الحوار بلطف وهدوء وإظهار الاحترام والتقدير لشخص الشاب.

إذ إن فئة الشباب يحتاجون لمن يحاورهم بهدوء ولطف ولين، وعدم تسفيه آرائهم مهما كانت غريبة وشاذة، وقد كان هذا منهج النبي صلى الله عليه وسلم عند محاورته للشباب، دل على ذلك حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا فعن أبي أمامة ﷺ قال: (أن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: ادنه. فدنا منه قريباً قال فجلس. قال: أتحبه لأمك؟. قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يارسول الله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم

قال: أفتحبه لأختك؟. قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه. فلم يكن بعده ذلك الفتى يلتفت إلى شيء).

٢ - أسلوب التلطف والاستدراج، وإشراك الشـــاب في اســـتنباط النتائج والوصول إلى الحق.

ومن ذلك قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام عندما دعا قومه إذ بدأهم باللطف، واستدرجهم لاستنباط النتائج للوصول إلى هدفه في تغيير عقيدهم، وزعزعة الباطل في نفوسهم، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

فإبراهيم عليه الصلاة والسلام نهج في دعوته لقومه ما يلي:

- استدرجهم لشرح وفضح (عقيدهم) على ألسنتهم.
- بين لهم حقيقة فكرهم ومدى فسادها.
- بين لهم مصدر هذه الفكرة الفاسدة على ألسنتهم.
- جزّء الفكرة الكلية لأجزاء، وناقشها مناقشة عقلية وموضوعية.

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٦٩ - ٨٢.

- طرح البدائل في شكل متسلسل ومتنوع، وخاطب عقولهم ووجدانهم، ومن ثم ارتقى بعقولهم إلى ما هو أبعد من ذلك كلـــه إلى الآخـــرة [1]

وهذا مايجدر تنبه الدعاة اليه عند ترهيب الشباب من الفتن.

٣ - أسلوب التقرير الذي يجبرهم على النطق بالحق الذي لا يدفع.

وسأضرب لذلك مثلاً من أساليب الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في معالجة أمراض الشبهات والتي استقوها من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ.

وهذه القصة عن حوار الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج، أخرج عبد الرزاق في المصنف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما خرجت الحرورية اجتمعوا في دار - على حدتهم - وهم ستة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب النبي ﷺ معه، قال: جعل يأتيه الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك، قال: دعهم حتى يخرجوا فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون، فلما كان ذات يوم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين: أبرد عن الصلاة فلا تفتني حتى آتي القوم فأكلمهم، قال: إني أتخوفهم عليك. قلت: كلا إن شاء الله تعالى وكنت حسن الخلق لا أوذي أحدًا. قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلاً جهيرًا، قال: ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة. قال: فدخلت على قوم لم

---

(١) انظر: درر الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري - هلال حسين فلمبان ، طبع مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ط: الثالثة ١٤٣٠هـ، ص ١٨٠.

أر قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن [1] الإبل، وجوههم معلمة من آثار السجود، عليهم قمص مرحضة، وجوههم مسهمة من السهر. قال: فدخلت. فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس! ما جاء بك؟ وما هذه الحلة، قال: قلت ما تعيبون علي؟ لقد رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من هذه الحلل، ونزلت: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2]، قالوا: فما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ومن عند صهر رسول الله ﷺ عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً، فإن الله تعالى يقول: ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[3]، وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتهم.

قال: قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟

قالوا: ننقم عليه ثلاثاً.

قال: وما هنّ؟

---

(١) ثَفِن: مفردها (ثفنة) بكسر الفاء: وهي ما ولى الأرض من كل ذات أربع إذا بركت، كالركبتين وغيرهما، ويحصل فيه غلظ من آثار البروك، وتجمع أيضًا على ثفنات. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى محمود محمد الطن احي،المكتبةالعلميةبيروت،ت: (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م). ج١-٢١٥.

(٢) سورة المائدة ، الآيات: ٩٥.

(٣) سورة الزخرف، الآيات: ٥٨.

قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل.

قال: قلت وماذا؟

قالوا: وقاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم، لئن كانوا كفارًا لقد حلت له أموالهم ولئن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم.

قال: قلت وماذا؟

قالوا: محا نفسه من أمير المؤمنين؛ فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، قال: قلت أعندكم سوى هذا؟ قالوا: حسبنا هذا.

قال: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنة نبيه ﷺ ما لا تنكرون [ينقض قولكم] أترجعون؟ قالوا: نعم.

قال: قلت أما قولكم: حكّم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، وقال تعالى في المرأة وزوجها: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾، أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وإصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم، وفي بضع امرأة، وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال، قالوا: اللهم في حقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم قاتل و لم يسب و لم يغنم، أتسبون أمكم عائشة، أم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها، فقد كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست أم المؤمنين فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله يقول: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾، فأنتم مترددون بين ضلالتين، فاختاروا أيهما شئتم، أخرجت من هذه؛ فنظر بعضهم إلى بعض،قالوا: اللهم نعم.

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين، فأنا آتيكم بما ترضون، فإن رسول الله ﷺ دعا قريشًا يوم الحديبية أن يكتب بينه وبينهم كتابًا فكاتب سهيل بن عمرو وأبا سفيان. فقال: اكتب يا علي هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله، فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال: والله إني لرسول الله حقًا وإن كذبتموني، اكتب يا على: محمد بن عبد الله، فرسول الله ﷺ كان أفضل من علي رضي الله عنه وما أخرجه من النبوة حين محا نفسه. أخرجت من هذه؛ قالوا: اللهم نعم، فرجع منهم ألفان، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا على ضلالة [1].

ومما يلاحظ في هذا الأسلوب أن ابن عباس رضي الله عنهما استخدم ما يلي:

- ترك الطرف الآخر يبدأ بالحوار، حتى يتبين وجهة نظرهم.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف للإمام عبد الرزاق الصنعاني تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. رقم الرواية (١٨٦٧٨) ، طبع المكتب الإسلامي - الثانية ١٤٠٣هـ، ج١٠ ،ص١٥٧، وقال في مجمع الزوائد: (رواه الطبراني وأحمد ببعضه ورجالهما رجال الصحيح (انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، ج٦ ص٢٤١. طبع دار الريان - دار الكتاب العربي.

- فتت الفكرة الكلية إلى أجزاء، واحدة تلو الأخرى، و لم ينتقل من شبهة إلى أخرى حتى سلَّم الخصم بذلك.
- وثق معلوماته؛ مستدلاً بالكتاب الكريم والسنة المطهرة.
- نوع في الإجابات والردود: فالأولى: عقلية منطقية، والثانية: استدلالية، والثالثة: وجدانية عقلية [1].

ومما يشار إليه هنا أنه ينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل، من أصحاب المنهج الصحيح ألا ييأسوا من عودة الطوائف المنحرفة إلى المنهج القويم ممن أمعنوا في الضلال، فهاهم الخوارج على شدة بدعتهم وتمسكهم بها، قد عاد كثير منهم إلى الحق بعد أن تبين لهم، إذ إن أغلبهم من الأتباع حجبهم مشايخهم عن الاستماع للمخلصين خوفاً من تذبذب موقفهم، وتخليهم عنهم، فكانوا مغيبين عن الحقيقة.

٤- أسلوب الاستدلال العقلي والمنطقي:

وسأذكر على ذلك مثالاً من دعوة السلف الصالح -يرحمهم الله- الذين يتبعون منهج القرآن الكريم في دعوتهم وفي اتباع أساليبه.

جاء في العقيدة الطحاوية ما نصه: (ويُحكى عن أبي حنيفة ﷺ: أن قوماً من أهل الكلام أرادوا البحث معه في تقرير توحيد الربوبية، فقال لهم: -أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة - عن سفينة في دجلة، تذهب فتمتلئ من الطعام والمتاع وغيره بنفسها، وتعود بنفسها، فتُرسي بنفسها، وتتفرغ وترجع، كل ذلك من غير أن يدبرها أحد؟!.

---

(١) انظر: درر الحوار التربوي في وقاية الشباب من الانحراف ، ص ١٨٧.

فقالوا: هذا محال لا يمكن أبداً!.

فقال لهم: إذا كان هذا محالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم عُلْـــوهِ وسُفْلِهِ؟)[1].

ومن خلال هذه القصة يتضح أن أبا حنيفة اتبع ما يلي مع أصحاب شبهة إنكار الربوبية:

- في البداية لم يرفض التحاور معهم، مع أن ربوبية الخالق سبحانه أمر معلوم من الدين بالضرورة.
- لم يقدم الدليل والبرهان من الكتاب والسنة، لتيقنه أن من أمامـــه يحتاجون إلى دليل حسي.
- تدرج معهم في تقريب المراد، فكان ذلك أدعى لاستجابتهم.
- خاطب عقولهم عن طريق الاستدلال العقلي والمنطقي.
- استغل البيئة المحيطة لضرب المثل، فالمثل يقرب المعاني ويضع صورها مثيرة لدى المستمع [2].
- استخدم الاستفهام الاستنكاري بقوله: (إذا كان هـــذا محـــالاً في سفينة، فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله) [3].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ج١ ص ١٣٥.

(٢) انظر: الدعوة الإسلامية - أصولها ووسائلها، د: أحمد أحمد غلوش، دار الكتاب الإسلامي، ودار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م. ص ٣٥٥.

(٣) انظر: دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري ص ١٨٧.

(٣) انظر: الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي، ج ١ ص ٣طبع دار الكتب العلمية -بيروت-١٤٢٢هـ

المبحث الخامس

آثار الدعوة لحماية الشباب من الفتن

إن الدعوة لحماية الشباب من الفتن وتزكيتهم من مقاصد الشريعة التي جاء الشرع الحنيف بها، ومن هذه المقاصد حفظ الضروريات الخمس وهي (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال) ، التي إن لم تحفظ لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، ولفاتت النجاة في الآخرة.

ويمكن تقسيم آثار الدعوة لحماية الشباب من الفتن إلى قسمين:

آثار خاصة بالشاب وأسرته. وآثار عامة على المجتمع:

أولاً: آثار خاصة على الشاب وأسرته:

تعد مرحلة البلوغ هي بداية مرحلة التكليف، يصبح فيها الشاب مكلفاً مسؤولاً عن أفعاله؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يشب وعن المعتوه حتى يعقل)[1] ؛ لذا كان الاهتمام بهذه المرحلة مهماً بأهمية النتائج والآثار المترتبة عليها ومن ذلك:

- حفظ الدين الذي إن فسد كانت خسارة الدنيا والآخرة؛ يقول ابن القيم عن ضرورة الدين للناس (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء) ثم عقد مقارنة بين حاجة الناس إلى

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته -محمد ناصر الدين الألباني-وحكم بصحته رقم الحديث ٣٥١٣ ج ١ ص ٦٥٩ طبع المكتب الإسلامي -الثالثة -١٤٠٨هـ.

الشريعة، وحاجتهم إلى التنفس والطعام والشراب فقال: (غاية مايقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه، وأما مايقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبدان، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه)[1].

- حفظ النفس من الهلاك، ففي توجية الشباب وحمايتهم من الوقوع في الفتن حفظ لأنفسهم من إلقائها في التهلكة، وعدم استغلالهم بالزج بهم في قضايا لاشأن لهم بها، واستخدامهم كمطايا ووقود لتنفيذ أجندة المنظمات الإرهابية التي غالباً ما تتبع لمخابرات أجنبية عدوة لأوطانهم ومجتمعاتهم.

وينطبق ذلك على باقي المقاصد المراد حفظها، العقل والمال والعرض؛ فالشاب بين مخاطر فتنتي الشبهات والشهوات إذ يمكن أن يتضرر في عقله أو ماله أو عرضه؛ مما يؤثر على أسرته التي رعته وبذلت في سبيل تربيته ما تستطيع، فإذا به يُتخطَّف منها فيضيع ويُضيِّع ماأنيط به من مسؤوليات.

(١) انظر: مفتاح دار السعادة لابن القيم ج٢ ص ٣٥٣).

ثانياً: آثار عامة على المجتمع:

١- تقوية الجبهة الداخلية للمجتمع:

إن في احتضان الشباب، والاهتمام بهم، وتوفير سبل الحياة الكريمة لهم، وتبصيرهم بحقيقة الفتن النازلة، وتحذيرهم من الخوض في غمارها، يفوت الفرصة على أعداء الأمة المتربصين بها، والذين يطمحون لاختراق الوطن، وزعزعة أمنه واستقراره،إذ المتتبع للتاريخ يشاهد أن ما من بلد سقط إلا بزرع الفتن من داخله أولاً، ولا يوجد لدى الأعداء في كل زمن أسهل من تجنيد الشباب من أبناء الأمة المستهدفة باستغلالهم لهدم أوطانهم بدعاوى شتى.

وفي الاهتمام بدعوة الشباب تقوية للجبهة الداخلية للوطن، فيصبح عصياً على الاختراق بإذن الله.

وقد سلك الأعداء في استهداف شباب المسلمين طريقين الأول: النفوذ إلى أسس العقائد والتشريعات الإسلامية الربانية بغية اقتلاعها من عقول وقلوب فريق من أبناء المسلمين،وبذلك يتكون منهم فيلق يعادي تعاليم الإسلام،ويرى فيها التخلف والرجعية،مهمته تحويل الأجيال الناشئة عن دينها وتجنيدها لحرب الدين وسلخ المجتمع من تعاليمه.

والثاني: إيجاد فريق من المسلمين، يتحلون باسم الإسلام ويتعصبون له تعصبا شديدا، لكن المفاهيم التي يستمسكون بها على أنها جزء من الإسلام مفاهيم فاسدة مدسوسة، ليست من الإسلام في شيء، ويمثل هذا الفريق قوة الصد عن الإسلام والتنفير منه[1].

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ٥٠١.

٢- الحفاظ على فضيلة المجتمع:

فيكون كما أراد الله تعالى مجتمعاً تنتشر فيه الفضيلة؛ و بسلامة الشباب من الفتن يتم إبطال عمل التيارات التي ترغب في نشر الرذيلة بين المسلمين من خلال فتنة الشهوات. والتي جندت في سبيل ذلك شتى الوسائل المسموعة والمرئية لإسقاطهم.. إذ إن المجتمعات التي تنتشر فيها الفواحش مهددة بالسقوط والهلاك وهي أحد مداخل الأعداء لأي وطن يراد اشغاله بشهواته وغمسه في مستنقع الفساد الأخلاقي عن طريق ترغيبه بأنماط العيش التي تعتمد على الرفاهية والمتعة واللذة، لينصرف فكره واهتمامه عن بناء وطنه وعن الدفاع عن قضاياه وحقوقه،ويكون مخدراً بالشهوات.

٣- الحفاظ على مصالح الأمة العظمى:

إن من مصالح الأمة العظمى: السمع والطاعة لولاة الأمر وولاة الأمر هم العلماء والولاة قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فلهذا كان أولو الأمر صنفين: العلماء، والأمراء فإذا صلحوا صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس) [1].

ولا تنتظم مصالح الأمة إلا بالسمع والطاعة لهم فالسمع والطاعة للأمراء (ما لم يروا كفراً بواحاً) تنتظم به مصالح الأمة، وفي عدم السمع والطاعة لهم إخلال بالأمن وزرع للفتن كما فعل أصحاب الفكر

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لشيخ الإسلام ابن تيمية ،طبع دار العلوم الإسلامية - القاهرة - دار البخاري المدينة ١٤٠٩هـ، ص ٩٨.

التكفيري الذين أضروا بمصالح الأمة داخل أوطان المسلمين بزعزعة الأمن، وسفك الدماء، والإخلال بمصالح الأمة خارج الأمة المسلمة مع الدول غير المسلمة فأصبح المسلم مصدر رعب لدى هؤلاء بسبب الصورة السيئة التي عكسها هؤلاء نتيجة أفعالهم.

وهذا سبب للأمة الحرج، وجلب لها الأضرار - كما أثر على قوتها وتماسكها.

وسلامة المجتمع من الفتن فيه حفظ لحقوق الفرد والمجتمع، إذ فيه توجيه للفرد المسلم بإصلاح نفسه فإذا صلح حفظ حقوق إخوانه، وفيه توجيه للجماعة بالتواصي على الإصلاح مما يجعل المجتمع المسلم مجتمعا مثالياً يؤدي الحقوق لأصحابها.

٤ - **إظهار الصورة المشرقة للإسلام** والتي تتمثل في التزام أبنائه به وتطبيقه في واقع حياتهم؛ ولذلك أثره في إظهار الصورة المشرقة للإسلام وأهله لدى غير المسلمين مما يساعد على انتشار دين الإسلام، الذي كلف أتباعه بنشره للعالم ولا تخفى تلك الجهود التي بذلها المسلمون السابقون في نشر الإسلام عن طريق تطبيق تعاليمه في أنفسهم وفي تعاملاتهم مع غير المسلمين فكان ذلك سببا لدخول شعوب بأكملها في دين الإسلام نتيجة الصورة المشرقة التي حملها هؤلاء[1].

---

(١) من الدول التي وصلها الإسلام عن طريق الصورة المشرقة التي حملها التجار المسلمون عن الإسلام (الصومال ١٠٠٪، الساحل الكيني ٧٠٪، زنجبار وجزر القمر ١٠٠٪، موزنبيق ٥٠٪، وعم الإسلام إندونيسيا وماليزيا، وجنوبي الفلبين، ووصل سيرلانكا، وبورما. وفطاني ومالاوي. انظر: التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر - الأقليات الإسلامية) محمود شاكر ،طبع المكتب الإسلامي الأولى ١٤٠٨هـ، ج٢٢ ص(١٤، ١٥، ٤٨، ٥٣، ٥٧، ١٤٧، ٢٥٧).

الخاتمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك[1] والذي كانت سيرته ﷺ انموذجاً حيًّا صالحاً لكل عصر ومصر، في علاج قضايا الأمة، ولا شك أن أعظم القضايا المؤرقة في هذا العصر هي قضية الشباب وتعرضهم لحملات مسعورة من الفتن،تهدف إلى زعزعتهم وتزهيدهم في دينهم، وجعلهم معاول هدم لمجتمعاتهم، مما يتطلب قيام المسؤولين بواجبهم في الذود عن أخطر سلاح يمكن أن يستخدم في تفتيت الأمة وإبعادها عن دينها، ولا شك أن الله عظم المسؤولية على أهل العلم والدعوة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[2]، فهذا الميثاق أخذه الله تعالى، على كل من علمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه، مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك ويبخل عليهم، خصوصاً إذا سألوه أو وقع ما يُوجب ذلك [3].

---

(١) قال رسول الله ﷺ: "قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك" أخرجه ابن ماجه محمد بن يزيد في المقدمة باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين رقم الحديث (٤٣) ج١ ص١٦، طبع دار الدعوة - دار سحنون الثانية ١٤١٣هـ، والحديث صححه الألباني. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني، رقم الحديث (٩٣٧)، ج٢، ص٦١٠، طبع مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥هـ.

(٢) سورة آل عمران، جزء من آية: ١٨٧.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١، ص٤١٢؛ تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لابن سعدي، ج١، ص ٤٧٠.

وفي هذا البحث بيان لأهمية مرحلة الشباب وخطورة إهمالها وكذلك الفتن المحدقة بهم، والمسؤولية الدعوية المناطة بأهل العلم والدعوة لحماية الشباب من الفتن.

هذا وقد خرجت من هذا البحث بتوفيق الله إلى عدد من النتائج أجملها بما يلي:

- أن مرحلة الشباب يعبر عنها معناها اللغوي من الفتاء والحداثة والحماسة وسرعة التأثر بالأحداث.
- اهتمام الإسلام بالشباب لأنهم الأسرع استجابة والأكثر تأثراً كما دل على ذلك الكتاب والسنة.
- أن الفتن معناها الابتلاء والاختبار، وأن الفتن من أعظم المؤثرات على دين المرء ودنياه.
- أن فتنة الشبهات هي الأخطر على دين المرء، فكل فتنة لها علاقة بالدين، كالكفر والشرك أو البدع أو الدعوة إلى فرقة والخروج عن جماعة المسلمين هي من فتن الشبهات.
- أن الشبهات أنواع منها:

(أ) شبهات تؤثر في أصل العقائد، وتصبح مذاهب يدعو إليها أصحابها.

(ب) شبهات عامة تؤدي إلى فرقة المسلمين كالخروج على العلماء والخروج على ولاة الأمور، وعن مقتضى السمع والطاعة.

- من أسباب الوقوع في فتنة الشبهات ضعف البصيرة، وقلة العلم ويزداد الأمر سوءاً إذا اقترن بسوء القصد وحصول الهوى.

- فتنة الشهوات المقصود بها أن يأتي الإنسان مما يشتهيه ويحبه مما حرم الله عز وجل كفتنة المال، والنساء...
- ورد التحذير من اقتحام الشهوات وعبر عن ذلك النبي ﷺ بقوله: **"حفت النار بالشهوات"** فمن للتحذير من هتك الحجاب الذي هو الشهوات.
- من أسباب الوقوع في فتنة الشهوات ضعف الإيمان، وضعف النفس، وعدم التحلي بالصبر،واستغلال أعداء الإسلام ميل الشباب الفطري للشهوات لغرس الأخلاق الفاسدة فيهم لإفساد الشعوب المسلمة إفساداً سلوكياً ليكون وسيلة للتحول الفكري.
- على علماء الأمة ودعائها مسؤولية عظمى في التصدي للحملات المسعورة ضد شباب الأمة وإغراقهم في الفتن.

فالمشكلة لخطورتها تتطلب عملاً مؤسسياً جماعياً، ذو تخطيط استراتيجي، وتسخر له الإمكانات المادية والبشرية اللازمة لتنفيذه.

- هناك أساليب مؤثرة تستخدم لجذب الشباب والتأثير فيهم.
- للدعوة لحماية الشباب من الفتن آثار خاصة على الفرد بحفظ دينه،ونفسه،وماله، وعرضه. وآثار على الأسرة بحمايتها من التفكك والضياع.
- للدعوة لحماية الشباب من الفتن آثار عامة على المجتمع منها:

١- تقوية الجبهة الداخلية للمجتمع،وحمايته من اختراق الأعداء.

٢- الحفاظ على فضيلة المجتمع.

٣- الحفاظ على مصالح الأمة العظمى.

٤- إظهار الصورة المشرقة للإسلام،المتمثلة بالتزام أبنائه به وتطبيقه في واقع حياتهم.

وختاما أذكر هنا عددا من التوصيات ومنها:

- يجب على العلماء والدعاة توثيق العلاقة مع ولاة الأمور والاتصال بهم لشرح قضايا الأمة، ومشاكلها، للاستعانة بهم وبقدراتهم في إيجاد الحلول الناجحة لهذه المشاكل كما ثبت عن عثمان بن عفان ﷺ قوله: (إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) [١].
- اجتماع الأمة على كلمة سواء ونبذ الفرقة والاختلاف، فإن من أسباب ما تعيشه الأمة اليوم تفرق الناس شيعاً، وأحزاباً متناقضة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو يبين حال الناس في عصره الذي يكاد يكون مماثلاً لعصرنا هذا: (وهذا التفريق الذي حصل بين الأمة علمائها ومشايخها، وأمرائها، وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها) [٢].

- البعد عن المسلك الفردي في العمل والإصلاح والتأثير، لأن الجهد الفردي مهما بلغت قدرات صاحبه، لا يمكن أن يوازي جهده حينما يكون مضموماً إليه جهود وخبرات الآخرين.

---

(١) أخرجه ابن شبه النميري في أخبار المدينة النبوية. انظر: (أخبار المدينة النبوية. عمر بن شبه النميري البصري، ج٣ ص٢٠٤، طبع دار العليان.

وحكم الشيخ عبدالعزيز بن باز على الأثر بقوله (ثابت). انظر: مجموع فتاوى ومقالات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله جمع وترتيب د/ محمد سعد الشويعر، ج٥، ص ٦٦.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ج٣، ص٤٢١.

- الاعتماد على العمل المؤسسي المنظم ذو الأهداف الشمولية، والاستعانة بطاقات الشباب لاحتوائهم ولجعلهم هم الأداة المنفذة لمحاربة الفكر الضال.
- ضرورة الإفادة من خطط المركز الوطني لأبحاث الشباب بجامعة الملك سعود والذي أنشئ بتاريخ ١٤٢٨/١/٢٦هـ.

والذي يهدف الى خدمة الشباب من خلال المساهمة الفاعلة في الأبحاث المتعلقة بهم، وتقديم الاستشارات العلمية والبحثية، والعمل على الرقي بمستوى الشباب للمشاركة بفعالية في مجالات التنمية المختلفة[1].

وأخيرا/ اقترح أن تتولى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بحكم دورها الريادي في الأمة عبء الاعتناء بالعمل المؤسسي لحماية الشباب من الفتن، نظراً لأهلية كثير من العاملين فيها علمياً؛ فالجامعة خرجت وما زالت تخرج ذوي الأدوار الريادية من العلماء، والدعاة، ممن يتولى زمام المبادرة، ومن ثم الاستعانة بالجهات الأخرى ذات العلاقة لتنفيذ مثل هذه المهمة الكبيرة.

---

(١) انظر رسالة الجامعة الاثنين مارس ٢٠١٤م، وانظر الموقع الالكتروني للمركز (المركز الوطني لأبحاث الشباب National center for studies.

المراجع

- القرآن الكريم
- أخبار المدينة النوبية – عمر بن شبه النميري البصري تحقيق عبدالله بن محمد الدويش. طبع دار العليان.
- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية. تحقيق محمد عفيفي. طبع المكتب الإسلامي – الثانية ١٤٠٩هـ.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لشيخ الإسلام بن تيمية. طبع دار العلوم الإسلامية – القاهرة – دار البخاري – المدينة المنورة ١٤٠٩هـ.
- البحث العلمي. د/ عبدالعزيز الربيعة – طبع مكتبة العبيكان الخامسة – ١٤٣١هـ.
- بلوغ الأماني أسرار الفتح الرباني. ترتيب أحمد عبدالرحمن البنا المطبوع بهامش الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني – طبع دار الشهاب – القاهرة – بدون تاريخ.
- التاريخ الإسلامي – محمود شاكر. طبع المكتب الإسلامي. الثالثة ١٤١١هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير. طبع مكتبة العلوم والحكم. المدينة المنورة ١٤١٣هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان عبدالرحمن السعدي تحقيق محمد زهري النجار. طبع مكتبة الخلفاء – الرياض – الأولى ١٤٠٨هـ.

- حراسة الفضيلة د/ بكر عبدالله أبو زيد طبع دار العاصمة الرياض - الأولى - ١٤٢١هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني طبع مكتبة المعارف - الرياض ١٤١٥هـ.
- سنن أبي داود - أبي داود سليمان بن الأشعث. طبع دار الدعوة. دار سحنون. الثانية ١٤١٣هـ.
- سنن الترمذي. محمد بن عيسى بن سورة. طبع دار الدعوة دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
- سير أعلام النبلاء محمد بن أحمد الذهبي - طبع مؤسسة الرسالة - الخامسة ١٤١٣هـ.
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية د/ مهدي رزق الله. طبع مركز الملك فيصل للبحوث الأولى - الأولى - ١٤١٢هـ.
- شرح النووي على صحيح مسلم - النووي - تحقيق عصام الضبابطي - حازم محمد - عماد عامر - طبع دار أبي حيان - الأولى ١٤١٥هـ.
- صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري. طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته -محمد ناصر الدين الألباني -طبع المكتب الإسلامي -الثالثة -١٤٠٨ هـ
- صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج - الأولى - ١٤٠٩هـ.

- صحيح سنن الترمذي - محمد ناصر الدين الألباني - طبع مكتب التربية العربي لدول الخليج. الأولى ١٤٠٨هـ.
- صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج. تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي طبع دار الدعوة - دار سحنون - الثانية ١٤١٣هـ.
- عون المعبود على سنن أبي داود - محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي. طبع بيت الأفكار الدولية. بدون ذكر رقم الطبعة وتاريخ الطبع.
- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام - عبدالرحمن بن حسن حنبكة الميداني - من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد بجامعة الإمام ١٣٩٦هـ طبع جامعة الإمام ١٤٠٤هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. طبع دار الريان للتراث - القاهرة - الثانية ١٤٠٩هـ.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي. طبع مؤسسة الرسالة - بيروت - الثانية ١٤٠٧هـ.
- قواعد أساسية في البحث العلمي - د/ سعيد بن إسماعيل صيني. طبع مؤسسة الرسالة - الأولى ١٤١٥هـ.
- لسان العرب لابن منظور الأفريقي طبع دار صادر بيروت. الأولى ١٩٩٧م.
- لمحة عن الفرق الضالة - صالح بن فوزان الفوزان. علق عليها وخرج أحاديثها شبيب الراجحي - طبع دار السلف - الثانية ١٤١٨هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - أبو بكر الهيثمي. طبع دار الريان للتراث - القاهرة - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٧هـ.

- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن قاسم - لم يذكر الناشر وتاريخ النشر.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز. جمع د/ محمد بن سعد الشويعر. طبع دار المؤيد. الأولى ١٤٢١هـ.
- المسند للإمام أحمد بن حنبل. طبع دار الدعوة - دار سحنون الثانية، ١٤١٣هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. ابن القيم الجوزية - تحقيق سيد إبراهيم - علي محمد. طبع دار الحديث - الأولى ١٤١٤هـ.
- منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق د/ محمد رشاد سالم - طبع جامعة الإمام ١٤١١هـ.
- المنهاج النبوي في دعوة الشباب - أ. د/ سليمان بن قاسم العيد. طبع دار العاصمة - الرياض ١٤١٥هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير تحقيق طاهر الزاوي. محمود الطناجي. طبع دار الفكر بدون تاريخ.
- المواقع الإلكترونية والصحف:
- صحيفة الاقتصادية الإلكترونية.
- صحيفة رسالة الجامعة الإلكترونية.
- فتنة الشبهات أ. د/ ناصر بن عبدالكريم العقل موقع إسلام ويب .Islamweb. nt
- الألوكة - المواقع الشخصية موقع أ. د/ سليمان بن قاسم العيد. مكانة الشباب في الإسلام. أ. د/ سليمان بن قاسم العيد. ١٤٢٨/١١/١٧هـ.

موقع المركز الوطني لأبحاث الشباب (شباب).

البحث رقم (٥)

ضوابط الإنكار القلبي وثمراته

إعداد

د. خالد بن راشد العبدان

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الشعائر العظيمة، ومن أسباب خيرية هذه الأمة، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1].

ومن محاسن الشرع الحنيف أنه جعل إنكار المنكر مراتب، وعلق ذلك بالاستطاعة؛ كما في الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[2]، فإذا عجز المسلم عن إنكار المنكر بيده ولسانه لعدم استطاعته وقدرته فهو معذور في ترك ذلك الإنكار، ولينتقل إلى المرتبة الثالثة وهي الإنكار بالقلب[3].

والإنكار القلبي له مفهومه وضوابطه التي لا بد من تحققها ليكون إنكاراً شرعياً يتحقق به الهدف المشروع، وتحصل به الثمرات المرجوة ببراءة الذمة، وتحقيق أدنى مراتب إنكار المنكر.

وهذا البحث يسعى لبيان هذه المسائل وتجليتها والوقوف على الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وما سطره سلف الأمة رضي الله عنهم ورحمهم في بيان الضوابط الشرعية للإنكار القلبي.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم ٤٩، ١/٦٩.

(٣) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية، ١٦/١٤٠، ١٤١.

الدراسات السابقة:

هذا الموضوع الشرعي المهم والجدير بالدراسة تناولته بعض الدراسات والأبحاث العلمية، ولكن لا توجد سوى رسالة علمية واحدة أفردته بالبحث وهي بعنوان: الإنكار بالقلب دراسة تأصيلية[1]، وقد قسم الباحث رسالته إلى فصل تمهيدي وثلاثة فصول رئيسة، وتناول في بحثه مراتب الاحتساب ومنزلة الإنكار القلبي منها، ومفهوم الإنكار بالقلب وأحكامه ودرجاته، كما تحدث عن حدود الإنكار بالقلب وآدابه وآثاره، وجعل الفصل الأخير للحديث عن معوقات الإنكار بالقلب في تغيير المنكر وسبل معالجتها.

وقد خلص الباحث إلى عدد من النتائج من أهمها: أن الإنكار القلبي أول مراتب الإنكار، وأنه مما أجمع العلماء على وجوبه على المسلمين جميعاً.

وحيث إن هذه هي الدراسة العلمية الوحيدة في بابها التي اختصت بالحديث عن الإنكار القلبي، ولأهمية الموضوع والحاجة إلى التأكيد عليه، وإشباعه بدراسات وبحوث علمية؛ فقد رأيت من المناسب تعزيز الدراسة السابقة والتأكيد على أهمية هذا المجال الذي يستحق دراسات علمية عدة، فبينت ضوابط الإنكار القلبي بشكل أحسب أنه دقيق مع الاستدلال والإيضاح، وأضفت ثمرات للإنكار القلبي ربما يكون الباحث لم يشر إليها أو يفصل فيها. على أنني حرصت على أن أبحث الموضوع استقلالاً دون أن أتأثر بالدراسة السابقة؛ للأمانة العلمية، وحتى لا أعتمد على تلك

(١) رسالة ماجستير غير مطبوعة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الدعوة الإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، وهي من إعداد: راشد بن مبارك بن سفر الدوسري، في العام الجامعي ١٤٣٣/١٤٣٤هـ .

الدراسة، ورغبة في التجديد في المادة العلمية والمراجع، وطمعاً في الوصول إلى ما لم يصل إليه الباحث وفقه الله، وأرجو أن أكون قد وفقت لذلك، وأن يجد القارئ فرقاً بين البحثين، وفوائد مستقلة في كليهما، مع دعائي لنفسي وللباحث بالتوفيق والسداد.

كما لا يفوتني أن أشير في هذا المقام إلى بعض الكتب التي تناولت الإنكار القلبي ضمن جملة من الموضوعات وفي عدد محدود من الصفحات، ومما وقفت عليه في ذلك:

١- كتاب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أصوله وضوابطه وآدابه، للدكتور خالد بن عثمان السبت.

٢- كتاب: درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للدكتور عبدالعزيز بن أحمد المسعود.

وقد قسمت الدراسة وفق العناصر التالية:

المقدمة.

المبحث التمهيدي: مراتب إنكار المنكر.

المبحث الأول: مفهوم الإنكار القلبي ومنزلته.

المبحث الثاني: ضوابط الإنكار القلبي.

المبحث الثالث: ثمرات الإنكار القلبي.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

والله أسأل التوفيق والسداد

المبحث التمهيدي

مراتب إنكار المنكر

الله جل وعلا أوجب على عباده أداء ما افترض عليهم، وأمرهم به، فأمر المؤمنين بطاعته، ونهاهم عن معصيته، كما أمر المؤمنين أيضاً بطاعة رسوله ﷺ ونهاهم عن مخالفة أمره، وقد وردت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة تدل على ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[2] وجاء في السنة قوله ﷺ: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم"[3] وهذه الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ هي التقوى التي جاء الحض عليها والأمر بها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[4].

وحيث إن الناس ليسوا على درجة واحدة في التقوى والاستقامة على الدين، قياماً بالأوامر واجتناباً للنواهي؛ فقد شرع الله تعالى الأمر

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٠ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم ٧٢٨٨، ٨/١٨٠، ومسلم في كتاب الفضائل،باب توقيره ﷺ، وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف، وما لا يقع، ونحو ذلك رقم ١٣٣٧، ٤/١٨٣٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢ .

بالمعروف والنهي عن المنكر ليستقيم الناس على طاعة الله تعالى ويجتنبوا ما نهوا عنه، ولأجل ألا يكثر المنكر ويظهر في الناس فيصير أمراً مألوفاً.

وبما أن الناس أيضاً متفاوتون في القدرة على إنكار المنكر، فقد شرعت مراتب الحسبة والإنكار، وجعلت متدرجة من الأعلى إلى الأدنى كل حسب قدرته واستطاعته، ولا يخرج أحد عن هذه المراتب ما دام مؤمناً.

وهذه المراتب هي التي ورد بها الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[1].

وقد أورد النووي ﷺ في هذا المقام كلاماً جيداً للقاضي عياض ﷺ حيث قال: " هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولا كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل، ويريق المسكر بنفسه، أو يأمر من يفعله ويترع الغصوب ويردها إلى أصحابها بنفسه أو بأمره إذا أمكنه ويرفق في التغيير جهده بالجاهل، وبذي العزة الظالم المخوف شره، إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى ويغلظ على المتمادي في غيه والمسرف في بطالته إذا أمن أن يورث إغلاظه منكراً أشد مما غيره لكون جانبه محمياً عن سطوة الظالم، فإن غلب على ظنه أن تغييره

(١) سبق تخريجه.

بيده يسبب منكراً أشد منه من قتله أو قتل غيره بسبب كف يده، واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك، غير بقلبه، وكان في سعة، وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله تعالى وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره أو يقتصر على تغييره بقلبه هذا هو فقه المسألة وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين خلافاً لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال وإن قتل ونيل منه كل أذى "[1]. كما تناول بعض شراح الحديث هذه المسألة بقوله: "تغيير المنكر باليد للولاة ومن قاربهم، وبالقول للعلماء العاملين، وتغييره بالقلب لأرباب القلوب (وذلك) أي: الإنكار بالقلب للعجز عنه بغيره (أضعف الإيمان) أي: أقله ثمرة. وفي رواية «وهو أضعف الإيمان» وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، ومنه يستفاد أن عدم إنكار القلب للمنكر دليل على ذهاب الإيمان منه، ومن ثم قال ابن مسعود ﷺ: هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر: أي: لأن ذلك فرض كفاية لا يسقط عن أحد بحال. والرضا به من أقبح المحرمات وإن كان ذلك أقل ثمرة"[2].

وهذا الحديث وأحاديث أخرى مشابهة تدل على وجوب الإنكار بالقلب بحسب القدرة عليه، وأن الإنكار بالقلب أمر لابد منه، فمن لم ينكر المنكر بقلبه فذلك دليل على ذهاب الإيمان من قلبه[3].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٣٢، ٣٣.

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين – محمد بن علان الصديقي، ١/٤٦٦.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم – ابن رجب، ٢/٢٤٥، و: التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثاً النووية – الشيخ إسماعيل الأنصاري، ص٩٤.

غير أن الإمام النووي رحمه الله قد بينَّ في شرحه للحديث أن المقصود بأضعف الإيمان أقله ثمرة[1].

وأعرض - بإيجاز- مراتب الإنكار مبيناً مرتبة الإنكار القلبي منها، حيث إن مراتب الإنكار ثلاث وفق المطالب التالية:

المطلب الأول: الإنكار باليد:

وهذه أعلى المراتب وأجلها وهي في حق من قدر على الإنكار بيده، وقويِّ الإيمان إذا بدا له منكر ظاهر يستطيع تغييره، فإنَّه يدفعه بهمّة عالية لأقوى درجات الإنكار، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فأعلى درجات الإنكار التغيير باليد.

والنبي ﷺ جاء عنه ما يدل على مشروعية تغيير المنكر باليد، ومن أظهر الأدلة على ذلك إنكاره على الرجل الذي لبس خاتماً من ذهب، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل، فنزعه فطرحه وقال: "يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده" فقيل للرجل، بعدما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به. قال: لا. والله لا آخذه أبداً، وقد طرحه رسول الله ﷺ[2].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وحول البيت ستون وثلاث مائة نصب[3] فجعل يطعنها بعود في يده،

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٣٢.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم خاتم الذهب على الرجال، ونسخ ما كان من إباحته في أول الإسلام، رقم ٢٠٩٠، ٣/١٦٥٥.

(٣) النصب بضم الصاد وسكونها: حجر كانوا ينصبونه في الجاهلية، ويتخذونه صنماً فيعبدونه، والجمع أنصاب. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، مادة (نصب) ٥/٦٠.

ويقول: "جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد"[1].

وعن عبدالله بن عمر ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المِرْبد[2] فخرجت معه، فكنت عن يمينه، وأقبل أبو بكر، فتأخرت له، فكان عن يمينه وكنت عن يساره، ثم أقبل عمر ﷺ، فتنحيت له، فكان عن يساره، فأتى رسول الله ﷺ المربد، فإذا بأزقاق[3] على المربد فيها خمر، قال ابن عمر ﷺ فدعاني رسول الله ﷺ بالمُدية[4]، قال: وما عرفت المدية إلاَّ يومئذ، فأمر بالزقاق فشُقَّت، ثم قال: "لُعنت الخمرُ وشاربُها، وساقيها، وبائعها، ومبتاعُها، وحاملها، والمحمولة إليه، وعاصرُها، ومُعْتصِرُها، وآكل ثمنِها"[5].

وقد اقتدى به ﷺ خلفاؤه الراشدون ﷺ، فقد كان عمر ﷺ يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر[6]. وفي هذا الفعل من عمر ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، رقم (٤٢٨٧)٥/١٠٩، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، رقم (١٧٨١) ٣/١٤٠٨.

(٢) المربد: الموضع الذي تحبس فيه الإبل والغنم، وبه سمي مربد المدينة والبصرة، وهو بكسر الميم وفتح الباء من ربد بالمكان إذا أقام فيه، وربده إذا حبسه، والمربد أيضاً: الموضع الذي يجعل فيه التمر لينشف كالبيدر والحنطة. النهاية، مادة (ربد) ٢/١٨٢.

(٣) جمع زق، وهو السقاء. مختار الصحاح للرازي، مادة (ز ق ق)، ٢٧٣.

(٤) المدية بضم الميم وسكون المهملة هي الشفرة والسكين، انظر: النهاية، مادة (مدا) ٤/٣١٠، والفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، للشيخ أحمد بن عبدالرحمن البنا، ١٧/١٣٥.

(٥) أخرجه أحمد في المسند رقم٥٣٩٠ وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم ٢٧٢٥، ٢/٢٤٣.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب، رقم ٨٣٦، ١/٥٧٣.

احتياط للرعية ومنع لهم من الوقوع في البدع والمنهيات الشرعية، كما أن فيه تعزيراً لهم عليها[1].

وفي حديث أبي الهياج الأسدي رحمه الله قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: أن لا تدع تمثالاً إلاّ طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلاّ سويته"[2].

ولقد ضرب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أروع مثل في سرعة الاستجابة لشرع الله عز وجل وتغيير المنكر باليد حينما حرَّم الله تعالى الخمر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبيَّ بن كعب من فضيخ[3] زهوٍ[4] وتمر فجاءهم آت فقال: إنَّ الخمر قد حُرِّمت، فقال أبو طلحة: قم يا أنس فأهْرِقها فأهْرقتُها[5].

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه إشهار سلاح أو سيف يجوز للآحاد، بشرط الضرورة والاقتصار على قدر الحاجة، فإن احتاج إلى أعوان يشهرون السلاح فلا بد من إذن السلطان على الصحيح لئلا يؤدي إلى الفتن وهيجان الفساد

---

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٧١/٦، و: الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم د.فضل إلهي، ص٢٣.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، رقم ٩٦٩، ٦٦٦/٢.

(٣) الفضيخ: شراب يتخذ من البسر المفضوخ: أي المشدوخ. النهاية، مادة (فضخ) ٤٥٣/٣.

(٤) الزهو بفتح الزاي وسكون الهاء بعدها واو: وهو البسر الذي يحمر أو يصفر قبل أن يترطب. فتح الباري – ابن حجر، ٤٧/١٠.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الأشربة، باب نزل تحريم الخمر وهي من البسر والتمر، رقم ٥٥٨٢ صحيح البخاري ٣٠١/٦.

والمحن"[1]. ولأنَّ شهر السلاح بين الناس قد يكون مخرجاً إلى الفتنة، وآيلاً إلى فساد أكثر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الثاني: الإنكار باللسان.

اللسان أداة نقل الكلام الذي يدور في عقل الإنسان، وهو من أعظم نعم الله تعالى عليه، ومن تمام شكر هذه النعمة استخدامه في طاعة الله، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولإيصال الكلام للمستمعين طريقتان: إما مشافهة باللسان، وإما مكاتبة بالقرطاس والقلم، وكلتا هاتين الوسيلتين تنضويان تحت الدرجة الثانية من درجات الاحتساب. التي أصّلها حديث أبي سعيد ﷺ والذي جاء فيه: "فإن لم يستطع فبلسانه...".

فبيَّن هذا الحديث أنَّ من لم يستطع تغيير المنكر بيده لضعفه وعدم قدرته، أو خشيته أن يترتب على تغييره باليد مفسدة أشد فليغيره بلسانه، بالأمر والنهي ويكون بلين ورفق ما لم تَدْعُ الحاجة إلى الشدة ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب[2].

ويجب أن يكون المنكِر بلسانه رفيقاً في إنكاره يداري ولا يغلظ، ولا يعنف وكان أصحاب ابن مسعود ﷺ إذا مروا بقوم ورأوا منهم ما يكرهون قالوا لهم: مهلاً رحمكم الله، ويكون أمره بالرفق والخضوع، فإن

(١) الآداب الشرعية لا بن مفلح، ١/١٩٦، وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني، ١/٢٢٩.

(٢) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٣٣.

سمع منهم ما يكرهه، لم يغضب حتى لا يكون منتصراً لنفسه، كما روي ذلك عن الإمام أحمد رحمه الله [1].

ويقاس على ذلك تغيير المنكر بالكتابة، كالكتابة في الصحف، وتأليف الكتب التي تبين المنكر فهذا يعد إنكاراً باللسان [2].

وقد جاء في السنة النبوية ما يدل على شرعية الإنكار باللسان، ومما ورد عنه ﷺ في ذلك ما ورد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: "إني سابيت رجلاً فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ "يا أبا ذر أعيته بأمه؟، إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم [3]، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم" [4]. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "واستدل أيضاً بقوله صلى ﷺ لأبي ذر: "فيك جاهلية" أي خصلة جاهلية، مع أن مترلة أبي ذر من الإيمان في الذروة العالية، وإنما وبخه بذلك على عظيم مترلته عنده، تحذيراً له عن معاودة مثل ذلك؛ لأنه وإن كان معذوراً بوجه من وجوه العذر، لكن وقوع ذلك من مثله يستعظم أكثر ممن هو دونه" [5].

---

(١)انظر: جامع العلوم والحكم – ابن رجب ٢/٢٥٦.

(٢) انظر: شرح الأربعين النووية للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ٣٦٣.

(٣) الخول: حشم الرجل، وأتباعه واحدهم خائل. النهاية، مادة (خول)، ٢/٨٨.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم ٣٠، ١/١٥، ١٦.

(٥) فتح الباري ١/١١٦.

وقبل الانتقال إلى مرتبة الإنكار بالقلب يجدر التنبيه إلى أن الإنكار باليد واللسان "محكوم بالقدرة عليه، مع مراعاة قاعدة المصالح والمفاسد، وترجيح خير الخيرين بفعل أعلاهما، ودفع شر الشرين بالتزام أدناهما، وهذا في الحوادث الواقعة المعينة"[1]. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيِّناً ذلك: "فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد، بحيث تعرف ما مراتب المعروف، ومراتب المنكر، حتى تقدم أهمها عند الازدحام، فإن هذه حقيقة العلم بما جاءت به الرسل"[2].

المطلب الثالث: الإنكار بالقلب.

الحديث الشريف يدل على أنَّه إن لم يستطع الإنكار بلسانه لوجود مانع، كخوف فتنة أو خوف على نفس أو عضو أو مال محترم أو شهر سلاح، فبقلبه ينكره وجوباً، بأن يكرهه، ويعزم أنَّه لو قدر بقول أو فِعْلٍ فعل، وهذا واجب عينيٌّ على كل أحد بخلاف الذي قبله، فأفاد الخبر وجوب تغيير المنكر بكل طريق ممكن فلا يكفي الوعظ لمن يمكنه إزالته بيده، ولا القلب لمن يمكنه باللسان، والإنكار بالقلب وهو الكراهية أضعف أعمال الإيمان المتعلقة بإنكار المنكر[3].

---

(١) قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية دراسة فقهية – عابد بن عبدالله الثبيتي، ص٢٨٠.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٦١٨/٢.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم – ابن رجب ٢٤٥/٢.

وفي توضيح معنى قول ﷺ: "وليس وراء ذلك مثقال حبة خردل من إيمان"[1] يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فإن مراده أنَّه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان، ليس مراده أنَّ من لم ينكر ذلك، لم يكن معه من الإيمان حبة خردل، ولهذا قال: "ليس وراء ذلك"، فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، وكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه، لكن الأول لما كان أقدرهم، كان الذي يجب عليه أكمل مما يجب على الثاني، وكان ما يجب على الثاني أكمل مما يجب على الآخر، وعلم بذلك أنَّ الناس يتفاضلون في الإيمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب إليهم كلهم"[2].

ومما ينبغي إيضاحه هنا وهو ما قد يشكل على بعض الناس فهمه في هذه المسألة أن ليس المقصود بكون الإنكار باليد هو أعلى المراتب أن يبدأ به على الإطلاق، وإنما المقصود أنه أعلى منازل الإنكار وأعظمها، أما البدء في الإنكار فإنه يكون بالتعريف وبيان المنكر قبل تغييره باليد، فإن الواجب إظهار الإسلام والدعوة إليه بالعلم والبيان، قبل إظهاره باليد والقتال[3]، كما أنه يجب على المحتسب أولاً أن يذم المنكرات، ويبين ما

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم ٥٠، ١/٦٩، ٧٠.

(٢) مجموع الفتاوى، ٧/٤٢٨.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق وتعليق: د. علي بن حسن بن ناصر، و د. عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر، و د. حمدان بن ناصر الحمدان، ١/٢٣٩.

فيها من الفساد والضرر، قبل الإنكار باليد ومعاقبة فاعلها. وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأول ذلك - أي إنكار المنكر - أن تذكر الأقوال والأفعال على وجه الذم لها والنهي عنها وبيان ما فيها من الفساد، فإن الإنكار بالقلب واللسان قبل الإنكار باليد، وهذه طريقة القرآن فيما يذكره تعالى عن الكفار والفساق والعصاة من أقوالهم وأفعالهم"[1].

وأختم هذه الفقرة بالإشارة إلى أن الإنكار بجميع المراتب مرتبط بالعلم بالمنكر وبقبحه وبغضه لله، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وذلك - أي ذكر الأقوال والأفعال على وجه الذم لها والنهي عنها وبيان ما فيها من الفساد - مسبوق بالعلم بقبح ذلك وبغضه لله، وهذا العلم والقصد والبغض هو الإيمان الذي يثاب عليه، وهو أدنى الإيمان... وتغيير القلب يكون بالبغض لذلك وكراهته، وذلك لا يكون إلا بعد العلم به وبقبحه، ثم بعد ذلك يكون الإنكار باللسان، ثم باليد"[2].

وتفصيل الحديث عن الإنكار القلبي مبسوط في مباحث هذه الدراسة من جهة المفهوم، والضوابط، والثمرات، وما يتبعها من المسائل والقواعد.

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/٣٣٨، وانظر: قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٨٢.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/٣٣٩، وانظر: قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٨١.

المبحث الأول

مفهوم الإنكار القلبي ومنزلته

المطلب الأول: معنى الإنكار والمنكر:

الإنكار لغة: ضد العرفان. يقال: أنكرت كذا، ونكرت، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوره، وذلك ضرب من الجهل. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ ﴾[1]. والمُنْكَرُ اصطلاحاً: كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول، فتحكم بقبحه الشريعة، والإِنْكارُ: تغيير المنكر[2]، كما أن "المنكر هو الفعل المنكر، وهو الذي تستنكره العقول والفطر"[3].

المطلب الثاني: معنى الإنكار القلبي:

إذا أطلق الإنكار القلبي فإنه يعني كراهية الفعل بالقلب[4]، واستقباحه، وعدم الرضا به، وإن لم يحصل تغيير له، وهذا يعني أن الإنكار القلبي مقتصر على فعل القلب وعزمه ولا يتعداه إلى اللسان أو اليد، لكن ذلك لا يعني السلبية والرضا بالمنكر، وإنما يعني الرغبة في الإنكار وأنه لو قدر على التغيير لغيره[5]، ويعلم الله من قلبه أنه كاره لذلك المنكر[6]، وأنه

---

(١) سورة هود، الآية: ٧٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن- الراغب الأصفهاني، ص٥٠٥، وبصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز- أبو طاهر الفيروز آبادي، ٢/١٢٠، ١٢١.

(٣) مدارج السالكين — ابن القيم، ١/٣٧٧.

(٤) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ٢/٣٢.

(٥) انظر: غذاء الألباب، ص ٢٢٦.

(٦) انظر: جامع العلوم والحكم — ابن رجب ٢/٢٤٥.

إنما لم يغير بيده ولسانه لكونه عاجزاً عن ذلك، أما من يرضى المنكر بقلبه، ويدعي عدم القدرة فلا يسمى منكراً بقلبه وإن ادعى ذلك.

المطلب الثالث: منزلة الإنكار القلبي:

ما سبق يبين لنا عظيم منزلة القلب وعلو شأنه في الإسلام، وأن المعول عليه، وأن صلاحه سبب في صلاح الجوارح، ودليل على إيمان صاحبه، كما جاء في الحديث الصحيح: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[(١)].

وقد بين النبي ﷺ منزلة الإنكار القلبي من بين مراتب الإنكار، فقد صح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[(٢)]. فالإنكار فرض باليد واللسان من فروض الكفايات، إذا قام به طائفة سقط عن الباقين من الناس، وإن تركوه كلهم أثموا، كما أنه بحسب الطاقة[(٣)]، وأما القلب فلا يسقط عن المنكِر بحال؛ إذ لا ضرر في فعله[(٤)]، ومن لم يفعله فليس بمؤمن[(٥)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فمن لم يستحسن الحسن المأمور به، ولم يستقبح

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه وعرضه، رقم (٥٢) ١/٢٢، ٢٣.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم — ابن رجب ٢/٢٤٥.

(٤) انظر: قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٨٠.

(٥) انظر: الاستقامة — ابن تيمية، ٢/٢١٢.

السيئ المنهي عنه لم يكن معه من الإيمان شيء"[1] كما قال النبي ﷺ "وذلك أضعف الإيمان"، وقال: " وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"، وبيَّن ابن النحاس رحمه الله هذه المسألة بقوله: "وأما الإنكار بالقلب وهو كراهة تلك المعصية وبغضها، فلا يسقط عن مكلف بوجه من الوجوه؛ إذ لا عذر يمنع منه. قال ابن مسعود رضي الله عنه: بحسب امرئ إذا رأى منكراً لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله تعالى من قلبه أنه كاره له"[2]، والإنكار بالقلب لا يسقط عن المكلف، لأنه كراهة المعصية، وهذا في حق كل مكلف، فإذا لم يتمكن من الإنكار بلسانه لكن يمكنه التعبيس والنظر إلى صاحب المنكر شزراً[3] ليشعره بإنكار ما هو عليه وجب عليه ذلك، وإلا أنكر بقلبه وفارق صاحب المعصية[4].

ويجب أن يعلم المسلم أن الإنكار بالقلب لا يلجأ إليه إلا إذا لم يتيسر القيام بالمرتبتين السابقتين، أما مع إمكان الإنكار باليد أو اللسان فلا يجوز العدول إلى الأدنى حتى يستوفي الأعلى[5].

قال المرداوي رحمه الله مبيناً منزلة الإنكار القلبي من بين مراتب الإنكار:

وأضعفه بالقلب ثم لسانه وأقواه إنكار الفتى الجلد باليد[6]

---

(١) مجموع الفتاوى، ٣٦٧/٨.

(٢) تنبيه الغافلين — ابن النحاس، ص ٣٠، ٣١.

(٣) هو نظرٌ فيه إعراض، أو نظر الغضبان بمؤخر العين. القاموس المحيط، مادة (شزر) ٥٣٢.

(٤) انظر: الموسوعة الكويتية، ٢٥١/٦.

(٥) انظر: حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية للسفاريني، بقلم الشيخ عبدالرحمن بن قاسم، ص ٣٩، ٤٠.

(٦) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني ٢٢٥/١.

وتحدث ابن مفلح رحمه الله عن مراتب إنكار المنكر، وبيَّن أنه "فرض كفاية على من لم يتعيَّن عليه، وسواء في ذلك الإمام، والحاكم، والعالم، والجاهل، والعدل، والفاسق.. -إلى أن قال- وأعلاه باليد، ثم باللسان، ثم بالقلب، وفي الحديث الصحيح: ليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل"[1].

وعندما تناول ابن رجب رحمه الله الكلام على حديث أبي سعيد رضي الله عنه السابق: "من رأى منكم منكرًا " بعد أن ساق عدة أحاديث قال: "فدلت هذه الأحاديث كلها على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأما إنكاره بالقلب فلا بد منه، فما لم ينكر قلب المؤمن دلّ على ذهاب الإيمان من قلبه"[2]. وقال بعد ذلك مبيناً أن الإنكار بالقلب فرض على كل مسلم في كل حال، "وأما الإنكار باليد واللسان فبحسب القدرة"[3].

وليس الإنكار القلبي خاصاً بالرجال فقط بل يشمل النساء أيضاً لأنه من شعائر الدين ويستوي فيها الذكر والأنثى[4]، وقد تناول ابن القيم رحمه الله هذه المسألة بوضوح بقوله: "وعلى القادر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه ما ليس على العاجز عنهما. وتكلم يحيى بن معاذ الرازي يومًا في الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن

---

(١) الآداب الشرعية، ١/١٨٤، ١٨٥.

(٢) جامع العلوم والحكم ٢/٢٤٥.

(٣) المرجع السابق، ٢/٢٤٥.

(٤) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر - ابن حجر الهيتمي، ص١٧٠، و: المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة — د.أحمد أبابطين ١١٠- ١١٤.

المنكر، فقالت له امرأة: هذا واجب قد وضع عنا. فقال: هبي أنه قد وضع عنكن سلاح اليد واللسان، فلم يوضع عنكن سلاح القلب. فقالت: صدقت جزاك الله خيرًا"[1]، ومعلوم إن إنكار المرأة بقلبها على الرجال هو الغالب[2].

ومما يحسن إيراده في هذا المقام ما ذكره الحافظ ابن الجوزي رحمه الله في معرض بيانه لمراتب إنكار المنكر بقوله: "وحد الاستطاعة في الإنكار ألا يخاف المنكر سوطاً ولا عصاً، فحينئذ يجب عليه التغيير باليد، فإن خاف السوط في تغييره باليد ولم يخفه في النطق انتقل الوجوب إلى الإنكار باللسان، فإن خاف انتقل إلى الإنكار بالقلب، والإنكار بالقلب هو كراهية ذلك الفعل وتلك فريضة لازمة على كل حال. فإن قيل: فما وجه ضعف الإيمان ها هنا وما تعدى المنكر بالقلب الشرع؟ فالجواب من وجهين أحدهما: أن الإيمان إذا قوي في الباطن حرك الأعضاء بالعمل بمقتضاه فإذا ضعف اقتصر على العقيدة والباطن، والثاني أن الاقتصار على الإنكار بالقلب رخصة والإنكار باليد عزيمة والإيمان مشتمل على العزيمة والرخصة والرخص أضعف الأمرين فيه"[3].

فتبين من هذا العرض للنصوص الشرعية وأقوال الأئمة رحمهم الله وجوب التدرج في إنكار المنكر، وأنه لا يجوز العدول عن المرتبة الأعلى

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ٣/٤٢٨.

(٢) درجات تغيير المنكر – د. عبدالعزيز المسعود، ص٣٥

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ٢/١٧٣، ١٧٤.

إلا بعد العجز عنها، كما تبين لنا منزلة الإنكار القلبي، وأهمية القيام به، وأنه لا عذر لمؤمن في ترك الإنكار القلبي، وأنه لا يسقط عن المكلف بحال، إضافة إلى أن الخطاب بوجوبه يشمل الرجال والنساء على حد سواء.

المبحث الثاني

ضوابط الإنكار القلبي

الإنكار القلبي معلومة منزلته، وهو أمر شرعي جاء به الدين الحنيف، وهو أحد مراتب الاحتساب وإنكار المنكر، وكل قد يدعي أنه يقوم بهذا الواجب ويعمل به، ولكن ليس كل من ادعى ذلك قبلت دعواه؛ إذ لا يتحقق الإنكار بالقلب، ولا تبرأ ذمة صاحبه إلا إذا توفرت وتحققت فيه ضوابط، أسوقها وفق المطالب التالية:

المطلب الأول: كراهية المحتسب للمنكر وبغضه بغضاً كاملاً:

وهذا الضابط يبين صدق المحتسب والمنكِر، ولكراهية المنكر وبغضه علامات تدل عليه وتجعله إنكاراً شرعياً، وقد أشار العلماء رحمهم الله إلى شيء من هذه العلامات والأمارات.

ولا شك أن بغض المنكر يختلف بحسب حجمه وعظمه ونحو ذلك، فليست المنكرات والمحرمات على حد سواء فمنها ما هو كفر بالله سبحانه وتعالى، ومنها بدع مكفرة أو مفسقة، وهناك السبع الموبقات التي ورد فيها حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : "اجتنبوا السبع الموبقات، قيل يا رسول الله وما هن، قال:"الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف،

وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"[1]، والكبائر التي جاء ذكرها في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كثيرة، وقد أفرد لها بعض العلماء كتباً[2]، وهناك ذنوب تناولها بعض العلماء الذين كتبوا في علم الحسبة، ونصوا على كونها من صغائر الذنوب[3].

والمقصود أن على القائم بالاحتساب، ومن لا يتمكن من إنكار المنكر إلا بقلبه أن يراعي هذا الضابط، وأن يعلم الله تعالى منه بغضه الشديد لهذا المنكر وكراهيته التامة له ولأهله، وأنه يتمنى أن لم يقع، وهذا دليل إيمان ومحبة لله تعالى وإخلاص؛ لأن القلوب لا يطلع على ما بها إلا علام الغيوب، فبغض المنكر وكراهيته برهان على إيمان صاحبه وإخلاصه[4].

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على هذه المسألة بقوله: "وهذا يبين أن القلب إذا لم يكن فيه بغض ما يكرهه الله من المنكرات، كان عادماً للإيمان، والبغض والحب من أعمال القلوب"[5].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء، آية ١٠)، رقم ٢٧٦٦، ٣/٢٥٦، مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم ٨٩، ١/٩٢.

(٢) مثل: كتاب الكبائر للإمام الذهبي رحمه الله، وكتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي، وكتاب الكبائر للإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وغيرها.

(٣) مثل: كتاب تنبيه الغافلين لابن النحاس رحمه الله.

(٤) انظر: شرح الأربعين النووية للشيخ محمد بن عثيمين، ص ٣٦٣، ومحاضرات في العقيدة والدعوة للشيخ صالح الفوزان، ٢/٣٢٠، ودرجات تغيير المنكر – د.عبدالعزيز المسعود، ص٣٥.

(٥) مجموع الفتاوى، ٧/٥٥٧.

ولابن القيم رحمه الله كلام جميل يتعلق بمن يرون المنكرات ولا يبغضونها، ولا تحرك فيهم ساكناً، وبعضهم ممن يشار إليهم بالدين، إذ يقول رحمه الله في هؤلاء وأمثالهم: "وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟، وخيارهم المتحزن المتلمظ[1]، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه. وهؤلاء - مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم - قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل. وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله وغيره أثراً "أن الله سبحانه أوحى إلى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يا رب كيف وفيهم فلان العابد؟ فقال: به فابدأ؛ فإنه لم يتمعر وجهه فيَّ يوماً قط"" [2].

---

(١) تلمظ إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفتيه، مختار الصحاح، مادة (ل م ظ) ص٦٠٤.

(٢) إعلام الموقعين، ٤٢٨/٣، ٤٢٩ وانظر: المجموعة العلمية للشيخ بكر أبو زيد، ص٩٣، ولم أعثر — بعد البحث في كتب السنة وغيرها - على تخريج لهذا الأثر، كما أن من نقله من المؤلفين والباحثين — حسب اطلاعي- لم يخرجه أيضاً.

المطلب الثاني: العزم والتربص على إزالته باللسان أو باليد متى تيسر له ذلك:

وهذا الضابط يعني عدم وقوف المنكِر بالقلب عند حد الكراهية والبغض للمنكر فقط، وإنما يعني قدراً زائداً يؤكد صدق المحتسب وغيرته على دينه، ألا وهو عزمه على أنه متى ما قدر على تغييره بيده أو بلسانه فإنه سيفعل ذلك ولا يرضى بأضعف الإيمان، وهنا على من رأى المنكر أن يبيِّت النية في قلبه ويتربص لتغيير المنكر بالرتبة الأعلى فور قدرته على ذلك[1]، " فإذا كره المؤمن المنكر ونوى بقلبه أنه لو قدر على تغييره لغيره كان في قوة تغييره له، فإنه يجب على كل مؤمن إيجاب عين، كراهة ما كرهه مولاه، ومحبة ما يحبه ويرضاه"[2].

وتجدر الإشارة هنا إلى مسألة أراها مهمة، ألا وهي أن عدم الإنكار الظاهر من قبل بعض طلبة العلم أو الدعاة في مواقف لا يعني رضاهم بالمنكر، وإنما لأنه لم يتيسر لهم ذلك فيكتفي بالإنكار بقلبه لخوف الفتنة، ودرء المفسدة، والحفاظ على جماعة المسلمين ودمائهم، ومن الشواهد البارزة في ذلك قول حنبل[3] رحمه الله: "اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبدالله، وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا - يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك - ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك، وقال:عليكم بالإنكار بقلوبكم، ولا تخلعوا يداً من

(١) انظر: جامع العلوم والحكم، ٢/٢٤٥.

(٢) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، ١/٢٢٦.

(٣) هكذا في الكتب التي أوردت أو نقلت هذا الشاهد.

طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بَرٌّ، أو يستراح من فاجر. وقال: ليس هذا بصواب، هذا خلاف الآثار"[1].

وقد يحصل منكرات في بعض المجتمعات التي لا تحكم بشرع الله تعالى، أو تنتشر فيها مظاهر الشرك، ويعجز العالم ونحوه عن إظهار إنكاره، لكنه عازم ومتربص على إزالته بيده أو بلسانه متى تيسر له ذلك، ولذا يجب إحسان الظن بهم، وعدم الظن السيئ بهم، وقد أشار الإمام الصنعاني رحمه الله إلى هذه المسألة عندما تطرق إلى سكوت العلماءِ عن المظاهرِ الشركيةِ والبدعية عند المشاهد والقبور، وأنه لا يعني الرضا والإقرار، فقد يتعذَّرُ عليهم الإنكارُ باليد وباللسان، ولم يبق لهم إلاَّ الإنكارُ بالقلب، قال رحمه الله: "فما كلُّ سكوتٍ رضا؛ فإنَّ هذه منكراتٌ أسسها من بيدهِ السيفُ والسنان، ودماءُ العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، وأعراضهم تحتَ قولهِ وكلامه، فكيف يقوى فردٌ من الأفراد على دفعهِ عمَّا أراد "[2]. وبيَّن رحمه الله في موضع آخر أنه يجب على من رأى ذلك العالم ساكتاً على الإنكار في بعض المواقف أن يعتقد أنه تعذر عليه الإنكار باليد واللسان، وأنه قد أنكر ذلك المنكر بقلبه، فإن حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب والتأويل لهم ما أمكن أمر مطلوب ومؤكد[3].

---

(١) الآداب الشرعية – ابن مفلح، ١/١٩٦، وانظر: معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة – عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبدالكريم، ص٩.

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، ص٣٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص٣٨.

المطلب الثالث: مفارقة مكان المنكر واعتزال أهله:

وهذا الضابط قد جاءت به النصوص الشرعية وأكدت عليه؛ لأنه برهان على صدق صاحبه في الإنكار القلبي، لا سيما وأنه لا يترتب على مفارقته لمكان المنكر أو لأهله ضرر عليه في الغالب، كما أن فعله ذلك من شأنه أن يجعل فاعل المنكر يراجع نفسه، ويفكر في الخطأ الذي وقع فيه، ويدعوه إلى أن يحاسب نفسه، ويسألها عن سبب مغادرة ذلك الرجل لمكان المنكر وأهله، مما يكون سبباً في التوبة والرجوع إلى الله والإقلاع عن هذا المنكر واعتزال مقترفيه.

وقد جاء في كتاب الله تعالى أمر كريم مؤكّد لمن رأى من يقعون في المنكر بالإعراض عنهم وعدم مشاركتهم في منكرهم حتى لا يكون منهم ويصيبه ما أصابهم فقد قال ربنا جل وعلا: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ [1] قال القرطبي رحمه الله في تفسير ﴿ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ﴾ "فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لا يجتنبهم فقد رضي فعلهم، والرضا بالكفر كفر، فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها؛ فإن لم يقدر على النكير فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

الآية. وقد روي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه أخذ قوما يشربون الخمر، فقيل له عن أحد الحاضرين: إنه صائم، فحمل عليه الأدب وقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ "[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله: "﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ أي: إن قعدتم معهم في الحال المذكور ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها. والحاصل أنَّ من حضر مجلساً، يُعصى الله به فإنَّه يتعين عليه الإنكار عليهم، مع القدرة، أو القيام مع عدمها"[2].

وحديث جابر رضي الله عنه، وفيه: قال: قال رسول الله ﷺ: "...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر"[3] يدلنا على تحريم الجلوس في الموضع الذي يفعل فيه المنكر بدون الإنكار على فاعليه، إذ من علامة إنكاره بالقلب مفارقة المكان عند عدم القدرة على إنكاره باليد أو باللسان، "وهذا يراد به أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة، مثل قوم يشربون الخمر يجلس عندهم، وقوم دعوا إلى وليمة فيها خمر وزمر، لا يجيب دعوتهم وأمثال ذلك، بخلاف من حضر عندهم للإنكار عليهم أو حضر بغير اختياره"[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢٦٨/٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٧٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم ١٤٦٥١، ١٩/٢٣، وصححه الشيخ الألباني في إرواء الغليل، رقم ١٩٤٩، ٦/٢.

(٤) مجموع الفتاوى، ٢٠٤/٢٨.

فدل على تحريم الجلوس في مكان المنكر بدون إنكار له، وأنَّ من علامات الإنكار بالقلب المتضمن لأقل درجات الإيمان مفارقة مكان المنكر. والله أعلم

وعدم انصراف المسلم عن المكان الذي وقع فيه المنكر يعرضه للوم والعقوبة؛ ويجعله محل التهمة، وإن ادعى خلاف ذلك وحاول التخلص؛ ولهذا قيل: من أوقع نفسه مواقع التهم فلا يلومن من أساء به الظن، وإذا كان تجنب أصحاب المعاصي واجباً فتجنب أهل البدع والأهواء من باب أولى وأحرى[1].

ويجدر التأكيد على أن الحكم المذكور آنفاً في حق من لا يستطيع إنكار المنكر باليد أو باللسان، أما من يستطيع ذلك، ويأمن على نفسه الضرر فواجب عليه أن يقوم بالواجب ويمتثل الأمر، ولو تقاعس المصلحون عن الإنكار لفشت المنكرات، وعمت المعاصي والموبقات، ولهذا قال ابن عطية رحمه الله:"والإجماع على أن النهي عن المنكر واجب لمن أطاقه، ونهى بمعروف، وأمن الضرر عليه وعلى المسلمين، فإن تعذر على أحد النهي لشيء من هذه الوجوه، ففرض عليه الإنكار بقلبه وألا يخالط ذا المنكر"[2].

وقد نص أهل العلم على النهي عن حضور أماكن المنكرات إلا لعذر شرعي، أو مصلحة راجحة، ولا يترك واجب الاحتساب لمجرد رؤية

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٥/٢٦٨.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤/٥٣٦، ٥٣٧.

المنكر، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ليس للإنسان أن يحضر الأماكن التي يشهد فيها المنكرات ولا يمكنه الإنكار، إلا لموجب شرعي، مثل أن يكون هناك أمر يحتاج إليه لمصلحة دينه أو دنياه ولا بد فيه من حضور، أو يكون مكرهاً"[1].

"بل ورد في الحديث أن المستمع للغيبة أحد المغتابين فمن حضر الغيبة وجب عليه أحد أمور: الرد عن عرض أخيه ولو بإخراج من اغتاب إلى حديث آخر، أو القيام عن موقف الغيبة، أو الإنكار بالقلب، أو الكراهة للقول. وقد عد بعض العلماء السكوت كبيرة لورود هذا الوعيد، ولدخوله في وعيد من لم يغير المنكر، ولأنه أحد المغتابين حكماً وإن لم يكن مغتاباً لغة وشرعاً"[2].

"وإذا كانت المصلحة في بقائه في الوسط الذي فشا فيه المنكر أرجح من المفسدة، و لم يخش على نفسه الفتنة؛ بقي بين من يرتكبون المنكر مع إنكاره حسب درجته، وإلا هجرهم محافظة على دينه"[3].

إذاً فالأصل المنع من حضور الأماكن التي يوجد فيها منكرات إلا من حضر لموجب شرعي، ويتمثل ذلك فيما يلي:

الأول: من حضر لإنكار هذا المنكر.

الثاني: من حضر لحاجة دينية أو دنيوية لا بد فيها من حضوره.

---

(١) مجموع الفتاوى، ٢٣٩/٢٨.

(٢) سبل السلام شرح بلوغ المرام – محمد بن إسماعيل الصنعاني، ٤٠٠/٤، ٤٠١.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ٣٣٥/١٢.

الثالث: من حضر مكرهاً، أو خائفاً من حصول ضرر على نفسه أو ماله فحضر ليدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما.

قال شيخ الإسلام رحمه الله جواباً لمن سأله عن حضور أماكن الفرجة التي فيها منكرات ولا يقدر على إزالتها: "ليس للإنسان أن يحضر الأماكن التي يشهد فيها المنكرات ولا يمكنه الإنكار، إلا لموجب شرعي، مثل أن يكون هناك أمر يحتاج إليه لمصلحة دينه أو دنياه لا بد فيه من حضوره، أو يكون مكرهاً"[1].

ومن هنا يعلم أن الجلوس في أماكن المنكرات على افتراض كراهية القلب لها مخالف لمفهوم الإنكار بالقلب الذي يعني اقتران البغض القلبي للمنكر، بالمفارقة الجسدية للمكان الذي يوجد فيه ذلك المنكر، ما لم يتعذر عليه مفارقة المكان كما ذكر سابقاً[2].

المطلب الرابع: أن يتمعَّر[3] وجهه على أصحاب المنكرات:

الظاهر عنوان الباطن، فمن كره المنكر بقلبه عليه أن يبدي ذلك في وجهه، فيمعره ويقطبه في وجوه أصحاب المنكر إن لم يخش بأسهم، مع مراعاة جلب المصالح ودرء المفاسد.

وهذه العلامة من أقوى الدلائل على كراهية القلب لهذا المنكر، وقد يكون لها أثرها في إزالته بالكلية أو التقليل منه، لا سيما لمن كان في

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/٢٣٩، وقواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٢٩١، ٢٩٢.

(٢) انظر في هذه المسألة: تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - الشيخ عبدالله بن صالح القصير، ص٤٨.

(٣) معَّر وجهه: غيره غيظاً فتمعر. القاموس المحيط — الفيروز آبادي، مادة (معر) ص٦١٤.

قلبه حياة وإيمان وإدراك للخطأ. ومعلوم أنه "لا يسقط الإنكار بالقلب عن المكلف باليد أو اللسان أصلاً، إذ هو كراهة المعصية، وهو واجب على كل مكلف، فإن عجز المكلف عن الإنكار باللسان وقدر على التعبيس والهجر والنظر شزراً لزمه، ولا يكفيه إنكار القلب، فإن خاف على نفسه أنكر بالقلب واجتنب صاحب المعصية. قال ابن مسعود رضي الله عنه: جاهدوا الكفار بأيديكم فإن لم تستطيعوا :إلا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا"[1].

ولهذا قرر العلماء أن من لم يكفِّر الكفار أوشك في كفرهم فقد كفر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾[2].

كما عدَّ الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله ذلك من نواقض الإسلام حيث قال رحمه الله:"من لم يكفر المشركين، أو يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم كفر"[3].

لكن يتنبه من ينكر المنكر بقلبه في حال التعبيس وتقطيب الوجه أمام صاحب المنكر أن يراعي المصلحة الشرعية، وما يؤول إليه عمله، ومدى نفعه لصاحب المنكر، وأن يعلم أن الأصل في الإنكار هو اللين والرفق بفاعل المنكر؛ لأن المحتسب رحيم بالمحتسَب عليه يريد الخير له، كما أن الشريعة جاءت بالرفق واللين في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٥١/٦، وانظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر، ص١٧٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣٢ .

(٣) كتاب مجموعة التوحيد، ص٣٢.

والنهي عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[1]. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه"[2]، ولا يعدل عن الرفق إلى العنف إلا عند الضرورة، كما يحذر المنكر بقلبه من "أن يغضب فيبقى إنكاره لنصرة نفسه، أو يسترسل لما يحرم فينقلب الثواب عقاباً"[3]، وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً عن النبي ﷺ قال: **"إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يترع من شيء إلا شانه"**[4]، فيؤكد على الأخذ بالرفق وعدم الاستعاضة عنه بغيره إلا عند الحاجة أو الضرورة، لا سيما إذا تبين للمحتسب أن فاعل المنكر فعله جهلاً منه، أو لهوى وضعف إرادة، وكذلك الشأن في الوعظ والإرشاد أو التخويف، وفي حال عدم نفع الرفق فيلجأ إلى الشدة لا سيما مع جسامة المنكر، والعبرة بالمصلحة وتخليص فاعل المنكر من معصيته بأسهل ما يمكن[5].

وهنا مسألة أحب الإشارة إليها تتعلق بما نحن فيه، وهي أنه لا يشترط في الإنكار القلبي ظن التأثير، وفي هذه المسألة يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: "...وبهذا تعرف أن اشتراط ظن التأثير إنما هو في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم ٢٥٩٣، ٤/٢٠٠٣، ٢٠٠٤.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ص١٧٠.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم ٢٥٩٤، ٤/٢٠٠٤.

(٥) انظر: أصول الدعوة- د.عبدالكريم زيدان، ص١٩٩.

الإنكار باليد، ثم في الإنكار باللسان، وأما الإنكار بالقلب فهو فرض على كل مسلم، ولا يحتاج إلى تقييده بظن التأثير لأنه أمر كائن في القلب لا يظهر في الخارج ولا يحصل به تأثير"[1].

ومما يحسن التنويه عنه في هذا المقام، أن المنكِر بقلبه يراعي حال المنكَر قوة وضعفاً، فلا يصدر منه ما يشعر فاعل المنكر بعظم الذنب وكبره وهو ليس كذلك، وأن يراعي عدم تنفير فاعل المنكر، وإنما يشعره بما يدل على إنكاره لذلك المنكر بما يناسب الحال، ويؤدي إلى شعور فاعل المنكر بخطئه وتقصيره، وقد يكون في ذلك تأليف لقلبه، وترغيب له في الخير، وتنبيه على الخطأ بأسلوب حسن وحكيم يزول به المنكر بلا منكر.

وإذا كان المرء مأموراً بأن يقول التي هي أحسن، فمطلوب منه أن تظهر عليه علامات الإنكار القلبي بالتي هي أحسن؛ لأن المقصود زوال المنكر أو التخفيف منه ما أمكن، لا حصول الحرج على المنكر عليه، أو إحداث الضيق في قلبه، وإدخال الشقاء إلى نفسه، والأمور بمقاصدها، فقد يقصد المنكِر مضايقة فاعل المنكر بنظراته الحادة، وتمعر وجهه انتقاماً منه وإحراجاً له أمام الناس؛ فيعاقب بنقيض قصده، والحكمة مطلوبة على كل حال، والله المستعان.

(١) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، ٥٨٧/٤ .

المبحث الثالث

ثمرات الإنكار القلبي

الإنكار القلبي من الأوامر الشرعية التي يترتب على امتثالها والقيام بها ثمرات وفوائد جليلة؛ ذلك أن الله تعالى قد وعد من امتثل أمره بالجزاء الحسن، والعاقبة الحميدة، فقال سبحانه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[1] ويمكن بيان هذه الثمرات من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول: تحقيق امتثال أمر الله تعالى ورسوله ﷺ:

إن إنكار المنكر كما سبق من الواجبات الشرعية، والقيام به يعد امتثالاً لأمر الله تعالى، وأمر رسوله ﷺ، حيث أمر الله تعالى بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بقوله سبحانه: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2] وقال ﷺ: " من رأى منكم منكراً..."[3]، ومن أنكر بقلبه فقد أدى ما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ، وحصل بذلك على وصف التقوى.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩ .

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٣) سبق تخريجه.

المطلب الثاني: حصول الفلاح والثواب للقائم بالإنكار القلبي.

وعد الله تعالى من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر بالفلاح، فقال سبحانه: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

أي " المدركون لكل مطلوب، الناجون من كل مرهوب. ويدخل في هذه الطائفة أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس، عموماً وخصوصاً، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة، والقيام بشرائع الدين، وينهونهم عن المنكرات، فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة، فإنه داخل في هذه الآية الكريمة"[2].

وقد أمر الله تعالى بالتقوى حسب الاستطاعة، ومن فعل ما يجب قدر استطاعته فإنه مأجور، ومن عجز عن فعل ما أمر به فهو معذور؛ لقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[3]، وجاء في السنة قوله ﷺ: "ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم".[4]

وحصول الفلاح ثمرة عظيمة من ثمرات الإنكار القلبي، وحري بالمؤمن ألا يفرط في هذا الثواب العظيم في مقابل عمل يسير لا يكلفه

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ص١١٢.

(٣) سورة التغابن، الآية ١٦.

(٤) سبق تخريجه .

عناء ولا مشقة، ولكنه عنوان الإيمان والتقوى، "ويلاحظ هنا أن الثواب يكون كاملاً إن شاء الله تعالى إذا كان المحتسب ينكر المنكر بقلبه، ويكرهه كراهية تامة، ويفعل لإزالته بقدر استطاعته"[1].

المطلب الثالث: أن القائم بالإنكار القلبي يطلق عليه وصف الإيمان

وهذا من أعظم الثمرات وأجلها؛ لأن المسلم يخشى أن يسلب وصف الإيمان منه، وما دام اسم الإيمان باقياً في حق المنكِر بقلبه فهذا مطلب عظيم، وتسميته بأضعف الإيمان دليل على ذلك، كما أن وصفه بأنه ليس وراءه من الإيمان حبة خردل يعني بقاء الإيمان في حق القائم به، "وقوله ﷺ في الذي ينكر بقلبه: "وذلك أضعف الإيمان"، يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الإيمان، ويدل على أن من قدر على خصلة من خصال الإيمان وفعلها، كان أفضل ممن تركها عجزاً عنها"[2].

المطلب الرابع: براءة الذمة.

بقيام المؤمن بالإنكار القلبي الذي لا يسعه القيام إلا به، تحصل له براءة الذمة من ترك الإنكار، وهذا من أعظم الثمرات والمقاصد الشرعية، لا سيما لمن لم يقدر على إنكار المنكر بيده أو بلسانه، إذ بكراهية القلب للمنكر تبرأ ذمة المحتسب فعن العُرْس بن عميرة الكندي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "إذا عُمِلتِ الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها - وقال

(١) أصول الدعوة- د.عبدالكريم زيدان، ص١٩٧.

(٢) جامع العلوم والحكم – ابن رجب ٢/٢٥٣.

مرة: أنكرها - كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها"[1].

قال الشيخ أبو الطيب آبادي رحمه الله في معنى قوله "كمن غاب عنها": "أي في عدم لحوق الإثم له، وهذا في من يعجز عن إزالتها بيده ولسانه، والأفضل أن يضيف إلى القلب اللسان فيقول: اللهم هذا منكر لا أرتضيه قاله العزيزي"[2].

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: "فمن شهد الخطيئة فكرهها في قلبه كان كمن لم يشهدها إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على إنكارها و لم ينكرها، لأنَّ الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب، وهو فرض على كل مسلم، لا يسقط عن أحد في حال من الأحوال"[3].

ولا يقتصر على الإنكار القلبي إلا ضعيف الإيمان، لكن إنكاره بالقلب مع عدم استطاعة الإنكار باليد أو اللسان مسقط للإثم عنه[4].

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم ٤٣٤٥، ٥١٥/٤، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، رقم ٦٨٩، ١٧٩/١.

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ٣٣٦/١١.

(٣) جامع العلوم والحكم، ٢٤٥/٢.

(٤) انظر: تنبيه الغافلين، ص٢٦.

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات أما بعد:

فقد يسر الله - بمنه وكرمه - إتمام هذا البحث، وأرجو أن أكون موفقاً ومسدداً في عرض مسائله، والاستدلال، وحسن العرض، وقد توصلت من خلال البحث إلى عدد من النتائج، من أهمها:

١- عظم منزلة الإنكار القلبي، وأنه فرض عين لا يسقط عن أحد من المكلفين بحال، ولا تشترط فيه الاستطاعة بخلاف الإنكار باليد واللسان.

٢- أن المقصود من كون الإنكار القلبي أضعف الإيمان، أنه أقل ثمرة، والمقصود بأن ليس وراءه من الإيمان حبة خردل، أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن، بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان، وهذا يؤكد على المؤمن العناية بتحقيقه، وعدم الإخلال به .

٣- أن الإنكار القلبي إذا أطلق فإنه يعني كراهية الفعل بالقلب، واستقباحه، وعدم الرضا به، وإن لم يحصل تغيير له.

٤- أنه مع إمكان الإنكار باليد أو اللسان فلا يجوز العدول إلى الأدنى حتى يستوفي الأعلى، ومن ذلك الإنكار القلبي فإنه لا يلجأ إليه إلا عندما لا يتمكن من الإنكار باليد أو باللسان.

٥- كون الإنكار باليد هو أعلى المراتب، لا يعني أن يبدأ به على الإطلاق، وإنما المقصود أنه أعلى منازل الإنكار وأعظمها، أما البدء في الإنكار فإنه يكون بالتعريف، وبيان المنكر قبل تغييره باليد.

٦- أن الإنكار بجميع المراتب مرتبط بالعلم بالمنكر، وبقبحه وبغض الله تعالى له، لا باستحسان العقول أو بالتشهي.

٧- أن للإنكار القلبي ضوابط لا بد من تحققها، منها كراهة المنكر وبغضه، وحصول ما يدل على كراهية المنكر، مع مفارقة مكان المنكر إن لم يترتب على مفارقته منكر أكبر منه.

٨- أن للإنكار القلبي ثمرات عديدة يجنيها القائم به من أهمها: حصول الأجر، وبراءة الذمة، وأنه يطلق على صاحبه وصف الإيمان.

وقد خلصت في نهاية هذا البحث إلى جملة من التوصيات، وتتمثل فيما يلي:

١- الحاجة إلى مزيد من الدراسات التأصيلية في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لتجلية كثير من المسائل العلمية في هذا المجال، ومنها ما يتعلق بضوابط الإنكار القلبي.

٢- دعوة الأقسام المتخصصة في الدعوة والحسبة ومراكز البحوث الدعوية إلى جمع وتصنيف الدراسات والأبحاث العلمية المتعلقة بمراتب الاحتساب، والوصول إلى منهج شرعي واضح في التطبيق العملي لها.

المراجع

١. الآداب الشرعية، أبو عبدالله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق وتخريج: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بإشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت ط٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣. الاستقامة – شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

٤. أصول الدعوة- د.عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تعليق وتخريج: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١، ١٤٠٤هـ، بدون دار نشر.

٧. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: عبدالعظيم الطحاوي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
٨. التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثاً النووية، ومعها شرح الأحاديث التي زادها ابن رجب الحنبلي، الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، طبع على نفقة محمد عبدالرؤوف المليباري، صاحب المكتبة السلفية بالرياض، مطبعة المدني، مصر، ط٢، ١٣٨٠هـ.
٩. تذكرة أولي الغير بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشيخ عبدالله القصير، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.
١٠. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني، دار الحكمة للطباعة والنشر، سورية، ط١، ١٤٢٥هـ-١٩٩٤م.
١١. تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكين من أفعال الهالكين، محيي الدين أبو زكريا أحمد بن إبراهيم ابن النحاس الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، عناية: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
١٣. جامع العلوم والحكم - أبو الفرج عبدالرحمن ابن رجب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٤. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، بدون طبعة.

١٥. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق وتعليق: د. علي بن حسن بن ناصر، و د. عبدالعزيز بن إبراهيم العسكر، و د. حمدان بن ناصر الحمدان، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

١٦. حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، الشيخ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي، بقلم الشيخ: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي، ط٣، ١٤٢٥هـ، بدون دار نشر.

١٧. الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، د.فضل إلهي، دار ترجمان الإسلام، باكستان، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٨. درجات تغيير المنكر، د. عبدالعزيز المسعود، دار الوطن، ط١، ١٤١٤هـ.

١٩. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، بدون دار نشر.

٢٠. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - محمد بن علان الصديقي، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

٢١. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن حجر المكي الهيتمي، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
٢٢. سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، صححه وعلق عليه وخرج أحاديثه: فواز أحمد زمزلي، وإبراهيم محمد الجمل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٦، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
٢٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، إعداد وتعليق: عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٣٩٤-١٩٧٤م.
٢٤. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.
٢٥. شرح الأربعين النووية، الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، دار الثريا للنشر، طبع بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢٦. صحيح البخاري البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن باز، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
٢٧. صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٨. صحيح سنن ابن ماجه، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، إشراف زهير الشاويش، توزيع المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٩. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩١م.

٣٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بدون طبعة ولا تاريخ.

٣١. عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٣٢. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، الشيخ محمد السفاريني الحنبلي، مؤسسة قرطبة، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٣٣. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبدالرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٣٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حقق أصلها الشيخ عبدالعزيز بن باز، ورقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٣٥. الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد عبدالرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

٣٦. القاموس المحيط، مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٣.

٣٧. قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية دراسة فقهية، عابد بن عبدالله الثبيتي، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٨. الكبائر، الإمام محمد بن عبدالوهاب، حققه وخرج أحاديث وعلق عليه: أ.د. باسم فيصل الجوابرة، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٣٩. كتاب الكبائر، الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد، تحقيق وتعليق: محيي الدين نجيب، وقاسم النوري، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، بدون دار نشر.

٤٠. كتاب مجموعة التوحيد، تأليف أئمة الهدى شيخي الإسلام: أحمد بن تيمية، ومحمد بن عبدالوهاب، دار اليقين للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣.

٤١. كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

٤٢. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، بدون رقم طبعة.

٤٣. المجموعة العلمية، الشيخ بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٤٤. محاضرات في العقيدة والدعوة، الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، طبع بإشراف رئاسة إدارة البحوث العلمية و الإفتاء، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني، الدوحة ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، بدون دار نشر.

٤٦. مختار الصحاح — محمد بن أبي بكر الرازي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٣م.

٤٧. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٤٨. المرأة المسلمة المعاصرة إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة — د.أحمد بن محمد أبابطين، دار عالم الكتب الرياض، ط٣، ١٤١٢هـ-١٩٩٣م.

٤٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، إشراف د. عبدالله التركي، وتحقيق عدد من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٥٠. معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة — عبدالسلام بن برجس بن ناصر آل عبدالكريم، دار السلف للنشر والتوزيع، الرياض، ط٤، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٥١. المفردات في غريب القرآن- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

٥٢. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، طباعة ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٥٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، المكتبة العلمية، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

فهرس الموضوعات

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

فهرس الموضوعات

م	الموضوعات	الصفحة
١	السمات الفكرية والتكوين المعرفي لدعاة الباطل المعاصرين (د.محمد بن خالد البداح)	٥
٢	مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمل الدعوي المؤسسي (د.لولوة بنت سليمان الغنام)	٥٩
٣	زينة المرأة الداعية وضوابطها الشرعية (د.أسماء بنت عبدالعزيز الداود)	١٢٥
٤	المسؤولية الدعوية تجاه حماية الشباب من الفتن في العصر الحاضر (د.الجوهرة بنت صالح الطريفي)	١٩٧
٥	ضوابط الإنكـــــار القلبي وثمراته (د.خالد بن راشد العبدان)	٢٦٥
٦	فهرس الموضوعات	٣١٥

https://dawa.center

المشروع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

المستقبل للدراسات والأبحاث
Osoul Center For Studies

https://dawa.center

https://dawa.center

المستودع الدعوي الرقمي
Osoul Center For Studies

أهداف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

١) تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.

٢) تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.

٣) تقديم الاستشارات العلمية في مجال الدراسات الدعوية.

٤) تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.

٥) تيسير تبادل الإنتاج العلمي والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

مطابع الجامعة

ردمك : ٣٨٨٤ ـ ١٦٥٨